

العرفان الإسلامي

سماحة آية الله
الشيخ محمد باقر الأنصاري

ترجمة

كلمات السيدة

دار أحياء التراث العربي



العرفان الإسلامي

العرفان الإسلامي

تأليف

سماعة آية الله الشيخ حسين انصاريان

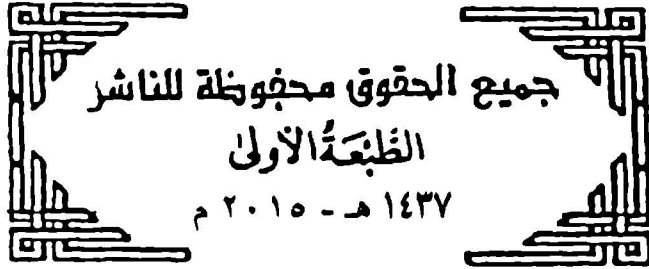
ترجمة

كمال السيد

الجزء السادس

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI **دار إحياء التراث العربي**
Publishing & Distributing **للطباعة والنشر والتوزيع**

العنوان الجديد

دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩ / ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧
Beyrouth - Lebanon - Airport Road - Behind Golden Plaza - P.O:11/7957 - Postal
Code:-11/072250 **Tel:009611455559** - 009611452469 -- Fax : 009611/850717
Email:darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

الباب

(١٥)

في آداب الركوع

«قال الصادق عليه السلام:

لا يرُكعُ عبدٌ لله رُكوعاً على الحقيفة إلا زينها بنور بهائه وأظله في ظلال
كبريائه وكساه كسوة أصفيائه.

والرُكوعُ أولُّ والسُّجودُ ثانٍ فمن أتى بالأولِ صلحَ للثاني.
فاركع رُكوعَ خاشعٍ لله بقلبه مُتدكِّلٍ وجِلِّ تحتَ سُلطانِهِ حافظٍ له
بجوارِحِهِ حِفْظَ خائِفٍ حزينٍ على ما فاتهُ من فائدةِ الرَّاكِعِينَ.
يُحكى أنَّ الرَّبِيعَ بنَ خُثَيْمٍ كانَ يَسْهَرُ بِاللَّيْلِ الفَجْرَ في رُكُوعٍ واحِدٍ فإذا
أصبحَ يَزْفِرُ وقال: أه سَبَقَ المُخْلِصُونَ وقُطِعَ بنا.

وَأَسْتَوْفِ رُكُوعَكَ بِاسْتِواءِ ظَهْرِكَ وَأَنْحَطَّ عَنْ هِمَّتِكَ في القِيامِ بِخِدْمَتِهِ
إِلَّا بِعَوْنِهِ، وَفَرِّ بِالْقَلْبِ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ وَخَدَائِعِهِ وَمَكَايِدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَرْفَعُ عِبَادَهُ بِقَدْرِ تَوَاضُعِهِمْ لَهُ وَيَهْدِيهِمْ إلى أَسْوَاحِ التَّوَاضُّعِ وَالخُضُوعِ
وَالخُشُوعِ بِقَدْرِ إِطْلَاعِ عَظَمَتِهِ على سَرَائِرِهِمْ.

«لَا يَرْكَعُ عَبْدٌ لِلَّهِ رُكُوعًا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا زَيَّنَهَا بِنُورِ بَهَائِهِ وَأَظْلَمَهُ فِي ظِلَالِ
كِبْرِيَائِهِ وَكَسَاهُ كِسْوَةَ أَصْفِيَائِهِ»

حقيقة الركوع:

الركوع من أركان الصلاة العظيمة والصلاة تبطل بدونه وليس لها ثمر إلا به
ولا حاصل من ورائها إلا بالركوع.

الركوع حالة التواضع للعبد المؤمن في رحاب القدس الإلهي وهي من أفضل
حالات العبادة في رحاب الله رب العالمين.

الركوع يجتذب النظر الإلهي للانسان العابد وهو من طرق النجاة من عذاب
يوم القيامة؛ ذلك ان حالة الركوع تعبر عن التطهر من أشكال التلوّث بالكبر والأنانية
والنرجسية أو العجب بالنفس.

والركوع يدلّ على هذه الحقيقة في أنّ العبد قد سلّم أمره لله سبحانه وأنّه
مطيع منقاد لربه قد اختار طريق العبوديّة والطاعة لله سبحانه.

الركوع اظهار للذلة والتذلل على نحو عملي في مقابل العزيز الجبار المتكبر..
وهو هذا العزيز الذي يفيض على عبده المطيع نور الكرامة ورداء العزّة، ذلك ان
العزّة لله ورسوله وللمؤمنين.

والعزّة منحة إلهية يهبها الله جزاءً على العبوديّة له.

الراكع يضيء قلبه من نور ركوعه فتبدد عن القلب الادران ويكتب في حياة الانسان جراء ركوعه لله الكرامة والجاه الإلهي.

والراكع يحفظ نفسه أثناء ركوعه في الصلاة من الوقوع في فخ الأهواء وشياطين الظاهر والباطن ثم يفضي ركوعه إلى سجود حقيقي بكل وجوده فيكون بمأمن من كل الأخطار لأنه يكون في حصن حصين من شرو الشيطان اللعين. الركوع علاج للكبر والركوع يقصم ظهر الشيطان وطريق نحو الملكوت ونور يضيء جنبات النفس ويبدد عنها الظلمات والركوع نبع للسكينة والطمأنينة تسكن به النفس الانسانية.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«لَا يَرْكَعُ عَبْدٌ لِلَّهِ رُكُوعًا عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا زَبَنَهَا بُنُورٌ بِهَائِهِ وَأَظْلَهُ فِي ظِلَالِ كِبْرِيَانِهِ وَكَسَاهُ كِسْوَةٌ أَصْفِيَانِهِ»

الركوع في حقيقته حالة يعبر فيها الانسان عن وعيه لعظمة الله سبحانه وضآلة كل الكائنات في حضرته تعالى.

وفي الركوع الحقيقي ليس البدن والأعضاء المتعلقة تؤدّي هذه العملية بل العقل والقلب والنفس أيضاً تشارك في ذلك؛ أنه الركوع الخالي من كل الأوهام والشوائب والثقافة الشيطانية والخيالات والتصوّرات الباطلة والقرارات الخاطئة ازاء عباد الله.

أنه الركوع الخالي من كل المودات والمغلوبة انه الركوع المتألق بالحب

الالهية وركوع النفس أن تخلو من كل المساوي الأخلاقية والتي تتحلّى بالصفات الالهية.

ذكر الركوع: وعليك وأنت تنفوه بذكر الركوع: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ» أن تبعد عن مرض الغفلة وأن تعي هذه الحقيقة الكبرى التي تنطوي عليها كلمات الذكر؛ وحينئذ تضيء أنوار هذه الحقيقة جنبات نفسك وتدرك معاني التنزه وجلال البارئ تبارك وتعالى فتمجده بكل جوارحك وجوانحك.

وعندما يؤدي الإنسان الركوع واعياً مدركاً مخلصاً فإنه سيرتقي إلى مصاف الذاكرين، فيطمئن قلبه ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

الذكر علاج للأمراض النفسية: وهذه مسألة بديهية وحقيقة لا تقبل الإنكار وقد أثبت التجارب أن أفضل وسيلة لعلاج الأمراض الروحية والنفسية والقلبية هو ذكر الله سبحانه، فإن القلوب تصفو وتنصلق ويتبدد عنها الدرن.

وان ذكر الله سبحانه يضيء النفوس ويبدد عنها الظلام وتطهر الأرواح من ادران الكراهية والأحقاد والضغائن وتعود إليها النقاوة والصفاء والسكينة والاحساس بالطمأنينة والسلام.

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

ومن خلال الذكر يتفوق العبد الروحاني والمعنوي للإنسان على البعد المادي ويكتشف المرء أن شكّه وترديده ازاء الحقائق إنما هي خواطر شيطانية وإن ما يعانيه من اضطراب وحيرة إنما ينشأ عن وسوسة شيطانية وإن كل هذا القلق الروحي

يعود إلى حرب نفسيّة يشنّها الشيطان لارهابه وتخويفه واضعافه نفسياً.
وهنا لك عند ما يغمر الاخلاص عبوديّة الانسان لرّبّه ساعياً في طاعته سبحانه
وعندما يتدفّق في وجوده نبع الشعور بالحاجة والفقر للمخلّاق سبحانه الواهب
والمولى عزّوجلّ ويتحوّل هذا الشعور إلى حقيقة راسخة في نفسه، حينئذٍ يوفّقه
الله تبارك وتعالى ويأخذ بيده ويبدد عنه كلّ همومه وحزنه وهكذا انسان يحسّ
بمعية الله له فأنّه انسان موفق قد وصل إلى هدفه المنشود وحقّق ما كان يتطلّع
إليه ويسعى في بلوغه.

يقول الشيخ العارف فخر الدين العراقي:

وأنا الذي بلغت سرّ العرش بالمشق.

اجتزت الأفلاك التسعة فاذا هي تحتي.

غارق في بحار العدم مذهولاً عن نفسي فعرفت سرّ وجودي في ذهولي.
وضعت خطاي في سرّ بساط الفقر قابضاً أيادي التمنيّات وأقصى همّي
وهمّتي أن انشر جناح الفرخ جاعلاً العالمين وما فيهما تحت هذا الجناح أساس
صرح وجودي رحمة الأزل ففاق بذلك العرش.

وهذا رحابي صدره رضوان من غصن طوبى ظلال وارفة وفيرة.

وعندما تعصف بالانسان الذاكر عاديّات الزمان وتملأ حياته بالعذابات والآلام
وتثقل كاهله بالأعباء فان الذكر؛ ذكر الله يفتح له نافذة الأمل وتهب على روحه
المتعبة نسائم قادمة من الملكوت؛ فاذا القلب المثقل بالألم يتعشّ فرحاً واذا
نفسه المضطربة القلقة تسبح في عالم من الطمأنينة والسكينة واذا هو مرتاح الخاطر
فارغ البال ينعم ضميره ووجدانه بالرضا.

وإذا اسم الله نور ودف وأمل ورجاء واردة وعزيمة وثبات واذا هو غني

بقناعته وبفقره إلى الله وحده وإذا هو قوي ثابت بأصاله بالقدرة المطلقة وإذا هو حرّ بعبوديته لله قد نحر من أسر الشهوات والأطماع ووجهه وجهه إلى الله سبحانه مسلماً إليه قياده متوكلاً عليه، قد تمرّد على الشيطان خاضعاً في رحاب الرحمن.

وعند ما تضيق على الانسان دروب الحياة وتنغلق أمامه النوافذ ويصل إلى طريق مسدود ويشعر الانسان بالانهيار حينئذٍ يفتح عليه ذكر الله تعالى فتفتح أمامه كنوز الجود والهبات وإذا ببركات الذكر الالهي وأنواره تضيء له الطريق نحو النعيم الرباني؛ هنالك يدرك الانسان ان الأهداف الخالية من ذكر الله لم تكن شيئاً مذكوراً وهنالك يدرك لذائد الصبر والذكر ويستمتع بجمال الوجود فينبض قلبه بالحب ويضيء فؤاده بالنور وتمتلئ نفسه بالرضا لأنه لا قيمة للانسان لو ربح الدنيا كلّها وخسر نفسه، كما ورد في الرواية ولأنه لا يفقد الانسان شيئاً اذا وجد الله ولا يجد شيئاً اذا فقد الله كما ورد في دعاء الامام الحسين يوم عرفة.

وأنه لا شأن للانسان يذكر من دون مقام الهي رباني لأن المعية مع الله تعالى هي التي تمنحه الوجود الحقيقي والمقام الانساني الرفيع. والذكر الالهي يبّد جميع مخاوف الانسان وهواجسه ويكافح أحزانه ومشاعره الظلامية واحساسه باليأس والقنوط.

والانسان عند ما يذكر الله ويترنم بأسمائه يمتلئ قلبه بالطمأنينة ويملاً احساسه بالسلام جميع وجوده فاذا نفسه تفيض شعوراً بالرضا وإذا قلبه قد تطهّر من كلّ هواجس الخوف واليأس وإذا مشاعر الأمل والانفتاح على الحياة تشع من عينيه.

ان لطف الله سبحانه وتعالى يغمر الانسان الذاكر بظلاله الوارفة فيرتسخ ايمانه في الأعماق وتسبح روحه في بحر اليقين ويعم الصفاء نفسه بعد أن تنأى

الوساوس والهواجس بعيداً عنه وإذا بخياله يستقرّ على أرض اليقين بعيداً عن الأباطيل فاذا الانسان الذاكر انسان قد انتصر على نزعات الشرّ وقهر نزعات الحيوان وإذا هو ثابت كالجبل قوياً كالعاصفة طاهراً كقطرات الندى لأنه يتغنى بحبّ الله سبحانه يذكره ويسبّحه ويقدّسه.

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^١.

الركوع في القرآن المجيد:

وفقاً لآراء المفسّرين ان مفردة الركوع في القرآن الكريم ربّما تدلّ على حالة الركوع وربّما تدلّ أيضاً على الصلاة بشكل عام وأيضاً قد تأتي لتدلّ على التواضع أمام الحق.

غير ان من الأفضل ان ننظر إلى الآيات الشريفة التي تورد مفردة الركوع دلالة على معناها الشامل الذي هو عبارة عن التسليم التام لله سبحانه وتعالى والتي تتجلّى في الصلاة حيث يركع الانسان أمام الباري تبارك اسمه. الله عزوجلّ يندّد في كتابه العزيز بالانسان الذي لا يركع لربّه ويصفه بالمجرم والمكذب.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ * وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
* وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾^٢.

١- سورة الأحزاب ٣٣: ٣٥.

٢- سورة المرسلات ٧٧: ٤٦ - ٤٨.

وفي مقابل ذلك نرى القرآن الكريم يمجّد الراكعين ويدعو عباده إلى أن ينتظموا في صفوف الراكعين، قال سبحانه:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^١

الراكعون في القرآن الكريم هو العاشقون الذين بلغوا ببركة المعرفة مقام الفناء حيث ذابت صفاتهم وأفعالهم في صفات الله تعالى وأفعاله وتخطوا مقام القيم وأصبحوا سبلاً لبلوغ الفيض الرباني من نبعه المطلق الذي يغمر العباد. إن الراكع في حالة الركوع قد فنى من كلّ صفاته وأفعاله وذاب في صفات الله وأفعاله فهو باق بالله لأنه ركع في ظلال كبرياء الرب.

الركوع، توحيد للأسماء والصفات:

يروى الامام الخميني عليه السلام عن العارف القاضي سعيد القمي:

إن الركوع في رأيي إشارة إلى مقام التوحيد، توحيد الأسماء والصفات وقبل ذلك القيام الذي هو عبارة عن مقام التوحيد الأفعالي ولأنّ المصلي متحقّق بمقام التوحيد الفعلي.

ومن جهة أنه يرى إن جميع الأفعال هي من آثار الأسماء التي هي على كثرتها تنضوي تحت اسم واحد هو الجامع لكلّ حقائقها فهو يرى نفسه أيضاً خاضعاً وواقعاً تحت هيمنة هذا الاسم الجامع وقد فنى عن استقلاله الفعلي بل وفنى عن فعله هو ذاته فهو يرى حقيقة ذاته مع جملة الحقائق المنضوية تحت الاسم الجامع فاذا وعى هذه الحقيقة وأدركها حتى قامته علامة الركوع وبهذه الانحناء

يشير إلى نفيه كل أنواع الفعل من ذاته مفتخراً ببقاء اسمه مربوباً في الأسماء. ولذا فإن اسم الرب الذي يأتي أثر الاسم الجامع الله في سورة الحمد الذي ينشأ لبيان صدور الحقائق من تأثير الأسماء فهو ينسب هذا الاسم إلى نفسه قائلاً «رَبِّي» إشارة إلى هذا النحو من البقاء، يعني مظهرية هذا الاسم الذي هو من أمهات الأسماء وأيضاً التزام جانب الأدب الإلهي الذي أضافه الله سبحانه إليه كما في المخاطب في قوله سبحانه:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^١

ومن أجل ذلك يضيف العبد في حالة الركوع كلمة الرب إلى نفسه فيقول: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ» وهو بهذا التعبير يترجم حالة الفناء ويظهر مقام الفناء وفي نفس الوقت البقاء بالله عز وجل.

ان الركوع في رأيي إشارة إلى مقام التوحيد، توحيد الأسماء والصفات وقبل ذلك القيام الذي هو عبارة عن مقام التوحيد الأفعالي ولأن المصلي متحقق بمقام التوحيد الفعلي ومن جهة انه يرى ان جميع الأفعال هي من آثار الأسماء التي هي على كثرتها تنضوي تحت اسم واحد هو الجامع لكل حقائقها فهو يرى نفسه أيضاً خاضعاً وواقعاً تحت هيمنة هذا الاسم الجامع وقد فنى عن استقلاله الفعلي بل وفنى عن فعله هو ذاته فهو يرى حقيقة ذاته من جملة الحقائق المنضوية تحت الاسم الجامع فاذا وعى هذه الحقيقة وأدركها حتى قامته علامة الركوع وبهذه الانحناء يشير إلى نفيه كل أنواع الفعل من ذاته مفتخراً ببقاء اسمه مربوباً في الأسماء ولذا فإن اسم الرب الذي يأتي اثر الاسم الجامع الله في سورة الحمد

الذي ينشأ لبيان صدور الحقائق من تأثير الأسماء فهو ينسب هذا الاسم إلى نفسه قائلاً «رَبِّي» إشارة إلى هذا النحو من البقاء، يعني مظهرية هذا الاسم الذي هو من امهات الأسماء وأيضاً التزام جانب الأدب الالهي الذي اضافهُ الله سبحانه إليه كاف المخاطب في قوله سبحانه:

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^١

ومن أجل ذلك يضيف العبد في حالة الركوع كلمة الرب إلى نفسه فيقول:
﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ﴾ وهو بهذا التعبير يترجم حالة الفناء ويظهر مقام الفناء وفي نفس الوقت البقاء بالله عزوجل.

ما الذي تفعله البراهين أمام أشعة جمالك!!

وبالهيام بطلعتك ووجهك!

الهي ما الذي يفعله الايمان!!

أجل لا عجب إذا لم تطرق قلبي فما الذي يفعله السلطان في كوخ

الشحاذين!!

وانا إذا لم أجد مكاناً في حضرتك فلا عجب أيضاً فهناك الكمال فما

الذي يفعله التقصان!!

وفي مضيق الوحدة كيف تجد الكثرة مكاناً!!

في عالم الحقيقة ما الذي تفعله الأباطيل!

أجل، غير ان العاشق إذا ارتدى صبغة المعشوق ما الذي يفعله البواب بينهما.

في رحاب المعشوق لا يوجد مكان فما عناء مالك وما الذي يفعله رضوان^١.

حالات التوحيد الثلاث:

ويتابع الامام الخميني ما قاله القاضي سعيد القمي في مسألة الركوع فيقول:
اعلم ان حالات الصلاة ثلاث وإن سائر الأعمال والأفعال مقدّمات وممّهّدات لها:

الاولى: القيام

الثانية: الركوع

الثالثة: السجود

وأهل المعرفة يعدونها اشارات إلى حالات التوحيد الثلاث ولأن الصلاة معراج الكمال للمؤمن والمقرب وأهل فهو متقوم بأمرين أحدهما مقدّمة للآخر: الأول: ترك العجب بالنفس والانانية وفي هذا حقيقة وباطن التقوى.
الثاني: أن يكون المرء ربانياً طالباً للحق وهذا حقيقة المعراج والقرب ولذا جاء في الروايات:

«الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقَى»^٢.

وكذا جاء في القرآن الكريم إن هذا القرآن نور هداية لمن اتقى.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٣.

وجملة القول انه في المقامات الثلاثة التي هي القيام والركوع والسجود تحصل

١- فخرالدين العراقي.

٢- الكافي: ٢٦٥/٣، باب فضل الصلاة، حديث ٦٦؛ عيون اخبار الرضا: ٧/٢، باب ٣٠، حديث ٤١٦؛

وسائل الشيعة: ٤٣/٤، باب ١٢، حديث ٤٤٦٩.

٣- البقرة ٢: ٢.

المقامات بالتدرّج، واذن في حال القيام ترك العجب بالنفس والانانية بحسب مقام
الفاعلية ورؤية فاعلية الحق وقيومية الحق المطلقة.

وفي الركوع ترك العجب بالنفس (الترجيئية) بحسب مقام الصفات والأسماء
ورؤية أسماء وصفات الحق.

وفي السجود ترك العجب بالنفس مطلقاً وطلب الحق والرب على نحو مطلق
وجميع منازل السالكين من شؤون تلك المقامات الثلاثة كما هو واضح لأهل
البصيرة وأهل العرفان وأهل السلوك.

وبعد أن يبلغ السالك هذه المقامات الثلاثة التي هي سرّ أعمال التوحيد الثلاثة
فان كلّ مقام يكون أدقّ وألطف ويتطلّب من السالك الحذر أكثر وطبعاً فان
خطر المقام الأعلى يكون أكثر وأذلق فيه أكثر! وإذن فان في مقام الركوع
حيث السالك يرى أنه ليس في دار الوجود من علم وقدرة وحق وازادة الآ للحق،
وهذه الدعوى أمر كبير ومقام للغاية دقيق وخطير.

ومن أمثالنّا لعلّ هذه الدعوى تحصل في باطن الذات بالتضرّع والمسكنة
والتذلل والعدر في القصور والتقصير والنقصان وشهود ذلك في النفس بعين العيان
وشهود الوجدان، فلعلّ لفظة من مقام القدس تغمر العبد المضطر فهو أرحم بالعباد.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾!

يدعو القرآن الكريم الناس إلى أربعة برامج بناءة وحصيلتها الفلاح والفوز
والنصر في الدنيا والآخرة وقد بشر القرآن الكريم بذلك ومن بين هذه البرامج
الركوع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا

الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^١.

القرآن الكريم وفي الكثير من الآيات يعتبر النصر والفوز والفلاح أمراً معلولاً بتنفيذ القوانين الإلهية في جميع أصعدة الحياة وهو لا يقدم طريقاً وسبيلاً غير ذلك من أجل تحقيق الفوز وان السالكين في غير هذه السبيل وغير هذه الطريق اشقياء وأهل ضلال وسيكون مآل أمرهم أن يصبحوا حطب جهنم.

وينظر إلى الذين يرون السعادة في تسنم الرئاسة والجاه والمناصب والثروة والشهرة وحتى العلم الفارغ من الروح والمعنويات معتبراً آياهم ضالين قد ران على قلوبهم؛ فهم يتخبطون لا يعرفون الطريق اللاحب وعمّا قليل يتردّون في عمق الهاوية هاوية المصير البائس ذلك انهم قد غفلوا عن الحقيقة فهم في التيه يسرون.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ

غَافِلُونَ﴾^٢.

أجل لقد اقتصر علمهم على ظاهر الحياة الدنيا في غفلة عن عمق الحياة وجوهر مكنونها وعن ارتباطها بعالم الآخرة والثواب والعقاب ويوم الحساب والكتاب فاذا هم بمنأى عن القيم المعنوية غارقون في صخب وضوضاء الحياة المادية. يعتبر الاسلام الانسان مخلوقاً مسؤولاً وبهذا فهو ينفرد بهذه الخاصية ولقد جاءت هذه المسؤولية جراً امتيازه بالعقل.

وما بعث الأنبياء وإرسال الرسل ونصب الأوصياء والأنمة الأ من أجل تذكير

١- الحج ٢٢: ٧٧.

٢- الروم ٣٠: ٧.

الانسان بمسؤوليته هذه ولهذا فان الأنبياء في الحقيقة هم أطباء جاءوا لعلاج الأمراض الروحية التي تصيب الانسان وتقوده إلى الغفلة عن مسؤوليته في الحياة. وأوج مسؤولية الانسان ازاء ربه وخالقه واليه هي عبوديته لله سبحانه حيث اداء هذه المسؤولية هو انتظامه في مدار العبودية وقد جاء الأنبياء والرسول والأولياء لتوضيح وبيان قواعد العبودية وعرفوا الانسانية بالحقائق الكبرى وهذه الآية ٧٧ من سورة الحج تبين أهم القواعد في اداء العبودية لله كما ان عدد الروايات في باب الصلاة يناهز الأربعة آلاف رواية اضافة إلى ما ورد في الأبواب الأخرى وفي الكتب الروائية من بيان لهذه القواعد.

ركوع مريم عليها السلام:

جاء في سورة مريم حول الركوع والراكعين قوله تعالى:

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^١.

ولقد كانت السيدة مريم ابنة عمران من أسرة كريمة مؤمنة صالحة وقد كانت هذه السيدة الطاهرة تعبد الله عزوجل في المعبد الكبير في مدينة القدس سنوات حيث نشأت في ظلال النبي زكريا عليه السلام وتدرجت في مدارج الكمال الانساني من خلال العبودية لله عزوجل.

قد ملأ الحب الإلهي قلبها وفؤادها وغمر الصفاء الرباني روحها وامتلأت نفسها بالنور والاخلاص وكانت دائمة القنوت تعمل الصالحات من الأعمال حتى بلغت مقام المقرئين فاذا هي تطوف في رحاب الحق رب العالمين:

ولقد وهبها الله كرامته فتجلت في كلمته عزوجل المسيح عيسى روح الله

وحتى خاطبتها الملائكة وأوحى إليها أن يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين.

وما كان من مريم إلا أن تضاعف عبادتها وقنوتها وسجودها وركوعها في رحاب الله ربّ الوجود وخالق الناس أجمعين، وكانت السيدة مريم المثال الاسمي للانسان حتى كانت سيّدة النساء في عصرها. وفي العبوديّة تكمن حقيقة الانسان وكماله وقيّمته والانسان لا يبلغ هدفه في الكمال إلا بالعبادة والعبوديّة لله سبحانه.

ركوع داود عليه السلام:

وجاء في قصة داود نبي الله عليه السلام ما يشير إلى عظمة الركوع وذلك في قوله تعالى:

﴿وَوَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِن لَّهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾

الراكعون الحقيقيون: ويكفي لبيان مجد الركوع لله سبحانه وسموه ان القرآن الكريم جعل الراكع الحقيقي ردفه سبحانه في ولاية الأمر فهو علم العباد وذلك بعد أن طوى مراحل الركوع في جوهره وحقيقته وتكامله وأدى شروطه في ظاهره وباطنه وأدى العبادة لله حقها وأوفى بشروطها؛ فالراكعون الحقيقيون إنما هم الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومن آله وأولهم علي وآخريهم صاحب الأمر المهدي عليه السلام.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^١!

الركوع، علامة العشق الإلهي: جاء في سورة التوبة المباركة وذلك بعد بيان العلامات وملامح أهل الايمان حيث يبرز الركوع باعتباره من علامات المحبين العاشقين للحقّ تبارك وتعالى:

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ
الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ
اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ^٢﴾.

الركوع، علامة المؤمن: وقد جاءت هذه الحقيقة على انها علامة المؤمن وذلك في سورة الفتح المباركة على هذا النحو:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ^٣﴾.

وكان طليعة الغاية الالهية من وراء اقامة الكعبة وبيت الله هو من أجل تكون محلاً للركوع والراكعين قال تعالى:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا

١. المائدة: ٥٥.

٢. التوبة: ٩، ١١٢.

٣. الفتح: ٤٨، ٢٩.

بَيِّنِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴿١﴾

ونجد هذا المعنى أيضاً في الآية (٢٦) من سورة الحج حيث الركوع دلالة على التواضع الروحي للانسان في رحاب الحق تبارك وتعالى ثم نجد الآية تحت وتشجع على هذا السلوك والعمل ويتوجب القول ان السعادة الحقيقية والسعادة الأبدية ستكون من نصيب الانسان الذي يقف في محراب العبادة وان الشقاء الأبدى سينال الذين أعرضوا عن الحق وتلوّثوا بالتكبر والغفلة عن حقيقة العبادة. هلموا إلى هاتين الخصلتين الالهيتين من أجل تأمين السعادة في الدنيا والآخرة.

الاولى: في مسألة السعادة وبخاصة الركوع والسجود وفي التدين والافتداء بمن هو اسمى وليس هناك ما هو اسمى من النبي ﷺ والأئمة من آله الأطهار عليهم السلام فعلينا أن نسعى في مضمار العبادة أن نفتدي بهم صلوات الله عليهم أجمعين فنكون معهم في الدنيا والآخرة.

الثانية: في مسألة الدنيا ينبغي لنا ان ننظر إلى ما هو دوننا حتى نقنع بما رزقنا الله من الحلال ونتخلص من الحرص والطمع فلا نسقط في برائن ذلك ونحرم أنفسنا من منافع العبادة وبهذا نكون في أمان من الهلاك لأننا إذا نظرنا إلى من هو فوقنا في ذلك فسوف نصاب بطول الأمل والأمانى البعيدة والعريضة وسوف ينهشنا الطمع ويستولي علينا الحرص، ونحرم من فيض العبادة فاذا تزينا بهاتين الخصلتين صرنا من فرقة الشاكرين وطائفة الصابرين كما قال ذلك نبينا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام:

قال النبي ﷺ: «خِصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ كَتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا صَابِرًا،

مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فَاقْتَدَى بِهِ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ
إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَتَبَهُ اللَّهُ
شَاكِرًا صَابِرًا.

وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ
فَوْقَهُ فَاسْفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ لَمْ يَكْتَبَهُ اللَّهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا!.

فهلّموا إلى أن نتأمل في ما قاله صلوات الله عليه وآله فنكون ضيوفاً عند الله
سبحانه ونحضر عند مآدبته التي هي بسعة الوجود فننهل منها ما ندرج به في سلم
الكمال:

أيها الناس! العالم ليس مكاناً لتنشئة الجسد.
والرجل العاقل لا يبيع نفسه من أجل الدنيا.
النيام لا يدرون بترانيل العندليب والحيوان لا يعرف شيئاً عن عالم الانسان.
اشتر دواء التربية من شيخ الطريقة فالآدمي لا يعرف علة الجهل.
والوجه مهما بلغ من الجمال والفتنة لن يقوى على المشاهدة في المرأة
إذا لم يكن نورانياً.

وليل رجال الله نهار مفعم بالأنوار والنيرات ليست بحقيقة الليل الظلماني.
حذار من اتباع النفس فلا يوجد أخطر من هذا الغول المتوحش في الطريق
إلى الله.

يا رب لقد جئت من العدم إلى الوجود بلطفك.

ولطفك ساطع لا يخفى على أحد.

فان اخلصت لك وكنت عبداً مطيعاً فبلطف من سلطانك يا رب.

والذي يبأس من باب لطفك أين يولّي وجهه؟

فاصفح عنه يا من ليس له ثاني.. أنت الأوّل والآخِر!

الركوع في الروايات:

الركوع الذي هو من الواجبات الحتمية في الصلاة يؤديه المكلف في ادائه الصلاة شاء أم أبى، وما ورد في الروايات حول الركوع من تأكيد هو أداء الركوع بشروطه وفي طليعتها مراعاة الأدب والوقار والطمأنينة وأداء ذكر الركوع مع وعي لكلمات هذا الذكر.

وأيضاً ما ورد في الروايات من تأكيد في اطالة الركوع لأن الله سبحانه يحب من العبد اطالة حالة الركوع وان ذلك ممّا يغيظ الشيطان بشدة.

عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «وَعَلَيْكُمْ بِطُولِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَطَالَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ هَتَفَ إبْلِيسُ مِنْ خَلْفِهِ فَقَالَ يَا وَيْلَهُ أَطَاعَ وَعَصَيْتُ وَسَجَدَ وَأَبَيْتُ»^٢.

قال أبو جعفر عليه السلام: «مَنْ أَنْتَمَ رُكُوعَهُ لَمْ تَدْخُلْهُ وَخَشَتْهُ فِي الْقَبْرِ»^٣.

وانه ممّا دأب عليه العاشقون لله سبحانه في الركوع هو الخشوع الذي يؤدي بالانسان اذا غمرته هذه الحالة إلى افاضة الدموع فانه إذا دمعت العيون في

١- سعدي: مواظ. ١

٢- الكافي: ٧٧/٢، باب الورع، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٢٤٥/١٥، باب ٢١، حديث ٢٠٤٠٠.

٣- الكافي: ٣٢١/٢، باب الركوع، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٦٤/٧٩، باب ١٤، حديث ٨

الركوع أو في السجود بلغ الانسان الدرجات الرفيعة عند ربّه وكان ضيفاً في رحاب الله سبحانه وتعالى.

قال الله لعيسى عليه السلام:

«يا عيسى هَبْ لِي مِنْ عَيْنِكَ الدَّمُوعَ وَمِنْ قَلْبِكَ الْخَشْيَةَ وَقُمْ عَلَى قُبُورِ الْأَمْوَاتِ فَنَادِهِمْ بِالصَّوْتِ الرَّفِيعِ فَلَعَلَّكَ تَأْخُذُ مَوْعِظَتَكَ مِنْهُمْ وَقُلْ إِنِّي لَأَحَقُّ فِي اللَّاحِقِينَ»^١.

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِلَهِي مَا جَزَاءُ مَنْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَتِكَ؟ قَالَ: يَا مُوسَى أَقْبَى وَجْهَهُ مِنْ حَرِّ النَّارِ وَأَمْنُهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ»^٢.

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام: ما من شيء الا وله كيل ووزن الا الدموع فان القطرة تطفئ بحاراً من نار فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهاً قترٌ ولا ذلة فاذا فاضت حرّمه الله على النار.

«ولو أت باكياً بكى في أمة لرحموا»^٣.

أجل ان العبد إذا أدى الركوع بشروطه وحالاته غمره نور بهاء الحق ووهبه الله سبحانه كسوة الأصفياء وهي عبارة عن حالات روحية وأخلاقية تنال ممن اصطفاه الله واختاره فان أردنا معرفة أصفياء الله تعالى فلا مناص من مراجعة القرآن الكريم والآيات وما ورد في ذلك من الروايات.

١- عدة الداعي: ١٦٨، العاشر البكاء حالة الدعاء؛ وسائل الشيعة: ٧٦٧/٧، باب ٢٩، حديث ٨٧٧٢

٢- عدة الداعي: ١٦٩، العاشر البكاء حالة الدعاء.

٣- الكافي ٤٨١/٢، باب البكاء، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٢٧/١٥، باب ١٥، حديث ٢٠٣٤٣.

أصفياء الله في القرآن المجيد:

يذكر كتاب الحق تعالى بعض الوجوه ممن اختارها سبحانه لتكون قدوة للعالم أجمع فينهل الناس من كرامتها وأخلاقها وسننها ومناهجها الانسانية. والعلّة في انتخاب هذه الرموز البشرية من لدن الله سبحانه تكمن في الايمان والعمل الصالح وما انطوت عليه تلك النفوس من الطهر وسلامة القلب واشتملت عليه من العلم والعبادة والعبودية لله سبحانه وهي عبودية خالصة وما على الانسان الا أن ينهل منها على قدر ما يستطيع.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^١.

فاذا تأملت في تلك النفوس الطاهرة وجدت الايمان والعمل الصالح والخضوع والخشوع والحياء والصدق والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلاة والصوم والحج والانابة إلى الله والعلم والفطنة والبصيرة والقلب المفعم بالنور والشجاعة وجهاد النفس وتقدم العون لعباد الله ومواجهة الظلم دفاعاً عن المظلومين والخوف من الله وحده سبحانه والتوكل عليه وتزكية النفس وترك الذنوب والمعاصي والاستعداد للشهادة في سبيل الحق وذكر الله في كل وقت وعدم نسيان الموت.

ورموز بهذه الصفات وهذه الأخلاق كيف لا تكون قدوة وأسوة وكيف لا ترقى لتكون المثال للبشرية.

إن رسول الله ﷺ يوجه لها التحية والسلام من لدن الله سبحانه.

جاء في كتاب الله عز وجل قوله تعالى:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾^١.

أجل هكذا ترقى النفوس الطاهرة فاذا الله تبارك وتعالى يخاطب نبيه ليوجه لها التحية والسلام من لدن الله سبحانه.. فالى مدى يمكن للانسان أن يرقى وأن يحلّق في عالم الملكوت السامي وإلى أي مدى يتسامى بنفسه ليصل إلى مراتب عالية فاذا هذه النفوس لا يبقى منها شيء إلا بما يتصل بالله والعبودية له وحده وفي هذه المرتبة يصل الانسان اسمى ما يكون عليه من الكمال.

هكذا اهيم بك حتى ليسكرني شذاك فاذا أنا لا أعلم بما في العالمين.

واذ لا أرى شيئاً فخليلي حطم أصنام الأمانى كلها.

لم يعد هناك مجال للنوم فالخيال يهيم في صرح العارفين.

في القفص أنا أسير حبك وفي قدسك سأبقى ما دمت حياً.

مطيع رأيك أبقى وان شئت احترقت.

أسير حكمك أبقى ان شئت شئت^٢.

عباد الله:

الله سبحانه يقسم عباده إلى ثلاثة أقسام يشير إليها في كتابه المجيد وقرآنه الكريم:

١- النمل ٢٧: ٥٩.

٢- سعدي.

قسم من عباده ظالم وقسم مقتصد في حياته وقسم قد سبق للخيرات وهم عباده الذين اصطفى.

قال سبحانه وتعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^١.

المصطفون من لدن الله سبحانه:

وقد ذكر القرآن الكريم الذين اصطفاهم الله عزوجل فجعلهم معياراً لعباده وميزان لخلقه وعنواناً للحياة الالهية.

قال سبحانه:

﴿وَأذْكَرُ عِبَادِنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾^٢.

وقال عزوجل:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٣.

١- فاطر ٣٥: ٣٢.

٢- ص ٣٨: ٤٥ - ٤٧.

٣- البقرة ٢: ١٣٠.

وقال تبارك وتعالى:

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي
وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^١.

وقال عز من قائل:

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^٢.

وقال تبارك اسمه:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^٣.

أجل كما قال الامام الصادق عليه السلام انه لا يركع الانسان ركوعاً حقيقياً إلا غمره الله بنور بهائه وأظله سبحانه بالعزة، والركوع في الحقيقة يعني خضوع الوجود الانساني روحاً وجسماً وعقلاً ونفساً؛ خضوع طاعة وتسليم لله سبحانه هنا لك يسطع النور الإلهي فيغمر الإنسان ثمناً لهذا الركوع، فتظهر آثاره في الايمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة وسائر الحقائق؛ فينهل الانسان من بحر المعرفة ويسطع نور الحقيقة على القلب والروح فاذا الانسان يسبح في بحار الحب والعشق. عاشقون نحن نهيم بالعبادة ننهل الفرح سكارى هائمون.

١- الاعراف ٧: ١٤٤.

٢- البقرة ٢: ٢٤٧.

٣- آل عمران ٣: ٤٢.

كعبة الحب قلب عاشق فغيره ليست سوى أصنام وأوثان ولقد كسرناها جميعاً.
ليس سوى قدس زلف الحبيب وقد جننا نطلب السكر في ظلال الحب.
قد قطعنا التعلّق بغير الحبيب، نحن لا ننشد سوى حب الحبيب قد أنبنا
إليه من كل ذنب واثم.

لم نر الوفاء إلا من المعشوق فقطعنا دونه الأسباب الآ السبيل إليه.
السالكون في طريق الحجاز في طريق الوصل صوب كعبة الاحرام
للعشق شدوا الرحال.

ما الذي نعرفه من الحسن والقبح إلا به نحن منه وما لدينا له وإليه.

«وَالرُّكُوعُ أَوَّلٌ وَالسُّجُودُ ثَانٍ فَمَنْ أَتَى بِالْأَوَّلِ صَلَّحَ لِلثَّانِي»

الركوع، الحقيقة الاولى:

يقول الامام الصادق عليه السلام ان الركوع هو الحقيقة الاولى ثم يليها السجود في المرتبة الثانية فاذا تحققت الاولى تحققت الحقيقة الثانية وهي السجود فالركوع أولاً ثم السجود.

أجل ان عبادة الحق سواء في الظاهر والباطن إنما هي سلم لا يرقى الانسان إلى الدرجة الثانية إلا بعد أن يرقى الدرجة الأولى فان الارتقاء بسلم الكمال يتطلب التدرج من مرحلة إلى أخرى.

وان الذي يريد أن يتدرج بسلم الكمال حتى يصل المراتب العليا عليه أن يلتزم المراحل والمنازل والأفلن يصل إلى شيء، ولن يكون شيئاً.

فمثلاً ان الوضوء والغسل أو التيمم إنما هو مقدمة للولوج الى العبادة فالذي لا يطوي منزل الطهر لن يكون مؤهلاً للولوج منزل العبادة وبلوغ هذه المرحلة.

ومن غفل عن منزل الطهارة لن ينفعه شيء حتى لو أدى آلاف الركعات ومن لم يتطهر بالغسل الواجب في شهر رمضان لن يلج منزل العبادة في شهر رمضان مهما صام من الأيام. ومن ورد الطواف دون الطهارة لن يبلغ منزل الصلاة والطواف في الحج وسيكون حجّه باطلاً لا ثمرة فيه ولا عطاء ومهما سعى لن يصل الى شيء.

ومن لم يؤد شروط تكبيرة الاحرام لن يلج مملكة سورة الحمد ولن تتحقق في داخله حقائق هذه السورة ولن تنكشف له حقائق السورة ومن لم تتحقق لديه حقائق الحمد لن يبلغ حقيقة الركوع وان سجد فلن يبلغ مرحلة السجود.

وكلّ المنازل والمراحل والمسائل هي من قبيل ذلك فمثلاً الذي لا يدرك ان الدنيا مقدمة للآخرة وأن الدنيا مزرعة الآخرة وعالم القيامة لن يبلغ رضا الله يوم القيامة ولن يلج المقام الذي ارتضاه الله لعباده في جنات الله والرضوان الالهي.

والذي هو منغمس في الدنيا معتبراً اياها الهدف والغاية والقبلة فانه حين الموت لن يكون الأعلى حال مادية ثم هو في البرزخ لا يملك الا من بصر الا ما كان يبصره في الدنيا ووسائل الدنيا لا تعبر إلى وتنتقل إلى عالم البرزخ لأنه لم تكن لديه الا الدنيا فهو في البرزخ غريب ووحيد يعيش في الظلمات ولأنه لم يأخذ معه من الزاد الى يوم القيامة فانه لا يملك يومئذ سوى الحسرة والندم والاحساس بالشقاء والخسران ومن ثم السقوط في هاوية العذاب في جهنم ونس المصير.

اعمال الانسان في الدنيا والآخرة:

الانسان في الدنيا من جهة هو كالفلاح والمزارع عمله الفلاحة والزراعة والدنيا مزرعته وحقله فاذا حان موته حان وقت الحصاد وفي عالم الآخرة ويوم القيامة يكون البيدر.

لا يملك المرء إلا ما قد زرع ولا يحصد إلا ما قد زرع واذ نرى في موسم الحصاد البيادر والقبان والامناء والحراس والمحاسبون والسجلات فان يوم الآخرة هكذا وقد قال الله عزوجل عن يوم القيامة:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾

وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١﴾

وقال عز وجل:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا

تَفْعَلُونَ﴾^٢

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^٣

وإذ يفصل الحب عن التبن في يادر القمح فهكذا يوم القيامة يميز الله

سبحانه في يادر الأعمال بين الخبيث والطيب.

قال الله عز وجل:

﴿لَيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلِ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ

عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ﴾^٤

وفي مضمار ما قام به الكفار من سعي في الدنيا ومن أعمال لا يبغون من

ورائها إلا الدنيا فاذا حلّ يوم القيامة كانت العاصفة الكبرى التي ستبدهم وما

كانوا يعملون.

١- الأنبياء ٢١: ٤٧.

٢- الانفطار ٨٢: ١٠-١٢.

٣- الزمر ٣٩: ٦٩.

٤- الأنفال ٨: ٣٧.

قال سبحانه:

﴿مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾^١.

فاذا هم عاجزون مستسلمون لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً لأنهم عاشوا في الدنيا في ضلال وظلام.

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^٢.

فاذا كل ما صنعه جاء في هباء لأنهم لم يكون يعملون ليوم القيامة أما من كان يعمل للآخرة فان الله سيبارك عمله وسيكون من أعماله زاده في الطريق إلى الآخرة.

قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾^٣.

لكن من يعمل للدنيا فقط ولا يرجو الآخرة فسوف يضيع عمله لأنه من يعمل للباطل لا يحصد سوى الباطل ومن يسعى وراء السراب لن يبلغ نبع الماء.

قال الله تبارك وتعالى:

١- ابراهيم ١٤: ١٨.

٢- الفرقان ٢٥: ٢٣.

٣- الاسراء ١٧: ١٩.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^١!

ومثل أعمال الانسان للدنيا والمادة كمن يزرع شجرة لا ثمر من ورائها ولا نفع كمن يزرع الشوك والعليق والحنظل؛ فما الذي يحصد من يزرع الأشواك سوى الأشواك ومن يزرع الحنظل سوى المرارة؛ انها قد تبدو خضراء في الربيع ولكن ما هي الثمار من وراء ذلك الزرع؟!

ومن كان يرجو الآخرة في العمل والحياة في الدنيا كمن يزرع أشجار النخيل والأعناب فقد يكون منظرها في الشتاء موحشاً ولكن ما إن يحل موسم قطف الثمار فاذا النخيل تهب الرطب الحلو والظلال واذا الأعناب تملأ السلال وإلى هذه الحقيقة أشار ربنا ذوالجلال:

﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^٢!

١- هود ١١: ١٥-١٦.

٢- ابراهيم ١٤: ٢٤-٢٦.

فالدنيا لها ظاهر براق وباطن مرّ المذاق هذه هي الدنيا لمن كان يعمل للدنيا غافلاً عن الآخرة ويوم القيامة ومن أجل ذلك يحذر الانسان من ان يغتر بالدنيا.
قال سبحانه:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾^١.

فالانسان لا يتيسر له السجود الحقيقي إلا بعد أن أذى الركوع على حقيقته فمن ولج منزل الركوع يلج فيما بعد منزل السجود ويبلغ هذه المرحلة من العبادة. والركوع مقام الخضوع ومحلّ خشوع القلب وفي هذا المقام يبلغ الانسان غاية التواضع في رحاب المحبوب حيث العبد غارق في بحر الحياة في حضرة علام الغيوب لأنه كان في مقام القيام يخاطب الرحمن الرحيم قائلاً: إياك نعبد وإياك نستعين وقد بلغ مرتبة المشاهدة لعظمة الخالق وعجز المخلوق؛ قد أدرك نقصه وعجزه وحاجته وذلته واستشعر قصوره وتقصيره وما اقترفه من المعصية فاذا هو مطأطئ رأسه حياءً وخجلاً معترفاً بذنبه منيباً إلى ربه قد استغرقه الحياء الذي لف بني إسرائيل لما عبدوا العجل من دون الله فاذا هو لا يرفع رأسه حياءً من ذلك العمل الفظيع والفعل الشنيع.

واذن لما أكل آدم من الشجرة الممنوعة استحق الطرد من النعيم ومن رحاب الرب الرحيم لأنه قد وقع في فخ العصيان وغفل عن وجه الرحمن قد هوى عمل النفس وسمع وسوسة الشيطان فراح يرتع في مراتع الغفلة والنسيان قد استهواه خنزير الشهوة وفتنه كلب الغضب وعبد العجل فكيف لا يطأطئ برأسه حياءً

وخجلاً في حالة الركوع وكيف لا يستغفر ربّه من خاف ذنبه وكيف لا يهتف من أعماق قلبه قائلاً: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ».

ما الذي القيه عند قدميك لا يليق بشأنك ان رأسي لا يليق أن يكون عند قدميك.

سعيد من كان وجهه وجهه طول العمر الى وجهك وهو لن يسعد إلا عند ما تنظر اليه.

كل ذرات وجودي وأجزاء وجودي في مسكنة الأ التي كانت عالقة بهواك.
فالي أن أجد لقلبي مكاناً لديك لن أكون سعيداً راضياً إلا بك.
وما أجمل انين العاشقين المأ على أمل دوائك.

لن يبلغ «سعدي» المجد لو ملك الدنيا ان مجده هو أن يكون سائلاً
يشحذ منك!

«فَارْكَعْ رُكُوعَ خَاشِعٍ لِلَّهِ بِقَلْبِهِ مُتَذَلِّلٍ وَجِلِّ نَحْتِ سُلْطَانِهِ حَافِظٍ لَهُ
بِجَوَارِحِهِ حَفِظَ خَائِفٍ حَزِينٍ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ فَائِدَةِ الرَّكْعَيْنِ الرَّكُوعِ،
مظهر الخشوع»

وهنا نرى الامام الصادق عليه السلام يدعو إلى الركوع بقلب خاشع لله سبحانه بقلب مفعم بالتذلل والخوف والخشية مستشعراً سلطان الله عزوجل مع احساس بالحزن على ما فاته من الفوائد التي يحصل عليها الراكعون. فليكن الركوع تاماً كاملاً واعلم أنه لو لا المولى عزوجل ما كانت لك همّة للقيام فاهرب من حيل الشيطان وتجنب وساوسة ولا تصغ إلى همزاته وتواضع لله ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وان المرء اذا ركع ركوع الخاشعين استشعر حقيقة التواضع لله وفي هذا المقطع المعبر حول الركوع ثمة لطائف و اشارات:

أولاً: ان الركوع عبارة عن الخشوع و اظهار المسكنة والتذلل لله عزوجل وأن يدرك العبد ويقر بأن مجرد القيام لخدمة الحق تعالى لم يؤد حق الخدمة واذن عليه أن يلجأ إلى الله بهذه الحالة متحسراً على ما فاته من فوائد الركوع وما حصل عليه الراكعون.

ثانياً يستحب عند الركوع أن يكون الظهر مستوياً وهذه الحالة اشارة إلى أنه

مهما بلغ من القيام فهو مقصّر الأانه بالخضوع والذلة واطهار الحاجة التامة والفقر المطلق لله عزوجل يدخل رحاب الله.

ويستحب أيضاً وعلو على استواء الظهر أن يقوم الراكع بالتجنيح أي يفرد عكسيه في حال الركوع كما ينشر الطير جناحيه وفي هذا إشارة إلى نفي القدرة والحوّل عن النفس والاتكال على الله سبحانه وحده واطهار الخشوع والتذلل والاخلاص في كلّ ذلك وان هذا القيام لخدمة الحق تبارك اسمه لم يكن ليحصل لو لا عون الله وتوفيقه سبحانه.

ثالثاً: الانحناء الركوعي يرمز الى الانحطاط عن المرتبة التي كان عليها وهي حالة القيام لأن في حالة القيام حالة من التشارك في صف القيومية مع القيوم الحقيقي ولو في الاسم وباطهار الخضوع والذلة والخلوص في الاعتقاد بأن هذا القيام إنما كان لله سبحانه وبالله وانه لم يكن إلا بحول الله وقوته.

رابعاً: ان الانحناء الركوعي يرمز الى ان العابد المتأله قد قرّر في صميم قلبه الفرار من وساوس الشيطان، ذلك انه لعلّ يخطر في باله حالة القيام نوع من الاستقلال والمشاركة والمدخلة في الأمور وهذا من وسوسة الشيطان الخبيث، وان العبد اذا فرّ من وسوسة الشيطان ولجأ الى الرب المنان بقلب خاشع ونفس متذلة فان الله ينشر عليه رحمته ويرفعه بقدر تذلكه ويهبه بمقدار خضوعه وخشوعه لأن من تواضع لله سبحانه وتعالى فان الله يرفعه بقدر تواضعه.

«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ»^١.

وقد سئل الامام علي عليه السلام عن معنى مد العنق في الركوع فقال عليه السلام: تأويله

١- الكافي: ١٢٢/٢، باب التواضع، حديث ٣؛ تحف العقول: ٤٦؛ بحار الأنوار: ٢٦٥/١٦، حديث ٦٤.

آمنت بوحدايتك ولو ضربت عنقي^١.

جاءني في السحر هاتفي من زقاق الحبيب.

قال ايها العاشق لوجه الحبيب في طير اللاهوت عرش وعش.

وفي بلبل الحديقة حبيب. لا تجلس على ذرى صنوبره الجنة واذكر

قامة الحبيب ما الذي رآه يوسف مصر فتعلق بالحبيب...

اغمض عينيك عن مشاهدة الدنيا وافتح البصر على حسن وجه الحبيب...

لأنني وان كنت خاطئاً وقيحاً سأبقى أرنو...

لأن لطف الحبيب وعفوه وكرمه ينالني.

لا تكن غافلاً عن المحبوب ووجهه الذي يتألق في المرأة^٢.

١- من لا يحضره الفقيه: ٣١١/١، باب وصف الصلاة، حديث ٩٢٧؛ علل الشرايع: ٣٢٠/٢، باب ١٠،

حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٣٢٥/٦، باب ١٩، حديث ٨٠٩٥

٢- الهى قمشأي.

«يُحْكِي أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ خَثِيمٍ كَانَ يَسْهَرُ بِاللَّيْلِ الْفَجْرَ فِي رُكُوعٍ وَاحِدٍ فَإِذَا أَصْبَحَ يَزْفِرُ وَقَالَ: آهَ سَبَقَ الْمُخْلِصُونَ وَقُطِعَ بِنَا»

وهنا يروي الامام الصادق عليه السلام عن ان الربيع بن خثيم انه كان يمضي الليل راكعاً حتى يطلع الفجر فاذا طلع الفجر اطلق آهة حرى قائلاً سبق المخلصون وتخلّفت.

من هو الربيع:

احتدم الخلاف بين العلماء حول شخصية الربيع بن خثيم فقد عدّه البعض من شيعة أهل البيت المخلصين ومن المؤلفين المعدودين مثل المولى سلطان حسين الواعظ الاسترآبادي وهو من المعاصرين للشيخ البهائي، فقد جاء في كتابه الموسوم بـ«تحفة المؤمنين»: ان الربيع كان من أصحاب الامام الحسن وان خير استشهاد الامام لما وصل إليه بكى كثيراً حتى ضعف بصره وعمي.

فقيل له ألا تعالج عينيك!؟

قال: اني لفي شغل عن ذلك.

فقال له الرجل: فادع الله أن يعيد إليك البصر!

فقال الربيع: ادعو الله في ما هو أهم من ذلك.

وقيل ان الربيع بن خثيم كان قليل الكلام ولم يتكلّم في شيء من أمور الدنيا.

وكان كلامه موعظة ونصحاً وانه لمّا بلغه خير استشهاد سيّد الشهداء الحسين عليه السلام تأوه ثلاث آهات ثم لم ير بعد ذلك متكلماً ولا متبسماً^١. وكان يومها في مدينة طوس يعظ الناس ويبلغ في النصح إليهم. وقد عدّه الراوي (المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي) في «سفينة البحار»^٢ من رجال وثقة الشيعة ورد على من خالف ذلك.

وكذا استدللّ المرحوم السيّد هبة الدين الشهرستاني صاحب كتاب «الهيئة والاسلام» على صحة ايمانه ومذهبه وتشيعه ورد أيضاً على من ذهب إلى غير ذلك. ويعزو انصراف البعض عنه الى ان نصر بن مزاحم مؤلف كتاب «صفيين» نقل بأن الربيع من جملة الذين شكوا في حقانية حرب الامام علي عليه السلام في واقعة صفيين وانه طلب من الامام أن يبعث به إلى الحدود للحرب ضد الكفار! على ان غالبية العلماء من الشيعة يوثقون الربيع ويقطعون بايمانه وصلاحه. وذكر اسمه في أكثر من مرّة في رواية الامام الصادق في كتاب «مصباح الشريعة» وتقديمه قدوة للآخرين فانه ينضمّن دلالات عديدة في طليعتها انه من أصحاب الأئمة عليهم السلام وعادة ما يقوم الامام المعصوم في هدايته للناس بلفت الأنظار الى أعمال بعض أصحابهم.

كما يحتمل ان مؤلف كتاب مصباح الشريعة هو الذي اقحم اسم الربيع لتوضيح مفهوم الرواية وان الرواية عنه جاءت جملة اعتراضية ويبقى هذا الأمر مجرد احتمال وتفسير لورود اسم الربيع بن خثيم والعلم عند الله.

١- سفينة البحار: ٢٩٣/٣، باب الرأء بعده الباء.

٢- سفينة البحار: ٢٩٤/٣، باب الرأء بعده الباء.

«وَأَسْتَوْفِ رُكُوعَكَ بِاسْتِوَاءِ ظَهْرِكَ وَأَنْحَطَّ عَنْ هَمَّتِكَ فِي الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ إِلَّا
بِعَوْنِهِ، وَقَرَّ بِالْقَلْبِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَخَدَائِعِهِ وَمَكَايِدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يَرْفَعُ عِبَادَهُ بِقَدْرِ تَوَاضُعِهِمْ لَهُ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى أَصُولِ التَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ
وَالْخُشُوعِ بِقَدْرِ إِطْلَاعِ عَظَمَتِهِ عَلَى سَرَائِرِهِمْ»

هكذا يختم الامام الصادق كلامه حول الركوع أن يقوم العبد باستيفاء
الركوع باستواء الظهر وأن يستشعر ان القيام كان لله بالله سبحانه وانقاد القلب من
وساوس الشيطان وخدعه ومكائده ذلك ان الله سبحانه إنما يرفع من قدر عباده
على قدر تواضعهم له وهو الذي يهديهم إلى أصول التواضع والخضوع
والخشوع وهذا يحصل من علم الله سبحانه على السريرة والأعماق والحقيقة.

الباب

(١٦)

في آداب السجود

«قال الصادق عليه السلام: ما خسرَ والله من أتى بحقيقة السُّجود ولو كان في العُمُر مرَّةً واحدةً.»

وما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمُخادعٍ لنفسه غافلٍ لا يعمدُ أعداءَ الله للساجدين من البشر العاجلِ وراحة الأجلِ.
ولا بعدُ عن الله أبداً من أحسنَ تقربهُ في السُّجودِ ولا قربَ إليه أبداً من أساءَ أدبه وضيعَ حرُمته وتعلقَ قلبه بسواه.

فاسجدُ سجداتٍ متواضِعٍ لله ذليلٍ علمَ أنه خلقَ من ترابٍ يطأه الخلقُ وأنه اتخذك من نطفةٍ يستفدِرُها كلُّ أحدٍ وكونَ ولم يكنُ.

وقد جعلَ الله معنى السُّجودِ سببَ التقربِ إليه بالقلبِ والسرِّ والروحِ فمن قربَ منه بعدَ من غيره.

ألا ترى في الظاهرِ أنه لا يستوى حالُ السُّجودِ إلا بالتوازي عن جميعِ الأشياءِ والأهتِجابِ عن كلِّ ما تراه العيونُ كذلك أرادَ الله الأمرَ الباطنِ.

فمن كان ظنه متعلقاً في صلواته بشيءٍ دونَ الله فهو قريبٌ من ذلك الشيءِ بعيدٌ عن حقيقة ما أرادَ الله من صلواته قال الله تعالى: ما جعلَ الله لرجلٍ من قلوبينِ في جوفه.

قال رسولُ الله ﷺ: قالَ اللهُ تعالى: لا أطلعُ على قلبِ عبدٍ فأعلمُ فيه حُبَّ الإخلاصِ لطاعتي لوجهي وأبتغاءِ مرضاتي إلا تولَّيتُ تقويمه وسياسته.

ومن اشتغلَ في صلواته بغيري فهو من المُستهزئينِ بنفسه مكتوبٌ إسمه في ديوانِ الخاسرينَ.»

«ما خَسِرَ وَاللَّهِ مَنْ أَتَى بِحَقِيقَةِ السُّجُودِ وَلَوْ كَانَ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً»

حقيقة السجود:

يقسم الامام الصادق عليه السلام: وهو الامام المعصوم المفترض الطاعة على الناس انه لن يخسر أبداً من سجد لله مجسداً حقيقة السجود ولو في العمر سجدة واحدة!!
ان قصة السجود في المعارف الالهية العليا قصة مذهشة وعظيمة فلا يوجد في طقوس العبادة طقس مثل السجود لله تبارك وتعالى بل لا يكون الانسان أكثر قرباً من خالقه وسيده وربّه وربّ العالمين منه إلا في السجود الحقيقي الذي يتحقّق بحضور القلب والفؤاد أنّها الحالة الأسمى للانسان المؤمن في التعبير عن ذروة العبوديّة لله عزّوجلّ وعند ما يؤدّي الانسان السجود الحقيقي حينئذٍ تفتح عليه البركات السماوية وتغمره النعم الالهية.

وإذا ما أذى الانسان هذه العبادة وهوى ساجداً لله بقلبه ومشاعره و بكيانه ووجوده فان الوجود بأسره سوف يسجد معه لأن الانسان يكون قد وصل مرحلة الكمال بحيث تأتمّ به الكائنات.

والسجود تعبير عن العبوديّة و اظهار للحب و ابراز عن العشق لله سبحانه والتدلل في حضرته سبحانه وتعالى.

وعند ما يضع الانسان جبهته على الأرض ساجداً لله فإنه يقول أنه لا وجود للانسان مستقلاً عن الله بل لا وجود للوجود بأسره إلا بالله.

هنالك يعبر الانسان انه لا يهوى أحداً إلا الله وأنا لا إله إلا الله.

هنالك عند ما يتخلص الانسان نرجسيته؛ يدرك انه لا وجود له إلا به له المجد...

ينبغي الأ يبقى منك قيد شعرة وأنت تسلك الطريق اليه.

وتواضع في هذا المسير كما النهر يجري نحو البحر الكبير...

فان بلغت البحر فلتذب في ذلك المحيط بحيث تفنى فيه...

وعند ما تتطهر من نفسك في مياه البحر يكون ثوبك قد تطهر.

وليكن لك وجهاً واحداً فهناك يفتضح ذو الوجهين^١.

وفي مسألة السجود يتوجب أن نستقصي بداية هذه المسألة في القرآن الكريم ثم في الروايات وأن تدرس في ضوء ذلك على قدر طاقتنا نحن البشر الضعفاء لكي نستخلص من ذلك على قدر فهمنا وادراكنا؛ فنهل على قدر ما نستطيع ادراكه من معاني السجود؛ بحيث نتخطى شكل هذه الحالة الى ما هو أبعد وأعمق مما ينطوي عليه السجود من المعاني؛ حيث الحالة البدنية جزء معبر عن الشكل فقط أما المعاني فهي أعمق وأرقى من ذلك بكثير.

معنى سجود المعنوي:

إن أرباب اللغة وبخاصة كبار المفسرين للقرآن الكريم وعلماء الحديث من قبيل العلامة المجلسي رحمته الله قد بينوا معنىً جامعاً لمفردة السجدة وخلاصة ذلك

١- عشاقنامه، فخرالدين العراقي.

انها غاية الخضوع ونهاية التذلل والانقياد في رحاب ربّ الأرباب سواء كان ذلك بارادة واختيار أو بالقهر والاجبار والاضطرار.

فالجمادات في عالم الوجود والخليقة مخلوقة دون ارادة وهي منقادة خاضعة تمام الخضوع مستسلمة للمولى عزوجلّ فهي ساجدة في حضرة الحق منقادة تسبح بحمد ربها تتحرك في مدارها تعبّر بلسان حالها عن فقرها المطلق وافتقارها التام. أمّا الحيوانات التي هي أرقى في احساسها بدرجة أو درجات من الجمادات فهي كما الجمادات ولكن تعبر عن سجودها وخضوعها بمفهوم ومعنى أوسع فهي منقادة في حياتها ضمن ما حدّد لها من مسار؛ فهي بذلك في حالة خضوع وسجود وانقياد.

أمّا أصحاب العقول والارادة كالانسان فانه ينطوي على اجزاء في تكوينه هي خارج إرادته منقادة لخالفها فالميلاد والموت وخفقان القلب ونبضاته والدورة الدموية في جسمه إنّما هي في حالة سجود وانقياد للخالق عزوجلّ.

وأما من جهة الارادة والجانب التكليفي فتمة قسمين ومجموعتين:

الملائكة وهم المعصومون من الخطأ فهم في حالة سجود دائم منقادون خاضعون في كلّ حياتهم للخالق تبارك وتعالى وهم في حالة تذلل وخضوع ينفذون أمر الله سبحانه ولا يعصونه أبداً.

وهناك مجموعة أخرى فهي تنقسم إلى قسمين أيضاً قسم منهم يطيع الله سبحانه ويلتزم أوامره في الحلال والحرام وهم عباده المؤمنون الصادقون المطيعون ويتعبير القرآن هم الساجدون.

والقسم الآخر اولئك الذين يتمرّدون على شريعة الله ويعصونه وانقادوا لأهوائهم

وغرائزهم وشهواتهم الحيوانية وسوف نتحدث في المستقبل عن هذين القسمين. وعلى هذا فإن السجود هو غاية الخضوع ونهاية التواضع والانقياد لشريعة الحق تبارك وتعالى التي بينها في كتبه السماوية وبشر بها أنبيأؤه ورسله والأوصياء المنصوبون من لدنه وفقهاء الدين.

والسجود في الصلاة يعبر عن جزء صغير من معناه العام والواسع وسوف نتحدث في الفصول القادمة عن السجود بهذا المعنى وهذا المفهوم؛ فعسى الله سبحانه أن يوفقنا بلطفه إلى أداء هذا السجود لكي تنتظم حركتنا مع اجزاء الخليقة في مسارها نحو الحق.

السجدة في القرآن الكريم:

يذكر القرآن الكريم مسألة السجود في عدة مراحل:

١ - سجود الكائنات.

٢ - سجود أهل الطاعة والعبادة.

٣ - تكبر إبليس وتمردّه على السجود ومآله المشؤوم.

٤ - تكبر الجهال من البشر على السجود وعاقبة أمرهم.

٥ - النهي عن السجود لغير الله.

ونتطرق بتوفيق الله سبحانه إلى الحديث عن أربعة مما ورد أعلاه:

١- سجود الكائنات:

يشير القرآن الكريم في العديد من آياته إلى ان عالم الوجود في حالة سجود للحق وان العالم بأسره يتحرك في نظام متقن الصنع لكل كائن مساره ومداره

فكل الكائنات سواء في الأرض أو السماء سواء في اليابسة أو البحار إنما هي في حالة سجود يقول القرآن الكريم:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^١

ويشير النص في آخره إلى أنّ التمرد عن السجود يعني التمرد على طاعة الله وعبادته وبالتالي فإن المتمرد على السجود تسقط كرامته فهو مهين لا قيمة له عند الله ولا يستحق التكريم الإلهي.

أجل ان العزة والكرامة الانسانية بل واستمرار الحياة في عالم الوجود إنما هو معلول لسجودها له سبحانه وخضوعها وانقيادها له عزوجل.

وما أقيح بالانسان وما أشقاه وما أتفقه إذا تمرد على طاعة الله ولم يسجد في حضرته؛ ان مصير الذين يتمردون على الله تبارك وتعالى هو السقوط في هاوية الجحيم والعذاب الأليم.

هلموا نشكر الله على احسانه ونعمه ومنته وكراماته ونسجد له طائعين خاضعين نعبده ولا نعبد سواه.

وجاء في القرآن الكريم أيضاً في مضممار السجود:

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالَهُ عَنِ الْأَيْمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ ﴿١﴾

كما جاء كذلك قوله عز وجل في كتابه الكريم:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلَالًا لَهُمُ الْغُدُوُّ وَالْأَصَالُ﴾ ١.

وحتى النباتات والغابات والحدائق والزهور وكل ما ينجم من قلب التراب
من نبات هو في حالة سجد لله.
قال سبحانه:

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ٢.

٢- سجد أهل الطاعة والعبادة:

اولئك الذين وضعوا أقدامهم في وادي المعرفة الفسيح وانتهلوا من نور
البصيرة ووعوا في النهاية ربوبية والوهية الحق وعبودية العبد المملوك واعترفوا
وأقروا بكل كيانهم ووجودهم يدركون ان من الحتم عليهم واللازم أن يطيعوا
تعاليم الأنبياء وارشادات الأئمة الأطهار في القيام للعبادة وأداء الطاعة للحق
تعالى والسجود في رحابه وحضرته؛ لقد وعوا حقيقة السجود الذي يعني كمال
الانقياد والخضوع التام والتذلل له سبحانه والتزام أوامره ونواهييه وقد ذكر القرآن

١- النحل ١٦: ٤٨ - ٥٠.

٢- الرعد ١٣: ١٥.

٣- الرحمن ٥٥: ٦.

الكريم هؤلاء وأشار إلى انهم مباركون وانهم عباد الله المكرمون فهم يعملون الصالحات ويسارعون الى الخيرات:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^١.

ومن هاتين الآيتين يستفاد بأن ثمة أمة من أهل الكتاب دائمو السجود لله والطاعة له فهم يؤمنون بالله ويدعون إلى عمل الخير وينهون عن الشر قد استجابوا لله وللرسول.

وأشار القرآن الكريم إلى سيماء السجود وقد تجلّى في وجوههم.

﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^٢.

وقد بارك القرآن الكريم هؤلاء وأشار إلى رضا الله عنهم:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنْاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^٣.

كما أشار القرآن الكريم أيضاً إلى ان هؤلاء هم عباد الله الحقيقيين وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾^٤.

١. آل عمران ٣: ١١٣ - ١١٤.

٢. الفتح ٤٨: ٢٩.

٣. الزمر ٣٩: ٩.

٤. الفرقان ٢٥: ٦٤.

وكذا في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ
لِلَّذِّقَانِ سُجَّدًا﴾^١!

ونقرأ في آية أخرى قوله عز وجل:

﴿إِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^٢!

هؤلاء عباد الله الذين يذكرونه ويخرون ركعاً وسجداً وتفيض أعينهم بدموع الحب الالهي. أجل أنهم يجدون لذتهم في المعرفة والتسبيح لله والترنم بمجده وعظمته فهم قد عوا الوهية الحق وعبودية الانسان فاذا هم في التواضع له قد بلغوا الكمال وفي التذلل قد بلغوا الذرورة.

خصائص السجود علماً وعملاً:

وقد أشار القرآن الكريم أيضاً الى ان السجود من سمات عباد الله الحقيقيين

فالسجود دأبهم وديندتهم وركن ركين في سلوكهم قال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ﴾^٣

١- الاسراء: ١٧: ١٠٧.

٢- مريم: ١٩: ٥٨.

٣- السجدة: ٣٢: ١٥ - ١٦ هذه الآية فيها سجدة واجبة.

يقول فيلسوف الاسلام صدر المتألهين الشيرازي في توضيح هاتين الآيتين:
والزهد الحقيقي يقضي بالعبد إلى حالة التذكر الدائم والذكر المستمر بحيث
تتجلى أنوار المواعظ والأمثال والحكم في فؤاده على نحو دائم.

وفي الحقيقة ان عقله وروحه تتوحد مع معارفه، وفي هذه الحالة يستقي
الفوائد وينهلها من مواعظ القرآن والتقوى ويصل إلى هذه النتيجة؛ وهي ان
ظاهر الدنيا لا قيمة له ولا خطر وان الطريق الوحيد هو طريق الله والصراف
المستقيم؛ وفي هذه النقطة حيث يلتقي قلبه الصافي بالمعارف والقطرة الطاهرة
النقية بالحقائق فإنه يختر ساجداً بكيانه ووجوده كله معقراً بجبهته بتراب رحاب
الله منقاداً مستسلماً للرب تعالى فيتسامى من هيكل الحيوانية بالسجود مسافراً إلى
مقام الانسانية.

وهذه نتيجة الهيام بالمعارف الالهية والحقائق الربانية، إذ لا أثر للقلقة اللسان
والعلم من دون برهان ومكاشفة، فهذه المراتب من خواص علم العارفين بالله
وآيات الله وهذا العلم أساس الدين وجذر بقية الحسنات.

٢- وبعد أن يتجلى هذا العلم ويتزین العبد بالمعرفة البرهانية او الكشفية سوف
تتجلى له الحقيقة في مقام التسبيح والتفديس والتحميد، لأنه من طريق هذه
المعرفة يبلغ هذه الحقيقة في ان الوجود الأقدس للحق منزّه.

ان هناك ثلاث خصائص علمية قلبية وثلاث خصائص عملية جسمية للمؤمن
المذكور في هاتين الآيتين فكلمة الشهادة من دون المعرفة البرهانية أو الكشفية
لا توجب الخلاص من الشقاء الذاتي العلمي وبعبارة أخرى ان العلم وحده الذي
هو حصيلة التعلم سلسلة أفاظ من دون التعمق البرهاني أو الكشفي في مفهومه
وحقيقته ليس علة النجاة ومجرد الأعمال البدنية من دون تهذيب وتركيبه الباطن

هي كذلك لا توجب النجاة من العذاب الأليم.

أما الصفات العلميّة القليّة التي يبلغ صاحبها حقيقتها فهي عبارة عن:

١- ذكر الله.

٢- التسبيح و الحمد بالحقيقة.

٣- التخلّص من الكبر أمام الحق.

أما الخصائص والصفات العمليّة الجسميّة فهي عبارة عن:

١- النهوض من فراش النوم في منتصف الليل والقيام للعبادة.

٢- الدعاء في جوف الليل.

٣- الانفاق ممّا رزق الله.

وأما شرح كلّ واحدة من الخصائص العلميّة القليّة والعمليّة الجسميّة:

١- إنّ الذكر الحقيقي هو الباعث على السجود الحقيقي على هذا النحو وهو أن العبد بادراكه المعارف الالهية والاستفادة من الحقائق الايمانية وأخذ الموعدة بالتقوى من كلّ عيب ونقص ويتمتع بالكمال اللانهائي في اللانهائي واذن فان ذاته هو فقط له استحقاق التسبيح والتحميد.

وهذا التسبيح والحمد في الحقيقة عبارة عن توحد الذات عن الصفات الماديّة والاتّصاف بصفات ملائكة الله والتشبه والتخلّق بأخلاق الله والحقيقة أنّ هذا تسبيح المؤمنين وحمدهم كما أشار إليه العلماء الكرام من العلم والعرفان.

أجل أنّ كثرة التمرين بالتسبيح والحمد على أساس المعرفة والرسوخ في الاتّصاف بصفة الكمال يطبع الانسان بحقيقة ذلك التسبيح ويخلع عليه من صفته. ألم تر إلى الحديد ومجاورته المستمرة للنار يستحيل إلى شعلة متوقّدة بالنار،

فلا عجب إذن في ان المؤمن أن يصبح خالصاً من كثرة المعرفة والتسبيح والتحميد للحق قد تظهر من شوائب ظاهر الدنيا وأصبح كالملائكة المقربين لا شأن له إلا التسبيح والتقديس فهو مستغرق بذكر الله يسبح ويقدم.

أجل ان المؤمن ومن بركة الاستمرار بالمعرفة والذكر وتسبيح الحق وحمده يستحيل إلى كائن الهي خالص لا ينطوي وجوده الأعلى الانقياد والتسليم والسجود الحقيقي في رحاب الحق تبارك وتعالى وهذه أخلاق العرفاء والحكماء الذين استخلصوا الحقائق من الزوائد ونقحوا المقاصد من فضول الزوائد وفرقوا ما بين الذاتي والعرفي في كل باب.

وكيف لا يتم ذلك بالذكر والمعرفة والتسبيح والحمد وكيف لا يخلصون ويستخلصون وجودهم من كل ما هو غير الهي ومن فضول الدنيا والزوائد المادية؟ هؤلاء ومن كثرة تجريدتهم وتوحيدهم قد بلغوا مرتبة التجرد عن الخلائق حتى بلغوا مقاماً يرون فيه الحقيقة بنور بصيرتهم وهنا لك يسبحون بكل وجودهم وينزهون ويحمدون الله وحده.

يقول الشاعر العارف قمشاي:

انك ان مجدت غيره لن تنال رضاه.

وان عشقت سواه ستشقى ايما شقاء.

وان لم تجلس في جانب المرج من أجل الحبيب.

فان خاطرك سيتكدر.

لا تذرف الدموع تلکم اللآلي الا من أجل الشوق إليه.

ان خلا صدرك من الحقد فان فؤادك ينبض بالعشق الالهي.

ذلك الخليل إبراهيم لما عشق الله رموه في نار النمرود.

فان لم تكن لك نيران عشق فلن تحظى بالرياض...

ما خاف ابراهيم نار النمرود فإن فررت من النار فانك ترى النور.

٣- ان حصيله المعرفة البرهانيّة والكشفيّة لهؤلاء وتسيحهم وحمدهم هو

خلاصهم من التكبر ازاء الحقّ وشؤون الحقّ.

وهؤلاء أمام الخلق لا يتكبرون وتظهر منهم انانية ذلك ان الانسان عند ما يفنى

في مقام الذات والصفات في مولاه ويغرق في شهود الرب وصفاته كيف يتكبر،

فالوجود منحصر بالحق وصفاته وأفعاله فعلى من يتكبر اذن؟ لأنه قد بلغ بهذه

المعرفة وبالتسيح والحمد مقام الفناء، وكلّ من بلغ هذه المرتبة لا يرى لغير

الحق وجوداً فعلى من يتكبر؟!!

وهؤلاء الكرام في أخلاقهم يبلغون من التواضع أنهم يرون أنفسهم في أدنى

الناس فحينما يعيشون تراهم يتواضعون لمن يعيش معهم ويعيشون معه.

٤ - التجافي عن المضاجع في الظاهر ترك فراش النوم واخلائه من البدن

وترك النوم والقيام لصلاة الليل ذلك ان المؤمن وأهل المعرفة لهم تهجد ليلي

وقيام للصلاة في ظلمة الليل.

وفي الباطن انطلاق الأرواح بحسب قواهما العمليّة من ظلمات المادية والشواغل

الجسمية واخلاء فراش البدن والجسم والخروج من علم الأجسام بقطع التعلّقات

غير الالهية ومحو الآثار غير الربانيّة أو الخروج من عالم الامكان بمحو الصفات

الامكانيّة والتنوّز بالنور الإلهي والفيض الربوبي.

روى معاذ بن جبل قال:

بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحرّ ففرّق القوم
فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني، فدنوت منه فقلت:

- يا رسول الله انبني بعلم يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟
قال ﷺ:

- لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه؟
تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم
شهر رمضان.

قال ﷺ: وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير؟
قال (معاذ) قلت: أجل يا رسول الله.

قال ﷺ: الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل
يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾^{١، ٢}.

٥- وأما في دعائهم فإن قلوبهم تتجه إلى التوحيد الحقيقي يعني انه «ليس في
الدار ديار غيره» وان العندية مقامه وحده وما دعائهم وعبادتهم إلا خوفاً وخشية
من سخط الربّ والبعد عن المحبوب والطمع بالظافه ومحبتّه وأجره وثوابه.

٦- وأما انفاقهم فانه يرتبط بكلّ النعم الالهية الربانية ممّا أفاضه الله سبحانه
عليهم من مال وعلم وجاه وسلطان ونفوذ.

٣- تكبر ابليس على السجود:

وقصة تمرّد إبليس وتكبره عن السجود لآدم وقد أمر الله سبحانه ملائكته

١- السجدة ٣٢: ١٦.

٢- بحار الأنوار: ١٢٣/٨٤، باب ٦.

بالسجود لآدم وحقيقة السجود لم يكن لآدم وإنما لأمر الله سبحانه فالسجود لله طاعة لأمره كما روي عن الامام الصادق عليه السلام هذه القصة ذكرها القرآن الكريم في عشر سوره هي:

البقرة، النساء، الاعراف، الحجر، الاسراء، الكهف، طه، فصلت، الفرقان، ص.

سورة الاسراء:

وقد فصل القرآن في سورة الاسراء قصة ابليس وتمردّه في الآيات التالية:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ
 ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ
 عَلَيَّ لَئِن أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا
 * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً
 مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ
 عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
 وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ
 لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾^١.

ونخلص من خلال هذه الآيات إلى النتائج التالية:

- ١- سرّ تكبر ابليس على آدم وعدم السجود له وعدم طاعته لله عزوجل.
- ٢- العجب بالنفس من قبل الشيطان ورأيه في عدم استحقات آدم للسجود.

١- سفينة البحار: ٦٨/٤، باب السين بعده الجيم.

٢- الاسراء ١٧: ٦١ - ٦٥.

٣. اساءة الشيطان للأدب وجرأته على الحق تبارك وتعالى وجداله مع الحق حول بني آدم.

٤. طرد ابليس من رحاب الله ورحمته بسبب تمرده.

٥. حتمية ذهابه إلى جهنم ومن اتبعه.

٦. تشدده وانهماكه في خداع الانسان بكل ما لديه من امكانيات من خلال المال والأولاد والوعود الوهمية الواهية والاحلام الكاذبة والأمني الخيالية.

٧. انعدام قدرته فلا سلطان له على البشر وكل ما لديه من امكانيات ينحصر في الحيل والمكر والخديعة والوسوسة والوعود وفي مقابل ذلك جهز الله سبحانه وتعالى الانسان بقدرات وامكانيات فقد سلّحه بالنبوة والامامة والقرآن والعقل والفطرة والوجدان ووهبه فرصة التوبة والعودة إلى ربه واستغفار ذنبه وقد اتم الله سبحانه على عباد الحجج حتى انه يأتي يوم القيامة ولا عذر له إذا استجاب لدعوة الشيطان واعرض عن عبادة الرحمن!!

سورة الاعراف:

ونقرأ في سورة الاعراف الآيات التالية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لَادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا
مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ
نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ
تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى

يَوْمَ يُعْتُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ فِي سَبِيلِكَ
وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا
جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ
كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ
وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا
جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ
وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ
كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ
وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا
جَهَنَّمَ وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ
وَلِئَلَّامُنَّاسٍ كَثِيرٍ يَأْتِيهِمْ وَالْمَلَأْنَا جَهَنَّمَ

ونستنتج من هذه الآيات الكريمة ما يلي:

- ١- ان الله اتم خلق الانسان من حيث القوى الظاهرة والباطنة، وهو بهذه القوى من غير الممكن أن يضل الطريق إلى الله سبحانه إلا إذا شاء الانسان نفسه؛ فقد خلقه الله ومنحه الحرية وحمله المسؤولية وما يترتب على اختياره.
- ٢- ولكمال الانسان أمر الله سبحانه ملائكته بالسجود له وقد اطاعت الملائكة أمر الله لها الأابليس اذ تمرد على أمر الله تكبراً على آدم واعجاباً بنفسه.
- ٣- ان عجب ابليس بذاته وتكبره على آدم وتمرده على الله كان السبب في طرده من عَالَمِهِ رب الأرباب.
- ٤- ان الله سبحانه انظره وأمهله إلى يوم القيامة جزاء لعبادته السابقة فهو يسعى لتضليل بني آدم خلال هذه المدة.
- ٥- انه يعد المؤسس لمذهب الجبر الفاسد والخطير متهماً رب العزة بما حصل له من طرد من الرحمة والهبوط إلى الأرض، فيما الله سبحانه يريد لعباده ومخلوقاته الكمال والسعادة وليس الضلال والشقاء.

٦- انه توعد البشر جميعاً بالضلال وهدد بتدميرهم من خلال الخداع والمكر ومهاجمة عقولهم وفطرتهم وضمائرهم ومشاعرهم وشهواتهم ووضع جميع قواهم في مسار يؤدي بهم إلى الهاوية والشقاء، وما ورد في القرآن الكريم من الاشارة لهذه التهديدات الشيطانية هو من أجل أن يعي الانسان هذه الحقيقة ويحذر من الشيطان ومكائده وحيله.

٧- ان ابليس طرد من رحمة الله وأخرج مذموماً مدحوراً.

٨- ان الله أوعده ومن اتبعه بالنار خالداً فيها جزاءً على تمرده وعدم طاعته لله سبحانه وتعالى.

سورة ص:

ونقرأ في سورة «ص» هذه القصة تحت عناوين أكثر شدة.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ *
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾

ومن خلال هذه الآيات نعي ما يلي:

١- ان عظمة آدم انما جاءت بعد ما نفخ الله فيه من روحه ومن أجل هذه الروح الالهية وهب الله سبحانه لآدم العقل والفطرة والقوى الانسانية وبلغ هذا الخلق الالهي مقام الآدمية فحاز علم الأسماء وأصبح مؤهلاً لخلافة الله وشرّفه الله بذلك.

٢- ان عظمة آدم ومجده وسمو شخصيته اقتضت من الملائكة السجود له بأمر الله ربّ العزة فسجدت له الملائكة.

٣- ان عظمة آدم وكرامته من قبل الله هي من وراء حسد إبليس له وظهور الغرور الشيطاني والتمرد على أمر الله والتكبر على آدم.

٤- ان تمرد إبليس أدى إلى طرده ورجمه فخرج مذموماً من رحمة الله مدحوراً رجيماً.

٥- ان لعنة الله تطارد إبليس فقد استحق غضب الله عليه وسخطه.

٦- انه تمادى في تكبره حتى بعد تمرده فأقسم على اغواء بني آدم إلى يوم القيامة وانه لن يتوانى في ذلك أبداً.

٧- ان الله توعدده ومن اتبعه بأن يملأ منهم جهنم.

عاقبة إبليس المشؤومة:

وهكذا أدى تمرد إبليس إلى ان يخرج من رحمة الله رجيماً طريداً لعيناً في الدنيا

وهو في الآخرة من الخاسرين فان عاقبته ستكون جهنم وبئس المصير، وكان تكبره وغروره السبب في شقائه فهو لا يعرف التوبة والندم مع علمه بما سيحل به من العذاب الأليم لا هم له سوى تضليل البشر وخداعهم وسوقهم الى الهاوية فهو يشعر باللذة عند ما يرتكب الانسان معصية أو يقترف ذنباً واثماً ويشعر بالشقاء والألم اذا رأى آدمياً مطيعاً لله ساجداً في حضرة الحق فهو يدرك ان عدم سجوده كان وراء هذا وطرده من رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابلاسه.

فيا ترى ما هي العبر والمواعظ التي تتألق من خلال هذه الآيات وما هي الدروس التي يتعلمها الناس من هذه القصة المثيرة؟!

نسأل الله الهداية والبصيرة فنرى ونسمع آيات الله وتعيها عقولنا وتتشربها قلوبنا وأن نكون على حذر من هذا العدو الأثم الرجيم اللعين الذي يسعى في شقائنا ليل نهار.

نسأل الله أن يوفقنا لنتنصر على هذا الشيطان الرجيم وأن نبقي سائرين في طريق الله لا نغفل ولا نسهو عن ذكر الله عزوجلّ وأن نكون بمأمن من اغواء الشيطان وفتنته ووساوسه وأن نحاسب أنفسنا قبل يوم الحساب فلا نخرج من هذه الدنيا إلا برضوان من الله تبارك وتعالى.

حتام تبقى في سكرك غافلاً مستغرقاً في ظلمة الجهل.

وإلى متى ترسم خطى من يقودك الى الضلال.

وكيف تريد بلوغ المقصود ودليلك في الدرب أعمى.

توقف لحظة وانظر جيداً توقف والى نظرة في أعماقك.

والى متى تبقى نائماً في المنزل وقد غادر رفيقك مسافراً في الطريق.

وعم تبحث في هذا العالم ألت أنت الضائع التائه؟
افتح بصرك أيها النائم واطلب نفسك لعلك تعثر عليها!

تحذير القرآن الكريم من الشيطان الرجيم:

يصرح القرآن الكريم بأن الشيطان وجنوده هم أعداء ألداء للانسان وان الشيطان هو منشأ الشر في العالم وهو الذي يقطع الطريق على الانسان ويحول دون بلوغه الكمال ولقاء المحبوب.

ومن أجل هذا فان القرآن الكريم لا ينفك يذكر الانسان بهذه الحقيقة ويحذره من كيد الشيطان وجنوده وان الشيطان هو الذي خدع أبا البشر فأخرجه من الجنة فأحذروه.

ويعود التحذير الالهي من الشيطان إلى بدء الخلق ذلك أنه سبحانه لما خلق آدم وزوجته حواء وأسكنهما الجنة حذرهما من كيد الشيطان وان هدفه أن يخرجكما من الجنة ويتضمن القرآن الكريم آيات عديدة تشير إلى هذه الحقيقة:

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا

مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^١.

والتحذير الالهي واضح وصريح ولا يقتصر على آدم وحواء فحسب بل ان التحذير يعم البشرية ويحذر بني آدم من الشيطان ويذكرهم بما جرى على أبويهم في الجنة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ

١- مواعد: سعدي.

٢- طه ٢٠: ١١٧.

الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ أَيْتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ
وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

ومفردة الشيطان اسم جنس وابلوس وجنوده وكل ما يحول دون الوصول
الى الله وكل من يقطع السبيل الى الله من مصاديق الشيطان.
فكل كائن شرير من الجن والانس يحاول بوسوسته وبفتنته وان يحول بين
الانسان وربّه فهو عدو حقيقي للانسان.

أدوات الشيطان في خداع الانسان:

للشيطان في خداع الانسان أدوات وأعوان وأنصار وجنود من الجمادات
والحيوانات والانس والجان.

فالشيطان يستخدم كل الطرق المتاحة لخداع الانسان والمكر به فقد يحاول
اغراءه بظاهر الدنيا وتغريه بما فيها من متع فيقطع عليه الطريق إلى الله.

قال رسول الله ﷺ:

إن ابليس لما أهبط على الأرض قال لربه تعالى:

يا ربّ قد أهبط آدم وقد علمت أنه سيكون كتب ورسل فما كتبهم ورسلمهم؟

قال (الله عزّوجل): رسلمهم الملائكة والنبیون وكتبهم التوراة والانجيل

والزبور والفرقان.

قال: فما كتابي؟

قال: كتابك الوشم وقرائتك الشعر.

ورسلك: الكهنة.

وطعامك: ما لم يذكر اسم الله عليه.

وشرابك: المسكر.

وصدقك: الكذب.

وبيتك: الحمام (إشارة إلى الأشخاص الذين يرتكبون المعاصي في الحماما).

ومعاصدك: النساء.

ومؤذذك: الزمار.

ومسجدك الأسواق.

ويقول القرآن الكريم:

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^١.

فهلّموا واصغوا لتحذير الحبيب الذي يحن على عباده يريد لهم الخير
والصلاح والسعادة والفلاح.

تعالوا نصغي لكلمات الرب ونؤمن برسله وأنبيائه وكتبه وحذار من الشيطان لا
يخدعكم كما خدع أبانا آدم وأمنا حواء!

تعالوا نسير في طريق الله المستقيم ولا ننحرف فتيه بنا السبل وينتهي بنا الأمر
إلى السقوط في هاوية الشقاء.

حان وقت الرحيل يا فؤادي عن الأرض الخراب.

حان وقت السفر وقد جاء النداء أيتها النفس ارجعي!
 طائر النفس افرد جناحيه للانسلال من القفص... انما الأنفاس مفتاح لباب القفص.
 هما العقل والنقل كما الميزان فاسع سعيك وسر من دون ضير.
 انما ينبثق العشق من العقل ومن النقل.
 ويمتلئ الفؤاد حباً كنبع بارد بالرغم من نار الحب.
 يعرف العالم عن عين الحياة بينما الآخرون يظنون انها سراب فابحث عنها.
 وان تطلّب البحث ان تفارق نفسك فذرة من الروح تسطع كما الشمس.
 وإن كان الصواب أن تجتاز وادي الصعاب.. ولن تضطرب من خطأ
 النفس نفسك أنت.

انما العاقل من لا يقبل بلذة لحظة ويعرف انها تورثه قرن من العذاب^١.

٤- تكبر الجهال:

يشير القرآن الكريم الى اولئك الذين يتمردون على طاعة الله والتسليم والانقياد
 إليه فهم يتبعون الشيطان ويطيعون إبليس وهؤلاء عاقبتهم الخزي في الدنيا والعذاب
 في الآخرة.

القرآن الكريم يعتبر الانسان كائناً كريماً وهو أفضل المخلوقات ويعود تفوقه
 الى ما جبل عليه من الفطرة وما وهبه الله من العقل.

ولقد بعث الله الأنبياء والرسل لهداية الانسان ليدلّوه على الطريق الى الجنة
 التي هي المكان اللائق به.

والقرآن الكريم ينتقد الانسان بشدة ويندد باعراضه عن معالم الهداية التي وفرها البارئ تبارك وتعالى فلقد بين له الطريق الواضح المستقيم الذي يؤدي الى السعادة في الدنيا والآخرة.

ومع كل هذه المعالم المضيئة اذا به يتمرد ويعصي ويعرض بوجهه عن أسباب الهداية ويتبع خطوات الشيطان تكبراً وغروراً وجهلاً.
يقول القرآن الكريم:

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ *
بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ *
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾!

أجل ان الانسان المؤمن الذي يمارس حياته مستقيماً يعبد الله ويطيعه راعياً وساجداً للحق، سوف يصبح سلوكه ملكة فاذا توفاه الله توفاه على هذه الحال؛ أما الانسان المتكبر المغرور المتماذي في المعصية والاثم فهو الآخر يصبح سلوكه طباعاً من طباعه وملكة من ملكاته ويحشره الله على ما هو عليه من التكبر والغرور والجهل والعصيان فيكون مصيره في العذاب الأليم.

٥- النهي على السجود لغير الله:

ثمة مسألتان هامتان في حياة الانسان تحددان اسس السعادة للانسان أو شقائه:

١- الاستنزاف (الخرسان)

٢- الانتفاع (الربح)

ان الانسان ومن خلال اتباعه التعاليم الالهية والشرائع الربانية التي جاء بها الأنبياء من لدن الله عزوجل ومن خلال استثمار العقل والفترة واستخدام النعم

الالهية التي وهبها الله لعباده يمكنه الاستفادة منها والانتفاع بها في الدنيا ثم هو في الآخرة في لذة ونعيم.

لكن اذا اتبع غير الله وعبد الشيطان وخضع له وبتعبير القرآن اذا سجد لغير الله فانه يتحول الى كائن يستنزف لأنه سوف يخسر كل ما لديه من امكانات فتذهب في البطن والشهوة فاذا به ينتهي الى الخسران واذا يديه خاليتين وجسمه عار وإضباره سوداء وعبث ثقيل من الذنوب يقصم الظهر.

ان جلاوزة فرعون ونمرود وشداد ونيرون وهتلر وآتلا في أي زي كانوا وكل جلاوزة الطغاة في أي عصر؛ سواء كانوا وزراء أو قادة وضباطاً أو رؤساء مصارف هم من هذا القبيل هؤلاء اتبعوا الطغاة واتبعوا خطوات الشيطان وانقادوا اليه.

لقد سخرُوا كل مكاناتهم وقدراتهم العقلية والعاطفية والعلمية خدمة للطغاة وأصبحوا جزءاً من آلات القتل والقهر والاضطهاد وابداء الشعوب واذلال الامم.

لقد مرّت خمسة قرون من عمر الاستعمار الغربي وأكثر من ذلك على بعض القدرات الاستعمارية في الشرق وفي كل تلك الفترات الطويلة نرى الطغاة قد بلغوا من الطغيان ما يفوق التصور كل ذلك بسبب سجود الساجدين لهم وخضوع الخاضعين وانقياد المستسلمين والمتملقين والانتهازيين فأصبحوا بلاءً على المظلومين والمستضعفين.

ومن هنا ندرك هذا التأكيد القرآني على عدم السجود لغير الله سبحانه اذ لا يجوز للانسان الذي كرمه الله بالعقل والفطرة البيضاء النقية والانسانية أن يسجد لغير الله، لا يجوز له أن يسجد للاصنام الحجرية والبشرية؛ لا يجوز له أن يسجد للحيوان والنبات والجماد؛ عليه أن يسجد لله وحده.

لأن الناس اذا سجدوا لأي شيء غير الله استحال ذلك الشيء إلى قدرة شيطانية

مدرة تجر البلاء على الناس ثم يوم القيامة يستحيل هؤلاء الطغاة الى قادة أيضاً تقود الذين اتبعوهم وسجدوا لهم إلى هاوية الجحيم والعذاب الأليم.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ * وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾^١.

اجل لقد حذر القرآن الكريم الانسان من السجود لغير الله لأن من يسجد لغير الله ستكون عاقبته الخسران والندم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^٢.

ان السجود لغير الله لا طائل من ورائه لأن السجود لشيء لا ينفع ولا يضر هو عمل عبثي بل عمل سلبي انه مجرد اتباع وانقياد للشيطان الذي يضم الكراهية والعداء للانسان.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيْرًا﴾^٣.

١- غافر ٤٠: ٤٦- ٤٨.

٢- فصلت ٤١: ٣٧ هذه الآية فيها سجدة واجبة.

٣- الفرقان ٢٥: ٥٥.

ومن المؤسف ان الانسان يدعى الى عبادة الرحمن والسجود له لكنه يعرض
فاذا به يسجد لصنم وحجر ووثن!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ
أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾^١.

قوم سبأ:

جاء في القرآن الكريم ان الهدهد لما عاد من مملكة سبأ دخل على سليمان
في بلاطه أخبره عن قوم في اليمن يعبدون الشمس من دون الله وان الشيطان قد
خدعهم وزين لهم أعمالهم وصدّهم عن الطريق الصائب.

﴿وَجَدْتُنَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ
* أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^٢.

ان الاضرار التي تلحق بالانسان جراء بحبادة غير الله والسجود لغير الله لا
يمكن استقصاءها.

نسأله سبحانه أن ينفذنا من الشرك الخفي والجلي وأن يأخذ بأيدينا الى ما
يحقق رضاه وحبّه وان يثبت أقدامنا في الطريق اليه.

جاء في الروايات الاسلامية ان أبغض ما عبد من دون الله هو هوى النفس

١- الفرقان ٢٥: ٦٠.

٢- النمل ٢٧: ٢٤ - ٢٥.

فهو منشأ ابتلاء الانسان في عبادته الأصنام ومبدأ سجوده لغير الله عز وجل^١.
 فطوبى لمن أدرك الحقيقة وصد هواه عن عبادة ما سوى الله فاذا هو منشدة
 الى عبادة ربه قد تعلق بحب الله قلبه.

قد تخلّص من اغلال الشيطان ووجهه بوجه لعبادة الرحمن، قد نجا من خزي
 الدنيا وفاز يوم القيامة بجنة المأوى لا يعرف حباً غير حب الله ولا رباً ومعبوداً سواه.
 قد انفتحت عليه أبواب الجنة واغلقت دونه أبواب العصيان مأمول الخير ومأمون الشر.
 العاشق الحي يسبح في ماء الحياة... العاشق لا يرى لله والغم طريقاً.
 روحه خالدة تتألق كما الشمس...

لا يرى ذرة للحزن في سجن الفناء فصيح عالم يضحى من عشق الحق...
 والأ كان ابكم من لا يرد منهل الحب الزلال.
 والقلب اذا عشق الحق يتخطى الدنيا...

يصبح السلطان في الوجود كل من يشرب من كأس الحبيب...
 فهو سلطان لا يجلس مع الشحاذين.
 والروح السكرى بخمرة الحب تبلغ مرحلة اليقين في العشق...
 ولن تعرف الظنون نفوذاً في فؤاده.

وفؤاد عطار في عشقه إن لم ينهل من احزان الحب فمتى يملأ قلبه الايمان حتى العظم^٢.

سجود العارفين:

اننا لا نعرف شيئاً عن سجود العارفين كالأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين
 ذلك ان سجودهم مقترناً بالمعرفة والعشق لجمال وجلال المحبوب.

١- الدر المنثور: ٧٢/٥.

٢- عطار نيشابورى غزليات.

اننا لا ندرك سوى تصور عن بعد حول سجد العارفين الذين هم تلامذة في مدرسة الأنبياء والأوصياء فهم المعلمون والقادة بعيداً عما يقوم به أهل الخانقاه من حركات. وهؤلاء يترسمون خطى الانبياء والأولياء قد تشبثوا بالعلماء الربانيين والعشاق في طريق الله من أمثال ابن فهد والسيد حيدر الأملي والسيد ابن طاووس والشيخ محمد على الشاه آبادي والحاج ميرزا جواد آقا ملكي، المرحوم القاضي والآخوند ملا حسين قلي الهمداني.

قد بلغوا معرفة الله على قدر ما استطاعوا وأدركوا بنور المعرفة انه لا يوجد في الدار ديار غيره وكل ما رأوا في العالم انما هو من خلاله ولهذا هووا الى تراب الفناء ساجدين قد انتظمت نفوسهم مع سائر الكائنات وهتفت أرواحهم ان سبحان ربي الأعلى وبحمده!

قد تطهروا من الادران ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لأن عشق الحبيب المنزه من كل عيب يوجب عليهم أن يتخلقوا بأخلاقه ويتصفوا بصفاته فانشغلوا بتصفية الباطن وتركية الأعماق والسياحة في الآفاق فتخلصوا من ادرا انانية و تلقوا الأنوار الربانية.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^١.

قد لاذوا بمالك الوجود وخضعوا بكل ما لديهم من مشاعر وغرائز وأهواء تحت سلطان صاحب النفوذ رب العزة المعبود فبلغوا مقام الفناء في ذات الله واكتشفوا سر البقاء.

سجودهم سجود دائم شامل في حضرة الحبيب لا يعرفون سوى الانقياد لله

والتسليم له فهم مستغرقون في العبودية خاضعين خاشعين متواضعين أوفياء
أصفياء صادقين لم يتبق من أنانيتهم ذرة.

قد رأوا الحبيب بأنوار القلب فطوبى لمن رآه.

مفعم بالصفاء قد تجلّى لهم وبان ما كان في الخفاء.

ليس ترى الأبرمة الحب صورة الحبيب عياناً.

فاح شذى عطره وتألّق وجهه.

ما أسعد الذي يراه.

يستوي الوجود والعدم فلا موجود الاله.

وفي مرآة الوجود ترى العالم بنور الفؤاد..

كل شيء هو وهو كل شيء..

هو اليقين لوحده..

هو الروح والعاشق والمعشوق^١

السجود ومقام التوحيد:

جاء في كتاب «العروج إلى الملكوت»:

ان السجود لدى أهل المعرفة اشارة إلى مقام التوحيد توحيد الذات والحكم
باختزال جميع الأفعال والأسماء والصفات في الذات ومشاهدة فناء جميع المخلوقات
والكائنات باستثناء الذات الخالدة الأحديّة والتي بقاؤها أبدي سرمدى.

وتوضيح هذا الموضوع باختصار هو أن للعباد المتأله معراج في الصلاة حيث
الصلاة معراج حقيقي وسلم الوصول في مدارج الكمال درجة بعد درجة ومرتبة
بعد أخرى.

١. فخرالدين العراقي.

واذن اذا تم في حال القيام تجلي الأفعال للمعبود فان المصلّي يشاهد ان الوجود من مبدأه الى منتهاه هو من الله والى الله وان القوة لله والارادة مختصة به وحده القيوم وانه لا حادثة ولا واقعة تحدث في ملكه الا بمشيئته وهو سبحانه الفعال لما يشاء هو وحده لا أحد سواه.

«لا مُؤَثَّرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ»^١.

وعند ما يحصل في هذا المقام الذي هو التوحيد الأفعالي يأتي مجال الركوع فيرقى الى مرتبة أعلى فاذا الأشياء لدى العبد إنما هي تجليات لأسماء الله وصفاته سبحانه وهو الحق لا إله إلا هو الذي يهب الأشياء بهاءها وكمالها وما ذلك الا تجليات بهاء الله المطلق وكماله اللانهائي.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^٢.

ومن ذلك يرقى الى مقام أعلى وهو مقام الفناء في السجود حيث يشاهد ذوات الأشياء تتجه الى الفناء والهلاك وان حقيقتها انما هي الفقر المطلق وان الحقيقة الوحيدة في العالم هي ان:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^٣.

لن يبقى من العالمين فالكل فان وسوى الحب فحبك باقي^٤.
فاذا أضاف الساجد في سجوده والى سجوده تسبيح الله وحمده حيث اسم الرب من أمهات الأسماء يضيف المتكلم الى نفسه فيقول: سبحان ربي فقد تأدب

١- بحار الأنوار: ١٥٠/٥، باب ٥.

٢- الاعراف ٧: ١٨٠.

٣- القصص ٢٨: ٨٨.

٤- حافظ.

في حضرة الرب كما قال رسول الله ﷺ:

«أَدَبَنِي رَبِّي وَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»^١.

والعابد المتأله والمتأدب بالآداب الالهية يسبح باسم ربه الأعلى.

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^٢.

فترفع الحجب وتساقط حالات الشرك لأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وبالرغم من كون السجود مقام فناء الذوات لكن هذه الاضافة الى الرب باضافة الياء الى الرب اشارة الى ان الله سبحانه وكما انه خالق جميع الأشياء فهو عليها جميعاً وكيل ونايب ينوب عنها جميعاً.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^٣.

واما ذكر الصفة الأعلى للرب فمن جهة تجليه الذاتي وفناء الكل.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^٤.

وهذا التجلي والعلو الذاتي للحق مشهود على جميع الأشياء حيث يدرك حقيقة أن لا شيء باق.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^٥.

ويرى العلو الحقيقي والاستعلاء الحقيقي على نحو ان جميع الذوات فانية

١- بحار الأنوار: ٣٨٢/٦٨، باب ٩٢، حديث ١٧.

٢- الأعلى ٨٧: ١.

٣- الزمر ٣٩: ٦٢.

٤- الرحمن ٥٥: ٢٦.

٥- الرحمن ٥٥: ٢٧.

ومنتهية ويبقى للحق العلوّ الأعلى للعليّ.

«فَلَهُ الْعُلُوُّ الْأَعْلَى فَوْقَ كُلِّ عَالٍ»^١.

وأما التقارن بين التسييح والحمد فمن كونه موجود في الركوع لأن مرجع تسييح الحق تعالى بسعة الوجودية من جميع الجهات ولذا فان تسييحه عين حمده. وأيضاً لأن الساجد - وهي جميع الكائنات والذوات سوى ذات الحق تعالى - لا نرى إلا الحق سبحانه قائماً مقامه وهو ظاهر به والى هذه الحقيقة أشار الامام الحسين في دعاء عرفة وقوله عَلَيْهِ:

«أَيُّكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ
لَكَ مَتَى غَبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ»^٢.

والله عزّ وجلّ:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^٣.

وكل ما يتلقاه الفؤاد المحترق لطف آخر.. فأنا الشحاذا ما الذي يرجوه من الهبات^٤.

السجود والانسلاخ من الانا:

يقول الامام الخميني رحمته في سرّ السجود:

السجود عند أصحاب العرفان وأرباب القلوب: ترك النفس واغماض العين عن كل ما سوى الحق تعالى والتحقق بالمعراج اليونسي؛ الذي حصل بالدخول في بطن الحوت.

١- مصباح المتعجد: ٣٦٩.

٢- دعاء الامام الحسين عَلَيْهِ في عرفات.

٣- الحديد: ٥٧: ٣.

٤- حافظ.

وذلك من خلال توجه العبد الى أصله دون رؤية الحجاب؛ وفي وضع الجبهة على التراب اشارة الى رؤية جمال الجميل في باطن قلب التراب وأصل عالم الطبيعة. وتمثل آدابه القلبية في معرفة العبد حقيقته وأصله وجوده ووضع «أم الدما» - وهو مركز سلطان النفس وعرش الروح - على أدنى عتبة من مقام القدس ورؤية التراب في عتبة مالك الملوك.

إذن فسّر الوضع السجودي هو تطهير العين من رؤية النفس وأدب وضع الجبهة على التراب هو اسقاط العبد لأعلى مقامات نفسه من أن تراها عينه وعدّها أوضع من التراب مرتبة.

وإذا كان في القلب شيء من عدم الرضا على هذه الادعاءات التي تترجمها أوضاع الصلاة فذاك - في نظر أهل المعرفة - نفاق.

ولمّا كان الخطر في هذا المقام أشدّ الاخطار، وجب على السالك إلى الله التمسك - استناداً إلى جبلته وفطرته القلبية - بأذيال ألطاف الحق جلّ وعلا وسؤاله العفو عن التقصيرات بتدكّل ومسكنة؛ فهذا المقام محفوف بالمخاطر التي تفوق طاقة أمثالنا وخلاصة القول انّ السجود لدى أهل المعرفة وأصحاب القلوب اغماض العين عن الغير وانسلاخ من الأشياء والأسماء والصفات والفناء في الذات المقدّسة؛ فلا يبقى في هذا المقام من أثر سمات العبودية ولا من سلطان الربوبية في قلوب الأولياء ولا يبقى من وجود العبد الذي هو قائم بأمر مولاه.

«فَهُوَ سَمِعُهُ وَبَصَرُهُ بَلْ لَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ وَلَا سِمَاعَ وَلَا بَصِيرَةَ
وإلى ذلك المقام تنقطع الأءشارة».

واعلم ان في السجود كسائر أوضاع الصلاة هيئة وحالة وذكرى وسراً وعلى

قدر العبد وطاقته يتلقى من أسرار السجود وفيضه الرباني؛ ففي السجود ترك الاستكبار والتواضع لله الواحد القهار وانسلا من العجب بالنفس بل انسلال من النفس وتذكير للانسان بأصله؛ الذي هو من تراب ونشأته من الطين والصلصال والفخار.

وفي السجود اشعال لنار الشوق الى الله والنفور من الخطيئة التي تبعد العبد عن ربه وفي السجود نفور من الذنب واقبال على الرب فتضطرم نار الحب الالهي في نفس الانسان ويكون أقرب ما يكون الى الرحمن.

الحيّ هو من يموت في زقاق الحبيب.

والعاشق المجنون السكران أكثر عظة من العاقل..

خطفت قلبي واحرقت روحي..

هكذا صرت واضحى زمني.

وشراب السم إن كان منك ليس بمرّ.. جبل أحد ان حجرت انعدم..

لاخلاص من أسر حبك..

غارق في العشق لا أروم الساحل..

آلام قلبي احرقت جسمي لا جرم ان الحب قد سطع..

لا تصوّر في قلبي فراغ البال ومن بشراي في الأحلام لا توقظني..

ما القلب ما الدينار كاذباً أنا إن لم أجود بالروح.

يا سعدي اذا مسك جرح الهموم كان فخراً لك نار الاله.

سجود العاشقين:

بين العباد العاشقين للحق ثمة اناس يبلغ بهم العشق بحيث يكون لهم سجود في صلاتهم في الليل والنهار يبلغ حدّاً بحيث أنهم يندكون في ذات الحق، وفي هذا دلالة أكيدة على انّ للسجود دور كبير وفاعل في تعزيز علاقة الانسان بربه.

فالسجود الطويل يؤدي دوراً مصيرياً في حياة الانسان وتجربته الروحية وثمة مرويات حول السجود الطويل تشجع على تجربته لأنه يسرع من حركة الانسان التكاملية.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ بِطُولِ السُّجُودِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ سُنَنِ الْأَوَّابِينَ»^١.

والأوابين هم التوابين.

وقد سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حول ستة أشياء إذ جاءه رجل فقال له: عَلَّمَنِي عَمَلًا يُحِبُّنِي اللَّهُ عَلَيْهِ وَيُحِبُّنِي الْمَخْلُوقُونَ وَيُثْرِي اللَّهُ مَالِي وَيُصَحِّحَ بَدَنِي وَيُطِيلَ عَمْرِي وَيُحْشِرَنِي مَعَكَ!

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذه ست خصال تحتاج إلى ست خصال... وإذا أردت أن يحشرك الله معي فأطل السجود بين يدي الله الواحد القهار^٢.

ولذا فإن عباد الله الهائمين بعشق الحق الوالهيين بحبه يواظبون على السجود الطويل، ولنا في الامام علي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ اسوة ومثال فقد لُقِّبَ بـ«سَيِّدِ السَّاجِدِينَ» يروي أحد أصحابه أنه رآه وقد وضع جبهته على صخرة صماء وكان يبكي في حضرة الخالق تبارك وتعالى ويقول:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا حَقًّا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعْبُدًا وَرِقًّا لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ إيمَانًا وَصِدْقًا»^٣.

وجاء في كتاب الكافي عن أحد أصحاب الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال:
رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَتَخَلَّلُ بَسَاتِينَ الْكُوفَةِ فَاتَّهَى إِلَى نَخْلَةٍ فَتَوَضَّأَ

١- بحار الأنوار: ١٦٦/٨٢، باب ٢٩، حديث ١٨.

٢- بحار الأنوار: ١٦٤/٨٢، باب ٢٩، حديث ١٢.

٣- بحار الأنوار: ١٦٦/٨٢، باب ٢٩، حديث ١٧.

عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمسمئة تسبيحة ثم استند إلى النخلة فدعا بدعوات!

وجاء في الأثر عن الامام الكاظم عليه السلام أنه:

«حَلِيفُ السَّجْدَةِ الطَّوِيلَةِ»^٢.

فاذا تجاوزنا الأئمة الأطهار والأوصياء الأبرار ونأتي الى أصحابهم وعباد الله الصالحين نجده أنهم كانوا يتبعون خطى الأنبياء والأوصياء وكانوا يقتدون بهم، فهذا محمد بن أبي عمير الثقة الجليل القدر روى عنه الفضل بن شاذان قال:

دخلت على محمد بن أبي عمير وهو ساجد فأطال السجود جداً فلما رفع رأسه قال له:

- أطلت السجود!

فقال محمد:

- فكيف لو رأيت محمد بن خربوذ.

وروى أيضاً قال: دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه ويقول له:

- أنت رجل وعليك عيال وتحتاج أن تكتسب عليهم وما آمن أن تذهب عينك بطول سجودك، فلما أكثر عليه قال: أكثرت عليّ ويحك، لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي عمير، ما ظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما يرفع رأسه إلا عند الزوال^٣.

١- الكافي: ١٤٣/٨، حديث محاسبة النفس، حديث ١١١؛ وسائل الشيعة: ٣٧٩/٦، باب ٢٣، حديث

٢- بحار الأنوار: ١٦/٩٩، باب ٢، حديث ١٠.

٣- مستدرک الوسائل: ١٥٦/٥، باب ٧، حديث ٥٥٥٠.

سألت شيخي وكان من العلماء العرفاء لم أر له نظيراً في مرتبته وعلو شأنه عن
عمل يؤثر في الإصلاح وجلب المعرفة!
فقال لي: لم أر عملاً مؤثراً أكثر من أن تسجد في اليوم والليلة سجدة طويلة
وتردد فيها:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^١.

وباستمرار الذكر يدرك الانسان العابد والعابد الساجد انه سجين في سجن
الطبيعة وانه مصفد بسلاسل الأخلاق الرذيلة وحينئذ يهتف من أعماق نفسه:
سبحانك ما فعلت ذلك بي انما أنا من ظلم نفسه.

أجل هذا هو أدب العشاق الوالهيين والعارفين الذين يموج حب الله في قلوبهم.
وتطلعنا الى الجنة وقد تجلّت فوراء الجنة الغناء صحراء.
زهرة الحسن التي رأينا في حديقة الأزل هام بها البلبل.
انقطع الفؤاد عن الأغيار وتعلق بضمفيرة الحبيب ما أسعد القلب الهائم.
نزلت صاعقة العشق وضربت بيدر الروح فما أزهى محصول هذا الحقل.
أيها المشتري لفتنة الحب بارك الله بما اشتريت فقد ربحت.
زهرة ميساء في قامتها طاولت طوبى وسدرة الدنيا.

السجود في الروايات:

ورد في الآثار الاسلامية والمعارف الدينية حول السجود ما يشير الى عظمة السجود.
جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني اريد أن أسألك.

١- انبياء ٢١: ٨٧

٢- سعدي.

فقال ﷺ: سل ما شئت!

قال الرجل: تحمّل لي على ربك الجنة (أي تضمن لي الجنة).

قال ﷺ: تحمّلت ولكن أعني على ذلك بكثرة السجود^١.

وجاء في الروايات ان أشقّ أعمال الانسان وأشدّها على الشيطان السجود،

فان الذنوب تساقط عن الانسان كما يتساقط ورق الشجر^٢.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد^٣.

وروى ابن أبي عمير قال:

- قلت لأبي عبد الله (الصادق عليه السلام): لِمَ اتَّخَذَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ اِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؟

قال عليه السلام: لكثرة سجوده على الأرض.

وجاء في الروايات الصحيحة عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: ان العبد اذا

صلى ثم سجد سجدة الشكر فتح الرب تعالى الحجاب بين العبد والملائكة

فيقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أدى فرضي واتمّ عهدي ثم سجد لي شكراً

على ما أنعمت به عليه؛ ملائكتي! ماذا له؟

فتقول الملائكة: يا ربنا جنتك.

فيقول الرب تبارك وتعالى: ثمّ ماذا؟

فتقول الملائكة: يا ربنا كفاية مهمّته (اموره الهامة).

١- بحار الأنوار: ١٦٤/٨٢، باب ٢٩، حديث ١٣؛ مستدرک الوسائل: ٤٧٢/٤، باب ١٨، حديث ٥١٩٥.

٢- سفينة البحار: ٦٩٣٤، باب السين بعده الجيم.

٣- من لا يحضره الفقيه: ٢٠٩/١، باب فضل الصلاة، حديث ٢٦٨؛ بحار الأنوار: ١٦٣/٨٢، باب ٢٩،

فيقول الرب تبارك وتعالى: ثم ماذا؟

(يقول الامام الصادق عليه السلام): فلا يبقى شيء من الخير إلا قالته الملائكة

فيقول الرب تبارك وتعالى: يا ملائكتي ثم ماذا؟

فتقول الملائكة: يا ربنا لا علم لنا.

فيقول الله تبارك وتعالى: اشكر له كما شكر لي وأقبل إليه بفضلتي وأريه وجهي^١.

ومن أجل هذا يقول الامام الصادق عليه السلام:

ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة.

١- من لا يحضره الفقيه: ٣٣٣/١، باب سجدة الشكر، حديث ٩٧٩؛ بحار الأنوار: ٢٠٥/٨٣، باب ٤٤،

«وَمَا أَفْلَحَ مَنْ خَلَا بِرَبِّهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْحَالِ شَبِيهَا بِمُخَادِعِ لِنَفْسِهِ غَافِلٍ لَاهٍ
عَمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْسَاجِدِينَ مِنَ الْبَشْرِ الْعَاجِلِ وَرَاحَةِ الْأَجْلِ»

البشارة الالهية للمؤمنين:

من أجل ذلك يقول الامام الصادق عليه السلام انه لن يفلح أبداً من خلا بربه وخالفه ومبدئه من يخادع نفسه في غفلة عما حبا الله الساجدين من البشرى في الدنيا والراحة وهو يطلّ على أعتاب الأبدية؛ أجل هكذا يفعل السجود بالانسان ومصيره ومن أجل هذا أكد القرآن الكريم على السجود.

وقد جاء في الروايات ان الانسان اذا نزل به الموت وفي حالة الاحتضار يتلقى البشائر الالهية بما وعده الله ويرى الأرواح الطيبة الطاهرة للنبي صلى الله عليه وآله، فيصبح الموت الزؤام أحلى من العسل!

ان الانسان الذي أمضى عمره في التزام الشريعة مقبلاً على الحلال صادراً عن الحرام قد أدى صلاته وزكاته، معرضاً عن الشيطان وشهواته، وكان من الساجدين الحقيقيين فانه ينال شرف البشرى الالهية.

وأن هؤلاء المؤمنين الصالحين سرعان ما ينتقلون الى عالم مفعم بالروح والرياحين وجنة النعيم.

ولا يليق بالانسان العاقل المدرك أن يغفل عما بشر الله به عباده، وقد أمرهم

أن يبادروا لطاعة الله والسجود في حضرته فعليه أن يهب من غفلته قبل أن يأتي يوم يندم فيه ولا ينفعه الندم؛ قد خدعه الشيطان فأنساه ذكر الرحمن.

البشارات الالهية في القرآن:

وما أجمل أن نشير إلى البشارات الالهية في القرآن الكريم حيث يزخر القرآن بما يُبشّر الانسان المؤمن التقى الذي يسجد لله خاشعاً متضرعاً يطلب رحمته ورضوانه.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^١.

وهؤلاء البشر الذين اكتشفوا الطريق إلى الله يصل بهم الايمان أن تنزل عليهم الملائكة تبشرهم بمستقبل مشرق خالد:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾^٢.

١- يونس ١٠: ٦٢ - ٦٤.

٢- فصلت ٤١: ٣٠ - ٣٢.

البشارات الالهية في الروايات:

جاء في الروايات:

ان رسول الله ﷺ قال لو صيّه علي عليه السلام ان المؤمن الأشد حُباً يكون خروج نفسه كشرب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي ينتقع به القلوب^١.
وجاء في رواية أخرى عن الامام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام بعد ما سئل عن ماهية الموت وكيف يكون الموت فقال عليه السلام: الموت للمؤمن كترع ثياب وسخة قملة وفك قيود واغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وآنس المنازل^٢.

وجاء في رواية عن الامام محمد الباقر عليه السلام يصف فيها الموت قائلاً:
هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة الا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة^٣.
وجاء في الروايات أيضاً:

ان الامام علي الهادي عليه السلام دخل على أحد أصحابه وكان مريضاً فرآه يبكي جزعاً من الموت فقال له عليه السلام:

- يا عبدالله تخاف من الموت لانك لا تعرفه! أرأيت إذا اتسخت وتقذرت وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت ان الغسل في حمام يزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك! أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك؟

فقال الرجل: بلى يا بن رسول الله!

١- بحار الأنوار: ١٦٢/٦، باب ٦، حديث ٣٠.

٢- بحار الأنوار: ١٥٥/٦، باب ٦، حديث ٩، با كمى اختلاف.

٣- معاني الأخبار: ٢٨٩، باب معنى الموت، حديث ٥٥: بحار الأنوار: ١٥٥/٦، باب ٦، حديث ٩.

فقال عليه السلام: فذلك الموت هو ذلك الحمام؛ هو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك فإذا أنت وردت عليه وجاورته فقد نجوت من كل غم وهم وأذى ووصلت إلى كل سرور وفرح!

فسكن الرجل ونشط واستسلم (للرحيل) واغمض عينيه ومضى لسبيله.^١
وجاء في الأثر أنّ سيدنا إبراهيم خليل الرحمن قال لملك الموت: أرني صورتك إذا جئت لقبض روح المؤمن، فتصوّر له بصورة شاب حسن الوجه قد ارتدى أفخر الثياب.

فقال إبراهيم عليه السلام: إن لم يكن للمؤمن لذة إلا النظر إلى جمالك حقّ للمؤمن أن يطلب الموت لمشاهدة حسنك.^٢

من المحتمل أن يكره الانسان المؤمن الموت ولرفع هذه الكراهة تتأمل في ما ورد في هذه الرواية عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي عبدالله (الصادق عليه السلام):

- جعلت فداك يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟

قال عليه السلام: لا والله، انه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله لأنا أبر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك! افتح عينيك فانظر!

قال عليه السلام: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام.

فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة رفقاًؤك.

١- معاني الأخبار: ٢٩٠، باب معنى الموت، حديث ٩٩؛ بحار الأنوار: ١٥٦/٦، باب ٦، حديث ١٣.

٢- عوالي اللآلي: ٢٧٤/١، حديث ١٠٠.

قال عليه السلام: فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه منادٍ من قبل رب العزة فيقول:
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى محمد وأهل بيته ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ
 رَاضِيَةً﴾ بالولاية ﴿مَرْضِيَّةً﴾ بالثواب ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ يعني محمداً
 وأهل بيته ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فما من شيء أحب إليه من استلال روحه
 واللحوق بالمنادي!

حضور المعصوم احتضار المؤمن:

وجاء في كتاب «سفينة البحار»^١:

عن الأصمغ بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في
 نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه
 وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة فقال عليه السلام:

- كيف تجدك يا حارث؟

فقال الحارث:

- نال الدهر يا أمير المؤمنين مني وزادنا أو بآ (هماً) اختصام اصحابك ببابك:

قال عليه السلام: وفيهم خصومتهم؟

قال الحارث: فيك، فمن مفرط منهم غال ومقتصد (معتدل).

قال: ومن متردد مراتب لا يدري أيقدم أم يجحجم.

فقال عليه السلام: حسبك يا أخا همدان ان خير شيعتي النمط الأوسط إليهم يرجع

الغالي وبهم يلحق التالي.

١- بحار الأنوار: ١٩٦/٦، باب ٧، حديث ٤٩، با كمي اختلاف.

٢- سفينة البحار: ٢٣٨/١.

فقال الحارث: لو كشفت فداك أبي وأمي الرين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا.

قال عليه السلام: ان دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله، يا حارث ان الحق أحسن الحديث والصادع به مجاهد وبالحق أخبرك فأرعني سمعك ثم خير به من كانت به حصانة من أصحابك، ألا اني عبدالله وأخو رسوله وصديقه الأول في أمتكم حقاً فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن خاصته يا حارث وخالسته وأنا صفوه ووصيه ووليّه وصاحب نجواه وسره.

أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب واستودعت ألف مفتاح يفتح ألف باب يقضي كل باب إلى ألف عهد.

وأيدت واتخذت وامددت بليلة القدر نفلأ وان ذلك ليجري لي ولمن تحفظ من ذريتي، ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة.

قال الحارث: وما المقاسمة؟

قال عليه السلام: مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة، أقول هذا وليّ فاتركه وهذا

عدويّ فخذيه.

ثم أخذ أمير المؤمنين بيد الحارث فقال:

- يا حارث أخذت بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال لي صلى الله عليه وآله وقد

شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي: انه اذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله

وبحجزته (يعني عصمته) من ذي العرش تعالى: وأخذت أنت يا علي بحجزتي

وأخذ ذريتك بحجزتك وأخذ شيعتكم بحجزكم، فماذا يصنع الله بنبيّه وماذا

يصنع نبيّه بوصية.

خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببت ولك ما اكتسبت (يقولها ثلاثاً).

فقام الحارث يجرّ رداءه ويقول: ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني!^١
وجاء في كتاب «الكافي» عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:
الميت تدمع عينه عند اموت (فقال) ذلك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ما يسره (قال): أما ترى الرجل إذا يرى ما يسره فتدمع عينه ويضحك (يبتسم).^٢
وجاء في كتاب «كشف الغمة»: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى تأكل من ثمار الجنة أو من شجرة الزقوم وحين ترى ملك الموت تراني وترى علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً (صلوات الله عليهم).
فان كان يحبنا قلت: يا ملك الموت ارفق به انه يحبني ويحب أهل بيتي، وإن كان يبغضنا قلت: يا ملك الموت شدّد عليه انه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي.^٣
وما هذه البشائر إلا ثمرة أعمال وسلوك وركوع وسجود لله سبحانه طاعة له وتسليماً لأمره.

يقول الامام الصادق في نص رواية «مصباح الشريعة»:

ما أفلح من خلا بره في مثل ذلك الحال شبيه بمخادع لنفسه غافل، لا إله عما أعدّ الله للساجدين من البشر العاجل وراحة الآجل.
وما أكثر مرارة الانسان ساعة يفتح الانسان عينيه فيرى عجزه بعد غفلة من

١- بحار الأنوار: ١٧٨/٦، باب ٧، حديث ٧.

٢- الكافي: ١٣٣/٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، حديث ٦؛ بحار الأنوار: ١٨٢/٦، باب ٧، حديث ١٠.

٣- الأمالي، الطوسي: ٦٢٨، حديث ١٢٩٣؛ كشف الغمة: ٤١٤/١؛ بحار الأنوار: ١٩٣/٦، باب ٧،

أداء السجود الحقيقي وقد فاتته البشارات السماوية واللذائذ المعنوية ولو كان قد أطاع الله عزوجلّ وسجد له لحاز ما حاز الساجدون وتلقى من البشائر ما تلقاه المطيعون.

الآن ونحن نعيش فرصة الحياة والارادة في الاختيار تعالوا نسأل الله أن يوفّقنا لاغتنام هذه الفرصة لأن نتأمل في ما بعد الموت من حقائق... تعالوا لتتأمل في ما وعد الله به عباده الصالحين هلموا لنفكر في ما يبشر به القرآن الانسان المؤمن في لحظات الاحتضار وهو يقف على أبواب وأعتاب الأبدية.

انهض هذا موعد الوفاء لعهد الأمانة.

هلم فقد حان وقت القضاء.

لنسجد تواضعاً في رحاب كبرياء الحق.

دار شفاء التائبين لم تغلق أبوابها بعد.

هلم لعلاج داء العصيان والاثم.

كل وجه تولّى شطره هو شرك.

التوحيد المحض أن يتّجه كلّ شيء فيك الى وجه الله.

مزق قميص التمرد بكف الرجوع.

واعبد الواحد وادر ظهرك لعبادة الغير^١.

«وَلَا بَعْدَ عَنِ اللَّهِ أَبَدًا مَنْ أَحْسَنَ تَقَرُّبَهُ فِي السُّجُودِ وَلَا قَرُبَ إِلَيْهِ أَبَدًا مَنْ
أَسَاءَ أَدَبَهُ وَضَيَّعَ حُرْمَتَهُ وَيَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِسِوَاهُ»

السجود في كلام الامام الصادق عليه السلام:

لن يتعد عن الله أبداً من أحسن في التقرب إليه حيث السجود هو النقطة
الأقرب لله، ومن أساء الأدب وتعلق قلبه بغير الله فلن يكتب له الوصال.
ان اداء الأفعال الظاهرية دون تعمق ووعي ومن أدى حركات الصلاة بلا
روح بل من أجل أن يقال انه صلى، فقد أساء الأدب.
الصلاة في حقيقتها حضور للقلب ووعي لما يلفظ من كلمات مقدمة تنطوي
على معاني غاية في العمق ومن أدى حركات الصلاة دون وعي وكان خياله
يسرح في هنا وهناك وأفكاره المادية تقفز هنا وهناك فقد خسر معنى الصلاة
وفقد سر الصلاة ولن يحصل على ثمار السجود ولحرم من فيض المعبود.

«فَاسْجُدْ سُجُودَ مُتَوَاضِعٍ لِلَّهِ ذَلِيلٍ عَلِمَ أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ تُرَابٍ بَطَّأَهُ الْخَلْقُ وَأَنَّهُ
اتَّخَذَكَ مِنْ نُطْفَةٍ يَسْتَقْدِرُهَا كُلُّ أَحَدٍ وَكُوِّنَ وَلَمْ يَكُنْ سُجُودَ التَّوَاضِعِ»

اللَّهُ سبحانه وتعالى هو خالق الوجود المطلق اللانهائي فاسجد في حضرته
خاشعاً في رحابه خاضعاً لعظمته ومجده.

ونحن اليوم نعيش عصر الكشوفات العلميّة والفضائيّة وما يزال الفضاء عالماً
مجهولاً لا تعرف له نهاية مئات الآلاف من السنين الضوئية، نجوم ومجرات
وسدم تومض من عالم سحيق لا يُسير.

عالم مترامي ملي بمليارات مليارات النجوم؛ تبدو فيه منظومتنا الشمسيّة رقم
قريب من الصفر.

جاء في الروايات: ان في العرش تمثال ما خلق الله من البرّ والبحر وان هذا
تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ وان بين القائمة من العرش
والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة ألف عام.

والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه
خلق من خلق الله والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة وان لله تعالى ملكاً
يقال له حزقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى جناح خمسمئة عام
فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء؟

فزاده الله تعالى مثلها أجنحة (ضعف أجنحته) أخرى فكان له ست وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمئة عام ثم أوحى الله إليه أيها الملك طر! فطار مقدار عشرين ألف عام فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً، فأوحى الله إليه: أيها الملك لو طرت الى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ إلى ساق عرشي.
فقال الملك:

«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ»^١.

أجل ينبغي للانسان أن يسجد في حضرة ربّ الأرباب ومسبب الأسباب عليه أن يخضع ويخضع في رحاب ملك الملوك وربّ الأفلاك.
على الانسان أن يعي ان الله سبحانه هو خالق الوجود من الذرة الى المجرة وانه سبحانه بدأ خلق الانسان من تراب وان الانسان سوف يعود الى التراب مرة أخرى؛ هذا التراب الذي تطأه الأقدام؛ أجل ان أصل الانسان نطفة من ماء يستقذره هو نفسه فعليه ألا يشمخ بأنفه وان يعرف منشأه ومعاده.
ولو أدرك الانسان حقيقته لهوى إلى السجود في حضرة الربّ المعبود.
لا يليق بالانسان أن يتكبر وأن يتمرد بل ينبغي له أن يتواضع.
أجل عليه أن يفكر في نفسه يقول الامام علي عليه السلام هذا العبد الصالح:
«مَا لِإِبْنِ آدَمَ وَالْعُجْبِ وَأَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَدِرَةٌ وَهُوَ بَيْنَ ذَلِكَ يَحْمِلُ الْعَذْرَةَ»^٢.

١- روضة الواعظين: ٤٧/١، مجلس في العجائب؛ بحار الأنوار: ٣٤/٥٥، باب ٤، حديث ٥٤.

٢- غرر الحكم: ٣٠٨، حديث: ٧٠٨٧.

وكائن هذا أصله وهذا أوله وآخره ومصيره وما يحمله خلال مسيره لأجدر
 به أن يتواضع أما أن يشمخ بأنفه فهذا منتهى السفاهة والجهل.
 محال أن نقطف الرطب مما زرعه من الأشواك.
 ومحال أن ننسج الحرير من الصوف الذي غزلناه.
 وإلى جانب الكبائر لم نكتسب حسنات.
 نحن اسرى النفوس فيا حسرة يوم القيامة لم نقهر أنفسنا.
 واحسرتاه مضى العمر وانقضى..
 لم ننفذ أيدينا من الخطايا..
 يجري كما الليل والنهار على الشباب والشيوخ.
 نحن أمسينا بليل طلع الصبح ولم نستيقظ^١

«وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَعْنَى السُّجُودِ سَبَبَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْقَلْبِ وَالسِّرِّ وَالرُّوحِ
فَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ بَعْدَ مِنْ غَيْرِهِ أَلَا تَرَى فِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي حَالُ
السُّجُودِ إِلَّا بِالتَّوَارِي عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَعْتِجَابِ عَنْ كُلِّ مَا تَرَاهُ
الْعِيُونَ كَذَلِكَ أَرَادَ اللَّهُ الْأَمْرَ الْبَاطِنِ»

أجل جعل الله السجود وسيلة للتقرب إليه فالإنسان أقرب ما يكون لربه في
السجود، ذلك ان القلب والروح والأعماق تتوحد في نقطة السجود.
وهنا يلفت الامام الصادق أنظارنا الى هذه الظاهرة وهي ان السجود يحقق
حالة التواري من الأشياء وان الانسان عند ما يسجد يغمض عينيه فهو يغمض طرفه
عن الوجود بأسره فيتواري الوجود كله وحينئذ تتألق أمام عينيه الحقيقة وعندما
يغمض الانسان عينيه تنفتح عيناه على الباطن.

«فَمَنْ كَانَ ظَنُّهُ مُتَعَلِّقًا فِي صَلَاتِهِ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ بَعِيدٌ عَنِ حَقِيقَةِ مَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^١»

اذن أداء الصلاة أداء حقيقياً يتطلب وعياً وادراكاً وحضور قلبياً وانقطاعاً الى الخالق المعبود لأن السجود يوفر فرصة مثلى للقرب من المعبود والرب تبارك وتعالى. فالصلاة معراج المؤمن فهي سلم نوراني يعرج بالانسان إلى الملكوت. من هنا يفترض بالانسان أن يقطع صلته بالدنيا لأنه في حالة اتصال مع السماء فيفترض أن يقطع صلته بالأرض وما فيها وهذه هي حقيقة الصلاة لأنه من المستحيل أن يجتمع حب الله وحب الدنيا وقد قال تعالى:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾^٢.

طبعاً لا تدل الآية الكريمة انه لا يجوز للانسان أن يحب شيئاً سوى الله بل المطلوب أن يكون هذا الحب بنفس الاتجاه أن يتحرك هذا الحب نحو الله أن يتطور هذا الحب المجازي ليكون جزءاً من الحب الحقيقي الأكبر وهو الحب الالهي.

١- الأحزاب ٣٣: ٤.

٢- الأحزاب ٣٣: ٤.

«قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قالَ اللهُ تَعَالَى: لا أَطَّلِعُ عَلَى قَلْبِ عَبْدٍ فَأَعْلَمَ فِيهِ حُبَّ الإِخْلَاصِ لِطَاعَتِي لَوْجَهِي وَأَبْتِغَاءِ مَرْضَاتِي إِلَّا تَوَلَّيْتُ تَقْوِيمَهُ وَسَيَّاسَتَهُ وَمَنْ اشْتَغَلَ فِي صَلَاتِهِ بِغَيْرِي فَهُوَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِنَفْسِهِ مَكْتُوبٌ إِسْمُهُ فِي دِيْوَانِ الْخَاسِرِينَ»

وهكذا عند ما يتأجج الحب الالهي باخلاص، وعند ما يضيء نور الله تعالى في النفس ويسطع في القلب ويولد الاخلاص لله تبارك وتعالى، وعند ما يولد الاخلاص والحب الالهي يتحرك القلب الانساني بالاتجاه التكاملي في حركة صحيحة مُرشدة هي حركة الأنبياء والرسل الالهيين وتبقى الصلاة جوهره العبادة ورمز العبوديّة ولذا ينبغي التركيز عليها وأدائها اداءً صحيحاً كما ينبغي. وفي طليعة مقومات الصلاة التي تؤتي ثمارها هي الحضور القلبي وحشد الجوانح وتركيز الجوارح والقوى الانسانية في عمق الصلاة والاستغراق في السجود باعتبارها ذروة هذه العبادة والتعبير الرائع لانقياد الانسان وتسليمه وخشوعه وخضوعه في حضرة الربّ العظيم مالك الملك ربّ العالمين. وبهذا يقطف الانسان ثمار الصلاة.

الباب

(١٧)

في آداب التشهد

«قال الصادق عليه السلام:

التَّشَهُدُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ فَكُنْ عَبْدًا لَهُ فِي السِّرِّ خَاضِعًا لَهُ فِي الْفِعْلِ كَمَا
أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ بِالْقَوْلِ وَالِدَّعْوَى.

وَصِلْ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ صِدْقِ سِرِّكَ، فَإِنَّهُ خَلَقَكَ عَبْدًا وَأَمَرَكَ أَنْ
تَعْبُدَهُ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ وَأَنْ تُحَقِّقَ عُبودِيَّتَكَ لَهُ وَرَبُوبِيَّتَهُ لَكَ.
وَتَعْلَمَ أَنَّ نَوَاصِي الْخَلْقِ بِيَدِهِ، فَلَيْسَ لَهُمْ نَفْسٌ وَلَا لَحْظَةٌ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ
وَمَشِيَّتِهِ وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إِيْتَانِ أَقْلٍ شَيْءٍ فِي مَمْلَكَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيَّتِهِ
وَإِرَادَتِهِ.

قال الله تعالى... ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ
سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾!

فَكُنْ لِلَّهِ عَبْدًا شَكُورًا بِالْقَوْلِ وَالِدَّعْوَى وَصِلْ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ سِرِّكَ.
فَإِنَّهُ خَلَقَكَ فَعَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةً وَمَشِيَّةً لِأِدِّ إِلَّا بِسَابِقِ إِرَادَتِهِ
وَمَشِيَّتِهِ، فَاسْتَعْمِلِ الْعُبودِيَّةَ فِي الرِّضَا بِحُكْمَتِهِ وَالْعِبَادَةَ فِي آدَاءِ أَوْامِرِهِ وَقَدْ
أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَوْصِلْ صَلَاتَهُ بِصَلَاتِهِ وَطَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ
وَشَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ.

وَأَنْظُرْ أَنْ لَا يَفُوتَكَ بَرَكَاتُ مَعْرِفَةِ حُرْمَتِهِ فَتَحْرُمَ عَنْ فَائِدَةِ صَلَاتِهِ وَأَمْرِهِ
بِالْأَسْتِغْفَارِ لَكَ وَالشَّفَاعَةِ فِيكَ، إِنَّ أُنْتَبِتَ بِالْوَاجِبِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالسُّنَنِ
وَالْأَدَابِ وَتَعْلَمَ جَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

«التَّشَهُدُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ فَكُنْ عَبْدًا لَهُ فِي السِّرِّ خَاضِعًا لَهُ فِي الْفِعْلِ كَمَا أَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ بِالْقَوْلِ وَالِدَّعْوَى»

حقيقت التشهد:

يتحدّث الامام الصادق عليه السلام في هذا المقطع عن حقيقة التشهد وما ينطوي عليه من الدلالات.

ان التشهد هو اعلام الشهادة بوحدانية الله ورسالة النبي صلى الله عليه وآله وعليه يتوجب على المؤمن أن يتطابق سرّه مع علانيته وأن يتحوّل هذا الاقرار اللساني إلى احساس وجداني وان يصدّق الفعل القول وترجم الكلمات والألفاظ إلى حركة وموقف وسلوك.

وفي هذا المقطع من كلام الامام عليه السلام يدعو الانسان المؤمن إلى إدراك حقيقة التشهد بمعنى أن لا قوة ولا سلطة ولا إرادة ولا مشيئة ولا ناصر ولا معبود ولا مقصود في هذا الوجود المترامي الأ هو سبحانه وتعالى.

وهذه جملة التشهد وهي «أن لا إله إلا الله» وعلى الانسان أن يدرك هذه

الحقيقة وأن يجسدها في جميع شؤون حياته.

على الانسان أن يعيش هذه الحقيقة في واقع الحياة أن تجد لها المصداق الذي يعبر عن ابعادها وأن تتحوّل هذه المعرفة العلمية إلى واقع في الحياة العملية،

في سلوك الانسان وتصرفاته في أقواله وأفعاله في كلماته ومواقفه.

على الانسان المؤمن أن يؤدي حالة الشكر لله وأن يعزز علاقته برسول الله ﷺ ويسير على هداه وهدى أهل بيته لأن النبي ﷺ مأمور من لدن الله عزوجل بمهمتين:

١- الاستغفار للأمة

٢- الشفاعة للأمة

فعلى الانسان أن يدرك ذلك وأن ينشد الى النبوة الخاتمة وأن ينسجم في حركته مع حركتها ومسارها؛ فالذي يريد الحصول على استغفار النبي ﷺ وشفاعته ينبغي أن يعي معنى التشهد بالوحدانية وبالرسالة المحمدية.

يقول الامام الصادق عليه السلام ان التشهد ثناء على الله عزوجل فكيف يكون الانسان عبداً له في السرّ خاضعاً له في الفعل والعمل كما هو الحال في القول والادعاء؛ أن يتحوّل هذا التشهد إلى مصداقية في سلوك الانسان أن يتطابق الظاهر مع الباطن والباطن مع الظاهر.

وأن يتحد القلب مع اللسان، أن يضيء القلب بهذه الحقائق النورية والا ما فائدة اللقطة اللسانية مع قلب ظلماني ونفس ظالمة وأهواء آثمة وجوارح متمردة!! ان من يريد قراءة التشهد عليه أن يتشرب هذه الحقائق بكلّ جوارحه وكيانه ووجوده. عليه أن يتشرب أنّه لا معبود سوى الله ولا محبوب الاّ عزوجل وانّ كلّ الآلهة باطلة وكلّ هذه المظاهر من الأرباب إنّما هي أكاذيب وانّ الرب هو الله الواحد القهار. التشهد بالوحدانية الخالصة والشهادة بأن لا إله الاّ الله وحده لا شريك له. عند ما يقول الانسان هذه الكلمات بالسانه مع قلب لاه وخيال وثاب بعيد عن

روح هذه الكلمات مع فؤاد أسير للأهواء، فان النداء الإلهي يأتي: أيتها الكذاب! ألا تخجل مما تزعم وتدعي الشهد لي بالوحدانية وأنت تشرك بي وتدعي العبادة لي وأنت تعبد أصناماً من حجر ومن بشر!!
أين توحيدك وعدم شركك!!

الشهادة بالتوحيد ليست باللسان فقط بل بالعمل والسلوك ينبغي على الانسان أن يعي هذه الحقيقة فالشهادة بالوحدانية لله وهتاف الانسان: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يتطلب إيماناً راسخاً بهذه الحقيقة وكفراناً بكل الآلهة المزيفة وبكل الأباطيل.

على الانسان أن يتحرر من أسر القوى الباطلة والانطلاق في فضاء الحرية الحقيقي الذي يتجلى في العبودية لله وحده لا شريك له.

هذا هو معنى الشهادة والتشهد انه يعني الاعتناق من أسر العقائد الباطلة والحالات الشيطانية والتحرر من رذائل الأخلاق ومن مظاهر النفاق والتسليم لله وحده.

انظر الى اولئك الذين كانوا يعملون في أجهزة حكم بني أمية وبني العباس لقد كانوا يصلون جميعاً وكانوا يتشهدون في صلاتهم وكانوا يشهدون لله بالوحدانية ولكن في واقع حياتهم كانوا يعبدون الطغاة كانوا جزءاً من آلات القتل والظلم والاضطهاد والعدوان وانتهاك الحرمات! أين هي روح التشهد في حياتهم وممارساتهم وسيرتهم؟

ابن هي حقوق الآخرين التي أمر الله بأدائها، ان هذه الحقوق لا تيسر إلا بالعبادة كما قال الامام زين العابدين ذلك ان اكبر الحقوق هو ما أوجهه الله على الانسان

الذي هو أصل الحقوق^١ ومن ذلك تتفرّع الحقوق الأخرى بل لا نكتسب تلك الحقوق أهميتها إلا من خلال حق الله الأكبر.

الثناء الحقيقي والحمد يصدر من الانسان الذي وعى المعارف القرآنية وتجلّت له عظمة الله عزّوجلّ من خلال التأمل في آثاره وبديع صنعه وعرف أسماءه الحسنى وصفاته العليا، فأدى ما عليه من الواجبات وترك المحرّمات، قد رضي بقضاء الله وسلّم لقدره وقدرته، وادرك أن ما يعاينه من مشكلات انما هو امتحان وابتلاء فصبر لأن الله مع الصابرين وان الله يريد له أن يسير في طريق التكامل والكمال ليحظى بدرجة القرب الالهي فهو في جهاد مع نفسه قد أقبل على عبادة الله حباً وشوقاً موحداً إياه بقلب حاضر وشعور متأجج بالايمان وعشق الرحمن قد استحالت مرارة ما يعاينه من صروف الحياة الى سكر وعسل فهو ينهل من كؤوس الحب وعشق الحبيب.

التشهد، مع معرفة الحق:

ان الاقرار الحقيقي بالوحدانية ونفي الشريك عن الحق تبارك وتعالى والشهادة بأن الرب عزّوجلّ مستجمع لجميع صفات الكمال؛ وتحقّق التشهد الحقيقي لا يحصل ولا يتمّ إلا بوجود قلب سليم وفؤاد طاهر ونفس قد تزيّنت بالصلاح وامتلات بالطمأنينة.

فيا رفاق الحياة والسفر والطريق يا شركاء المصير أيها الفقراء أيها المساكين وأيها المشردون تعالوا نتخلّق حول بعضنا ونذكر ما حلّ بنا تعالوا نذرف الدموع على ما صدر منّا من اثم وعصيان!

١- انظر تحف العقول ص ٢٥٥ رسالة الحقوق للامام زين العابدين.

تعالوا نغسل قلوبنا بدموع عيوننا تعالوا لنمزق شبك الشيطان الذي غرر بنا
ونحطم السلاسل والأغلال لننتلق في سماء الملكوت تعالوا لنقصد ينابيع الحب
الالهبي تعالوا لننهل من رحيق المعرفة تعالوا لنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له تعالوا لندعو ربنا أن يوفقنا إلى رضاه ورضوانه!

يا ربنا يا رحمن يا رحيم يا أمل الآملين ويا محبوب العاشقين انقذنا من
ظلمات الجهل والاثم والعصيان واغمرنا بالنور ووقفنا للشهادة بوحدانيتك وأن
نرضى بقضائك وقدرك وأن يكون أكبر همنا عبادتك.

يا مولانا وسيدنا نحمدك أن أرسلت نبياً هو خاتم المرسلين ونصبت لنا أنمة
يهدون بأمرك.

هذا عبدك ووليك وسبط نبيك سيد الشهداء في ليلة عاشورا، وقد أحاطت به
الذئاب من كلّ حدب وصوب تملأ تلك البيداء بالعواء تريد تمزيق أفضل ولد
آدم في كربلاء وهذه خيام اهل بيت نبيك أنصارهم وقد أقبلوا على عبادتك
والتسبيح بحمدك قد أحرق قلوبهم الظمأ؛ مستغرقون في حلاوة ذكرك لا
يسمعون اصطكاك سيوف اعدائك وطبول الشيطان تفرع بعنف وقد عربدت
الأحقاد وعصفت الأطماع.

أجل في تلك الليلة أمضى عبادك الصالحون ليلهم بالصلاة والشهادة لله
بالوحدانية قد وطنوا أنفسهم على الشهادة بل اشتاقوا إليها لأنهم أيقنوا ان الموت
في سبيلك والقتل في طريقك قنطرة للعبور إليك ولقائك.

غداً سوف تمزقهم السيوف وتقطعهم الرماح وتهشم أجسادهم سنابك خيل
البغاة والطغاة ومع ذلك كانت نفوسهم تسبح في بحيرة حبك وأرواحهم تطوف
حول عرشك وتسبح باسمائك وتقدس لك.

هذا سبط رسولك ووصيه لم يغمض له جفن قد نهض للقاء واستعد للبلاء وترك جميع الخلق طراً في هواك وبعد سويعات سوف يتقطع ارباً ارباً شوقاً لرؤياك.
كلماته يوم عاشوراء كتبت على القلوب ونقشت في زوايا الوجود قد أمضى يوم عاشوراء الطويل يسبح بحمدك ويقدم لك.

«أُنِّي عَلَى اللَّهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ وَفَقَّهْتَنَا
فِي الدِّينِ وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً وَأَفئِدَةً فَاجْعَلْنَا مِنَ
الشَّاكِرِينَ»^١.

وحق لمن ينهل من رحيق معرفتك أن يسكر وأن يهيم شوقاً إليك.
وحق لمن امتلأ قلبه بحبك أن يعرض بوجهه عن الدنيا وما فيها وأن يبادر للقاءك لأنه لم يعد يرى أحداً سواك فهو كالقراشة تطوف حول شمعة الحب الحقيقي لا تنفك تطوف وتطوف حتى تحترق وتنفى.

من أجل ذلك هتف سيد الشهداء الحسين بن علي عالياً:

تركت الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتمني بالحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواكا

ومن أجل هذا نادى علي وقد تضرع بدماء الشهادة والتشهد: فزت وربّ الكعبة.

لأنه صلوات الله عليه قد فاز باللقاء وارتحل إلى الملكوت الأعلى ولأنه لم

١- الارشاد: ٩١/٢؛ روضة الواعظين: ١٨٣/١، مجلس في ذكر مقتل الحسين عليه السلام؛ بحار الأنوار:

يكن يرى غير الله وحده في الأرض والسماء فهذا الوجود لا ينطوي على شيء سوى الله الواحد الأحد المطلق الصمد وما الأشياء إلا آثاره وتجلياته وآياته.

«مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ»^١.

هلموا لنمجد الله ونسبحه ونترنم بحبه والشوق إليه، تعالوا لترنم بأشعار العارفين وكلمات العاشقين، تعالوا لترنم خطاهم في السفر الى المحبوب والاعتاق في ظلمات المادة تعالوا لننطلق في سماء الحب الإلهي!

سافر الحب من زقاق النفس وتخطى المسافات البعيدة.

هام في صحراء الوجود سبر العدم.

يبحث عن ملامح الوجه بعد أن انفتح الفؤاد المشتاق.

وجد الأمانة هناك فوق السطوح..

من ذلك الزقاق يمكن السفر الى أرجاء الوجود..

هذه الروح امانة فاخلع رداءك ودع الروح تنطلق..

هنا لك تشرق الشمس ساطعة تضيء جميع الأنحاء..

فلتكن انساناً ولتكن آدمياً لا تنظاهر بذلك.

ستبقى أجنبياً تغير ظاهره فقط..

وحتى لو غيرت اسمك لن يجدي ذلك في تحقق الكمال..

يا نافذ البصر افتح علينا.. أنت أعلم بما في نفوسنا.

معرفة الحق في كلام ملا صدرا:

إن معرفة الحق ومعرفة مبدأ العالم والمحبوب الحقيقي في عالم الوجود وكما

يقول الحكيم المتأله صدرالدين الشيرازي تحصل بالتفكر والتأمل في ثمان مسائل:

١- بحار الأنوار: ٣٠٤/٤، باب ٤، حديث ٣٤، مضمون حديث؛ التوحيد: ٣٠١.

- ١- وجود الحق تعالى.
 - ٢- توحيد الحق «التوحيد النظري والعملي».
 - ٣- تنزيه الحق تبارك وتعالى.
 - ٤- الصفات العليا للحق عز وجلّ.
 - ٥- نعوت الحق.
 - ٦- الاسماء الحسنى له تبارك وتعالى.
 - ٧- افعاله وقضاؤه وقدره جلّ اسمه.
 - ٨- آثار رحمته وآيات عظمته جلّ جلاله.
- وهذه الأمور في رأس الفرائض والهدف والغاية من وراء بعث الأنبياء وارسال الرسل ونزول الكتب وهي الأساس في سعادة الدنيا والآخرة.
- وتوضيح هذه القضايا الثمانية بالاستعانة بالآيات والمعارف الأصلية للإسلام وحالات أخلاق العرفاء ولو على سبيل الاختصار يتطلّب ثمانية مجلّدات وأكثر.
- وما أحرى أن يستكشف الانسان المؤمن كلّ هذا في كتاب التشريع وكتاب التكوين بقلب طاهر وروح بيضاء وصدر يموج بأموج النور؛ فاذا حصلت للانسان المعرفة نهض لاكتساب خير الدنيا والآخرة وخطا في طريق الحكمة العمليّة فاذا هو في صلته تنطق روحه ونفسه وكيانه كلّ:

«أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له».

ومن دون هذه المعرفة ومن دون العمل على أساس هذه المعرفة طبعاً على قدر الوسع والاستطاعة والتكليف وان الله سبحانه لا يكلف نفساً إلاّ وسعها؛ فإنّ الثناء الحقيقي والحمد والشكر لا يتحقّق وكيف يمكن للانسان أن يعبر عن ثنائه

الحقيقي وهو لا يعرف ذلك! وكيف يشكر الشكر الحقيقي وهو لديه مجهول؟ وكيف يقرّ ويعترف بأمر لا يعرف عنه شيئاً؟

أجل ان من جهل الحقيقة إنما جاء جهله من تعطيل الفكر ولم يجعل بينه وبين الأنبياء والرسل سبباً ومن أجل ذلك يجادل الانسان في الله ومن أجل ذلك يتمرد على طاعة الرب والاله ويتبع هواه فأعرضوا عن ذكر الرحمن واتبعوا خطوات الشيطان.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^١.

وتنطوي الآية الاولى على دلالة واضحة في ان التوصل الى معرفة الله يتم من خلال الفكر والجهد العقلي والعملية ومن خلال الارتباط بالانبياء وبما جاء به الرسل ومن خلال التأمل في ما خلق الله من بديع الخلق ومن خلال الغوص الفكري في ما أنعم الله به علينا ومن ثم التوصل إلى ضرورة شكر الخالق والثناء على المنعم.

وهذه الكتب في شتى العلوم تضيء للانسان حقائق الوجود وتدله على طريق المعبود وهذه أشعار العارفين تحلّق في سماء المعرفة والعرفان والايمان.

من ذا يستطيع حساب فضل الاله.
 ومن ذا يستطيع شكران الاله.
 ذلك الصانع اللطيف الذي نقش على سجادة الوجود آلاف الألوان.
 انظر إلى السماوات العلى وإلى شروق النجوم.
 واعتبر أيها الانسان.
 خلق البراري والبحار خلق الناس والشجر.
 خلق الشمس والنجوم والقمر.
 كور الليل على النهار.
 وهب النعم للانسان وهياً له أسباب الرفاه.
 ألا ترى ذرات التراب، كيف تغمرها الشمس فتستحيل حدائق غناء
 تشد وبها البلايل.
 والغيوم تهب المطر للأشجار الظامنة.
 فاذا الأغصان الذابلة ترتدي حلّة الربيع.
 آلاف المناظر تخلب اللب.
 من ذا ينظر فيها للاعتبار!

«وَصَلِّ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ صِدْقِ سِرِّكَ، فَإِنَّهُ خَلَقَكَ عَبْدًا وَأَمَرَكَ أَنْ
تَعْبُدَهُ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ وَأَنْ تُحَقِّقَ عِبُودِيَّتَكَ لَهُ وَرَبُوبِيَّتَهُ لَكَ»

الخلوص في الشهادتين:

وهذه مسألة جوهرية في مسألة التشهد ذلك ان الاعتراف والشهادة باللوهية والربوبية والوحدانية يجب أن تستند إلى أرضية من الصفاء في النية والاخلاص. ان التلفظ بهذه الكلمات يجب أن يتم في جو مفعم بالصدق والمصادقية يجب أن يعترف الانسان بأنه مخلوق وان الله الواحد الأحد هو الخالق وأنه المملوك وأن الله هو المالك.

لهذا ينبغي أن يتحد اللسان مع القلب والظاهر مع الباطن وأن يتوحد الكيان الانساني في لحظة الاقرار والاعتراف بعبودية الانسان وربوبية الله عزوجل. وفي مسألة العبادة يتضح أن كنه العبودية هي الربوبية وسوف نتطرق فيما بعد الى التفصيل في هذه المسألة باذن الله.

«وَتَعَلَّمَ أَنْ نَوَاصِي الْخَلْقِ بِيَدِهِ، فَلَيْسَ لَهُمْ نَفْسٌ وَلَا لِحِظَةٌ إِلَّا بِقُدْرَتِهِ
وَمَشِيَّتِهِ وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إِتْيَانِ أَقَلِّ شَيْءٍ فِي مَمْلَكَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَشِيَّتِهِ
وَإِرَادَتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ
الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^١

مقاليد الامور بيد الحق:

من البديهي والواضح ان زمام الامور ومقاليد السماوات والأرض والكائنات
والمخلوقات سواء في عالم الغيب أو عالم الشهادة هي بيد الحق تبارك وتعالى.
أجل ان نواصي الناس بيد الله وان الانسان مصيره وقدرته في قبضة اليد
الالهية حتى أنفاسه وحتى لحظات عيونه كل شيء يسير بمشيئة الله وارادته وقدرته.
قال سبحانه:

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ
أَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٢

ان الله هو القادر المطلق وهو الخالق لما يشاء هو يصطفي ويختار له المشيئة

١. القصص ٢٨: ٦٨.

٢. هود ١١: ٥٦.

والارادة؛ الله هو كل شيء وكل شيء يختصر في كلمة الله المباركة فهي ذات مستجممة لجميع الصفات الكماليّة والأسماء الحسنی والنعوت العلیا.

طبعاً ثمة بحوث قيمة في مسألة القدرة المطلقة والمشیئة الالهية في كتب الكلام والفلسفة في مسألة الوجود بالمعنى الخاص ومسألة التوحيد؛ وهناك مناقشات وجدل مع المخالفين وهي تخرج عن هدف هذا الكتاب الذي في جوهره تربوي اضافة إلى اعتراف بالعجز عن فهم الكثير من مسائله الدقيقة المعقدة.

ويمكن لمن يهوى هذه الدراسات مراجعة كتب الكلام وتأليفات صدر المتألهين صاحب «الأسفار الأربعة» وكذا حواشي الجزء الأول من كتاب «كفاية الاصول» ورسائل المرحوم الحاج ملا هادي السيزواري.

والأهم من كل ذلك ينابيع المعرفة المتدفقة في آيات القرآن الكريم ونصوص نهج البلاغة.

وفي مضممار التفاسير هناك تفسير «الميزان» القيم؛ وفي مضممار الحديث يمكن مراجعة الموسوعة الحديثية الكبرى «بحار الأنوار» للعلامة محمد باقر المجلسي رحمته الله.

«فَكُنْ لِلَّهِ عَبْدًا شَكُورًا بِالْقَوْلِ وَالِدَعْوَى وَصِلْ صِدْقَ لِسَانِكَ بِصَفَاءِ سِرِّكَ
فَإِنَّهُ خَلَقَكَ فَعَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةً وَمَشِيَّةً لِإِدِّ إِلَّا بِسَابِقِ إِرَادَتِهِ وَمَشِيَّتِهِ،
فَاسْتَعْمِلِ الْعُبُودِيَّةَ فِي الرِّضَا بِحِكْمَتِهِ وَالْعِبَادَةَ فِي أَدَاءِ أَوْامِرِهِ»

ان على الانسان أن يشكر الله عزوجلّ قولاً وعملاً وأن يكون الشكر اللساني
معبراً بصدق عن الأعماق في صفاء السرّ بحيث يكون توحد في الكائن الانساني
توحد بين الظاهر والباطن بين الفؤاد والنفس بين اللسان والروح في التعبير عن
الشكر للخالق البارئ المصور.

ان الله هو الذي خلقك أيها الانسان ومن المستحيل أن تكون ارادة ومشية
سابقة على ارادته عزوجلّ ومشيته سبحانه وتعالى وقد جعل سبحانه العبودية في
الرضا بحكمه وجعل العبادة في أداء فرائضه وتنفيذ أوامره.

ومن الواضح أنه إذ لم يطابق الانسان بين لسانه وبين ما يدور في خلدته وأعماقه
فان هذا ازدواجية ونفاق.

ان الله هو مطلع على الأسرار ومحال أن يقبل عن لقلقة لسان بالشكر ما لم
يكن هناك ما يؤيد ذلك في نفس الانسان التي جنيبه.

«وَقَدْ أَمَرَكَ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَوْصِلْ صَلَاتَهُ بِصَلَاتِهِ وَطَاعَتَهُ
بِطَاعَتِهِ وَشَهَادَتَهُ بِشَهَادَتِهِ»

وقد أمر الله سبحانه بالصلاة على النبي وآله فربط بين الصلاتين وأمر بطاعته
وربط بين الطاعتين وحتى في الشهادة بالوحدانية ثمّة شهادة بالنبوة والرسالة لنبينا
محمد ﷺ:

قال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^١.
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^٢.

وجوب الصلاة على النبي في التشهد:

وانطلاقاً من أمر الله سبحانه بالصلاة على النبي ﷺ وما ورد في القرآن
بصريح العبارة والتأكيد على التسليم عليه والتسليم له لأنه لا ينطق عن الهوى بل
هو وحى يوحى، كما وان مهمة تفسير القرآن هي من وظائف النبي ﷺ وآل
بيته الأطهار الذين هم أليأوه، انطلاقاً من كل ذلك أصبحت الصلوات على النبي ﷺ

١- الأحزاب: ٣٣، ٥٦.

٢- النجم: ٥٣، ٣ - ٤.

جزءاً من الصلاة اليومية حيث تأتي بعد التشهد.

ولقد ورد في الروايات الصحيحة من الفريقين ان الآية الكريمة لما نزلت على النبي ﷺ وسأل المسلمون عن كيفيتها بين النبي ذلك بقوله:
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

وقد سمع الرسول ﷺ يقول: «وعلى آل محمد» نهى عن ذلك ونهى عن التفريق بينه وبين آله.^١
ووفقاً لقول القرآن الكريم:

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٢

فان من يريد التسليم لله ولأمر الله فانه يتحقق بالتسليم للنبي ﷺ أن يقول في التشهد:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»^٣.

ولو أراد أحد أن يحصر الصلاة على النبي ﷺ وحده فان صلاته باطلة دون شك لأنه لم يؤد جزءاً من التشهد الذي هو واجب ومن لم يؤد جزءاً من واجبات الصلاة بطلت صلاته.

ان على اخواننا أهل السنة أن يعلموا ان حصر الصلاة على النبي وقصرها عليه في التشهد هو خلاف فتوى وحكم عظماء فقهاء أهل السنة وعلمائهم ومفسريهم وقد جاء في فتاواهم ان الصلاة على النبي ﷺ دون الصلاة على آله مبطل للصلاة.

١- مستدرک الوسائل: ٣٥٦/٥، باب ٣٥ حديث ٦٠٧٤.

٢- الاحزاب ٣٣: ٥٦.

٣- بحار الأنوار: ٢٧/٢٥٧.

وقد أورد العلامة الراحل الشيخ الأمين في موسوعة الكبرى «الغدِير» روايات صحيحة من كتب أهل السنة تصرّح بأن الصلاة على النبي يجب أن تكون على هذا النحو:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

الصلاة على النبي لدى علماء أهل السنة

أورد كتاب الغدير هذه الروايات بهذا الترتيب:

ابن حجر «الصواعق» صفحة ٨٧ في ذيل توضيح آية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾^٢ وأيضاً في الصفحة ١٣٩ باخراج الدارقطني والبيهقي ان النبي ﷺ قال: من صلى عليّ ولم يصلّ على أهل بيتي فلا صلاة له.

استناداً إلى هذا الحديث قال الشافعي: ان الصلاة على النبي ﷺ فريضة.

وصرح الفخر الرازي في تفسيره في الجزء السابع صفحة ٣٩١ بأن النبي ﷺ جعل الصلاة عليه وآله في خاتمة التشهد.

وقال النيسابوري في تفسيره في ذيل الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

الْمُؤَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^٣:

وروى محبّ الدين الطبري في «الذخائر» في ١٩ هذه المعنى عن جابر بن

عبدالله الأنصاري قوله: لا تقبل الصلاة على النبي إلا مع آله.

وثمة رواة آخرون من بينهم:

١- الغدير: ٣٠٢/٢.

٢- احزاب: ٣٣: ٥٦.

٣- شوري ٤٢: ٢٣.

القاضي عياض في كتاب «الشفاء» و«شرح الشفاء» للقاضي الخفاجي الجزء الثالث الصفحات ٥٠٠ - ٥٠٥ وتقي الدين السبكي في «شفاء السقام» الصفحات ١٨١ - ١٨٧ والحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» الجزء العاشر ص ١٦٣ والطبراني في «الأوسط» وكذا البيهقي وابن عساكر رويًا هذا المعنى عن الامام علي عليه السلام وأيضاً الشبلنجي في «نور الأبصار» الصفحة ١١٢ وكذا صاحب «الاسعاف» في حاشية «نور الأبصار» الصفحة ١٠٧ رويًا:

ان تمام الشهد بالصلاة على محمد وآل محمد في جميع الصلوات شرف آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وان الصلاة بدون الآل مردودة وباطلة عند الله ولا تقبل منه عزوجل.

وجاء في «لبالي پيشاور» روى البخاري في الجزء الثالث في صحيحه ومسلم في الجزء الأول والشيخ سليمان البلخي في «ينابيع المودة» وابن حجر في «الصواعق» عن كعب بن عجرة انه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ قلنا: يا رسول الله! كيف نسلم عليك أو كيف نصلي عليك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قولوا:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

وأورد السيد أبوبكر شهاب في الصفحات ٢٩ الى ٣٥ فمن الباب الثاني في كتاب «رشفة الصادي» نصوصاً حول وجوب الصلاة على محمد وآل محمد وذكر أدلة عن النسائي والدارقطني وابن حجر والبيهقي عن أبي بكر الطرسوسي وعن أبي اسحاق المروزي وعن السمهودي والنوري في «التنقيح» والشيخ سراج الدين القصيمي ان الصلاة على آل محمد بعد ذكر الاسم المبارك «محمد» في

تشهد الصلاة واجب^١.

هذه آراء جمع من الفقهاء والمفسرين والمحدثين من أهل السنة وقد أوردوا روايات وأحاديث في ان الصلاة النبي ﷺ أن يكون على هذا النحو:
«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

وقد أثبت الدراسات التاريخية ان الاستجابة لأمر الله عزوجل يجب أن يكون في هذا النص دون زيادة ونقصان.
 وكان أول من صلى على النبي ﷺ على هذا النحو هو الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام في تشهده في الصلاة وتابعه شيعة الى يومنا هذا وإلى يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

الشهادة بالتوحيد والرسالة في التشهد:

ويخاطب الامام الصادق عليه السلام الانسان المؤمن قائلاً:
 «وقد أمرك بالصلاة على نبي محمد ﷺ فأوصل صلته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته».
 وقد قال الله عزوجل:

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^٢.

أما الشهادة بالوحدانية لله والرسالة لمحمد بن عبد الله ﷺ فهي على هذا النحو:
 «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً

١- ليالي بيشار: ١٨١.

٢- نساء: ٤، ٥٩، مائده: ٥، ٩٢، نور: ٢٤، ٥٤، محمد: ٤٧، ٣٣، تغابن: ١٢، ٦٤.

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ».

والشهادة بالرسالة لا تكتسب مصداقيتها وحقيقتها إلا عند ما يعرف الانسان المؤمن الحقيقي النبي ﷺ ويطيع أوامره ويجتنب نواهيه وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى بل وحي يوحى.

«وَأَنْظُرْ أَنْ لَا يَفُوتَكَ بَرَكَاتُ مَعْرِفَةِ حُرْمَتِهِ فَتَحْرَمَ عَنْ فَائِدَةِ صَلَاتِهِ وَأَمْرِهِ
بِالْأَسْتِغْفَارِ لَكَ وَالشَّفَاعَةِ فِيكَ، إِنَّ أُتِيَتْ بِالْوَاجِبِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
وَالسُّنَنِ وَالْأَدَابِ وَتَعَلَّمَ جَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا المقطع الأخير حول موضوع الصلاة على
النبي صلى الله عليه وآله إلى قضايا هامة:

١- استغفار النبي صلى الله عليه وآله لأُمَّته.

٢- مقام الشفاعة للنبي صلى الله عليه وآله.

٣- وجوب معرفة مقام النبي صلى الله عليه وآله.

وهنا يخاطب الامام الصادق عليه السلام الانسان المؤمن في أن لا تفوته بركات
معرفة حرمة النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك يؤدي إلى حرمان من فائدة الصلاة عليه «وأمره
بالاستغفار لك والشفاعة فيك» وكلّ هذا يتوقّف على ضرورة ووجوب معرفة
مقام رسول الله صلى الله عليه وآله فهو المقام المحمود يوم القيامة والشفيع للناس يوم الحشر
في الحساب.

استغفار النبي صلى الله عليه وآله للأمة:

وفقاً للمعطيات القرآنية والمعارف الالهية من المؤكّد ان الانسان المذنب إذا

أقبل بوجهه على الله عزوجل تائباً نادماً عازماً على اصلاح ما سلف منه وما بدر عنه؛ فان الله هو العفو الغفور وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ان الله هو الغفار.

وقد ورد في القرآن الكريم ان هناك من يستغفر للانسان المؤمن ويستغفر للانسان التائب:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^١.

والآية الكريمة تشير إلى استغفار الملائكة أما يقتصر على المؤمنين والتائبين. وهذا يعزز من آمالنا اذا أحسنا التوبة وندمنا على ما بدر منا من أخطاء وما اقترفناه من الذنوب.

وشروط المغفرة وقبول التوبة في طبيعتها الندم والارادة في عدم اقرار المعاصي. وقد تاب الله عزوجل على أخوة يوسف بعد ما اعترفوا بذنبهم وندموا على بدر منهم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^٢.

وقد استغفر يعقوب لأبنائه واثقاً من غفران الله لهم. وهذا نبينا ﷺ يتلقى أمراً من الله بالعفو عن اساءوا إليه والاستغفار لهم.

١- غافر ٤٠: ٧.

٢- يوسف ١٢: ٩٧ - ٩٨.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^١.

كما أشار القرآن الكريم إلى الذين أساءوا فلو أنهم جاءوا إلى النبي ﷺ واعترفوا بخطأهم والتمسوا المغفرة واستغفروا لهم النبي ﷺ لغفر الله لهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^٢.

وهذه هي الفائدة التي أشار إليها الامام الصادق للنبي ﷺ انه يستغفر لامته ويشفع للمخاطبين.

على اننا يجب ألا ننسى ان استغفار النبي ﷺ لا يفيد المنافق والمشرك إذا مات على نفاقه وشركه ولا الكافر إذا مات على كفره وعدم ايمانه بالله. يقول القرآن الكريم:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^٣.

ومن هنا يقول الامام الصادق عليه السلام:

انظر ألا تفوتك البركات الالهية في معرفة النبي ﷺ ومعرفة حرمة ومنزلته في الصلاة عليه وأمر الله بالاستغفار لك والشفاعة فيك بشرط أداء الفرائض امراً ونهياً وأداء السنن والآداب^٤.

١- آل عمران ٣: ١٥٩.

٢- النساء ٤: ٦٤.

٣- المنافقون ٦٣: ٦.

٤- من المؤسف ان المذهب الوهابي السطحي يعتبر التوسل بالنبي وآله وطلب الاستغفار والشفاعة أمر يتنافى مع التوحيد وهذا القرآن الكريم يصرح بالشفاعة والاستغفار.

الشفاعة:

الشفاعة في القرآن الكريم والروايات والأخبار أصل هام على الصعيد التشريعي وهي كذلك في عالم الطبيعة أصل تكويني وان انكار أي من هذين الأصلين التشريعي والتكويني ناجم عن الجهل وعدم الاطلاع على الحقائق الالهية وقضايا الطبيعة والتكوين.

وفي عالم الطبيعيات سواء في النظام السماوي أو في عالم الجمادات أو في عالم النباتات أو الحيوانات ان الكائنات تكمل بعضها البعض حيث يقوم كائن ما بسدّ النقص الموجود في كائن آخر في حالة ان الكائن الأوّل على استعداد وقابلية وانه لم يفقد هذه القابلية وهذا هو معنى الشفاعة في عالم التكوين.

فالشجرة التي لها جذور فعالة حية عند ما تتحد بالأرض وتتضامن مع التربة فان الأرض تشفع لها وتسدّ ما تحتاجه من الماء والأملاح. أمّا إذا كانتا الجذور يابسة وقد توقفت فاعلية الساق والأوراق، فإنّ شفاعة الأرض لا تفيدها ولا تجديها نفعاً.

الطفل بشفاعة ثدي الأم يحصل على ما يحتاج من اللبن الغني بالمواد اللازمة لنموه لكن الطفل المريض المشرف على الوفاة لن ينفعه الرضاع ولن يجديه.

إننا بشفاعة الهواء ومن خلال الجهاز التنفسي نحصل على الاوكسجين ونستمر في الحياة لكن ان تعطل هذا الجهاز ما الذي تجديه لنا شفاعة الهواء لنا؟ وهكذا الأمر في التشريع فالشفاعة من هذا القبيل إننا إذا عرفنا التوحيد وأطلعنا على حلال الله وحرامه وآمناً بالقيامة والملائكة والكتب السماوية وسرنا في ضوء ذلك نحو الكمال فان كلّ ذلك هو من بركات النبي وآله وشفاعتهم في الدنيا لنا عند الله هو بهذا المعنى.

بعبارة أخرى اننا لو كنّا وجدنا ولم نعرف النبوة والامامة فأننا سنبقى في جهل ولا نغلقت علينا نوافذ وأبواب الرشاد والكمال والايمان والاسلام والعمل الصالح والأخلاق لكنّا الآن إلى جوار النبوة والامامة نتمتع بهذه الحسنات وهذا هو معنى الشفاعة للنبي ﷺ في مرحلة الحياة الدنيا.

وفي عالم الآخرة فان مسألة الشفاعة على هذا النحو؛ بمعنى ان المؤمن عند ما يرد عالم الآخرة وله من العمل الصالح مقدار ما وكان الميزان (ميزان الأعمال) يؤشر إلى أن ذنوبنا أكثر من حسناتنا وكذلك كنّا في حزن من أجل ذلك في الدنيا فان شفاعة الأئمة عليهم السلام وشفاعة النبي ﷺ باذن الله سيكون لنا منها نصيب وننجو من العقاب والعذاب يوم القيامة.

ان الانسان إذا ورد مقام التوبة يوم القيامة وقد تجلّت حقيقة الايمان من خلال العمل بالفرائض وكانت لديه قابلية قبول الحقائق فلماذا لا ينال حظه من الشفاعة وقد ذكرنا قوله تعالى من قبل:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^١.

ومفهوم الشفاعة في أدبيات الاسلام لا تشبه ظاهره التوسط في الدنيا أو ما يعرف بالوساطات حيث يقوم بها الظالمون والأقوياء والتي تفضي إلى تعزيز سلطتهم وتشجع على الظلم والجريمة.

بل ان الشفاعة في الاسلام علاج وبناء وقضاء على الجرم والذنب ولو لا الشفاعة للخطئين في الدنيا وفي الآخرة عند الله لأصاب اليأس المذنبين وفقدوا

الأمل برحمة الله سبحانه.

وفي هذه الحالة فان المذنب الذي يفقد الرجاء بالشفاعة والمغفرة والعفو سوف يمعن في اجرامه ويستغرق في حياة الاثم والعصيان والجريمة لأنه لم يعد لديهم فرق إذا ما توقفوا وراجعوا أنفسهم لاصلاح سيرتهم ومسيرتهم. واذن فان الشفاعة دواء وعلاج في حقيقة الأمر وطريق للنجاة وأرية من صالحة من الأمل والرجاء وبوابة للرحمة ونافذة للخلاص.

ان منكري الشفاعة يتصورون بانكارهم الشفاعة صيانة مفهوم التوحيد من الشرك ولذا ناهضوا هذا المفهوم واعتبروا مفهوم الشفاعة بدعة وشركاً ولو فكروا قليلاً بحقيقة هذا المفهوم لاكتشفوا جذوره الدينية والاسلامية.

يقول الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة ان مسألة التوبة هي الأجدن وهي ذروة الشفاعة:

« لا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ »!

حقاً لو أن شفاعة التوبة منتفية فما الذي يفعله المذنب بذنوبه والتائب بمعاصيه وماذا يفعل الذي يريد الاصلاح في سيرته وسلوكه؛ ما الذي يفعله الانسان المذنب إذا لم تكن هناك شفاعة وشفيع ولم يكن هناك من نبي وامام. وعلى أية حال ان للمشفع شروطاً يجب أن تتوفر فيه ومن المؤكد ان الشفيع لا يشفع للمشفع إلا باذن الله سواء في الدنيا أو في الآخرة.

ولا شك في ان المشفع لا ينجو من الهلاك إلا بشفاعة التوبة والعمل الصالح والايمان لكي يفوز بشفاعة النبي والامام المعصوم وبهذه الشفاعة يدخل الجنة. وأهم ما في باب الشفاعة هو شروطها لدى المشفع وان على من يرجو الشفاعة أن

يهتم بهذه الشروط.

جاء في التفسير الامثل، ان آيات الشفاعة تدلّ على أن مسألة الشفاعة وفق منطق الاسلام ليست موضوعاً دون قيد أو شرط، فهناك شروط وظروف للجرم الذي يراد الشفاعة فيه لمرتكبه هذا من جهة ومن جهة أخرى ما يخص المشفع وشخص الشفيع من جهة ثالثة الذي يوضح الوجه الأساسي للشفاعة وفلسفتها.

فمثلاً تخرج بعض الذنوب كالظلم من دائرة الشفاعة وقد صرح القرآن الكريم بأن الظالمين يردون عالم الآخرة وليس لهم شفيع مطاع.

وإذا أخذنا الظلم بمعناه الواسع كما ورد في بعض الاحاديث الشريفة فان الشفاعة تنحصر بالمذنبين الذين ندموا على ما اقترفوه من المعاصي وبادروا إلى اصلاح أنفسهم وسيرتهم وفي هذه الحالة فان الشفاعة ستكون لهم الظهير الذي يساند حركتهم الجديدة؛ ومن الخطأ أن نتصور انه لا حاجة للشفاعة في وجود التوبة والندم.

ووفقاً للآية ٢٨ من سورة الأنبياء ان الشفاعة لا تنال إلا من ارتضاه الله.

كما ان الآية (٨٧) من سورة مريم:

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

تشير إلى ان الشفاعة عهد الهي.

ويستفاد من المفهوم اللغوي من العنوانين ومن الروايات الواردة في تفسير الآيات انها تتضمن الايمان بالله والحساب والميزان والثواب والعقاب والشهادة بالصدق بما أنزل الله؛ ايمان بالفكر ينعكس في حياة الانسان وسلوكه وعلامة ذلك ان المشفع يخرج نفسه من صفة الظالمين والطغاة ويقوم بمراجعة واعادة

١- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ﴾.

النظر في سيرته وسلوكه.

ومن خلال آيات الاستغفار أعلاه ان الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم قد ندموا وبادروا إلى الاصلاح والصلاح وجاءوا إلى النبي يعقوب عليه السلام وإلى نبينا صلى الله عليه وآله وطلبوا الشفاعة لقبول توبتهم عند الله عزوجل.

وقد ورد في تفسير البرهان عن الامام موسى بن جعفر عن جدّه الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^١.

وقد سأل راوي الحديث وهو محمد بن أبي عمير الامام الكاظم عليه السلام: كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر! وقد قال الله عزوجل:

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^٢.

فقال الامام عليه السلام:

لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه^٣.

ومن هنا قال الامام الصادق عليه السلام:

وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمة فتحرم من فائدة صلاته وأمره بالاستغفار لك والشفاعة فيك.

يقول شاعر عارف في مديح الرسول صلى الله عليه وآله:

١- الأمامي، شيخ صدوق: ٧، المجلس الثاني، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٣٣٥/١٥، باب ٤٧، حديث ٢٠٦٧٥.

٢- انبياء ٢١: ٢٨.

٣- تفسير نمونه: ٢٢٨/١.

انظر الى طلعة الحسن من غير حد محدد.

انظر الشاهد المطلق المجرد.

انصرف عن الغير إلى الحبيب وانظر إلى الفردوس السرمد.

افتح أبواب الجنان لترى شعشات جمال محمد.

من آدم إلى نوح إلى روح الله يهب نسيم أحمد.

تحت لواء الحمد والمحمود ألف موسى وعيسى.

خاتم الرسل والنبیین انظر طلعة النبي الأمجد.

كل قلب طليق في العالمين أسير عزته مقيد.

العالم بأسره ينطوي تحت توحيده قد رعاه الرب متقلّباً بين أب وجد.

ذلك سيد عالم التجرد مخدوم الملائكة..

أوتيت يا نبي الله جوامع الكلم.

وقدر أن يصعد إليه الطاهرون.

الباب

(١٩)

في آداب الاسلام

«قال الصادق عليه السلام:

مَعْنَى السَّلَامِ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَعْنَى الْأَمَانِ، أَيْ مَنْ أَدَّى أَمْرَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ خَاضِعًا لَهُ خَاشِعًا مِنْهُ فَلَهُ الْأَمَانُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَبَرَاءَةٍ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ.

وَالسَّلَامُ إِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْدَعَهُ خَلْقَهُ لِيَسْتَعْمِلُوا مَعْنَاهُ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ وَالْأَنْصَافَاتِ وَتَصَدِيقِ مُصَاحِبَتِهِمْ وَصِحَّةِ مُعَاشَرَتِهِمْ. وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَضَعَ السَّلَامَ مَوْضِعَهُ وَتُؤَدِّيَ مَعْنَاهُ فَاتَّقِ اللَّهَ وَكَيْسَلَمْ مِنْكَ دِينُكَ وَقَلْبُكَ وَعَقْلُكَ أَنْ لَا تُدْنِسَهَا بِظُلْمَةِ الْمَعَاصِي وَكَيْسَلَمْ حَفِظْتَكَ أَنْ لَا تُبْرِمَهُمْ وَتَمْلَهُمْ وَتُوَحِّشَهُمْ مِنْكَ بِسُوءِ مُعَامَلَتِكَ مَعَهُمْ ثُمَّ صَدِيقُكَ ثُمَّ عَدُوُّكَ فَإِذَا لَمْ يَسَلَمْ مَنْ هُوَ الْأَقْرَبُ فَأَلْأَبَعْدُ أَوْلَى.

وَمَنْ لَا يَضَعُ السَّلَامَ مَوَاضِعَهُ هَذِهِ فَلَا سَلَامَ وَلَا تَسْلِيمَ وَكَانَ كَاذِبًا فِي سَلَامِهِ وَإِنْ أَفْشَاهُ فِي الْخَلْقِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلْقَ بَيْنَ فِتْنٍ وَمِعْنٍ وَمِحْنٍ فِي الدُّنْيَا إِمَّا مُبْتَلَى بِالنُّعْمِ لِيُظْهَرَ شُكْرُهُ وَإِمَّا مُبْتَلَى بِالشَّدَّةِ لِيُظْهَرَ صَبْرُهُ وَالْكَرَامَةُ فِي طَاعَتِهِ وَالْهَوَانُ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى رِضْوَانِهِ بِفَضْلِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَلَا شَفِيعَ إِلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَرَحْمَتِهِ.»

«مَعْنَى السَّلَامِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَعْنَى الْأَمَانِ، أَيُ مَنْ أَدَّى أَمْرَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ خَاضِعاً لَهُ خَاشِعاً مِنْهُ فَلَهُ الْأَمَانُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَبَرَاءَةٌ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ»

معنى السلام في الصلاة:

في ختام كل صلاة يقوم المصلي بالتسليم ثلاث مرات الأولى على النبي ﷺ ثم السلام على عباد الله الصالحين ثم السلام على جميع أهل الاسلام من ملائكة ومؤمنين وعباد الله الحقيقيين.

نعم في ختام كل صلاة يقول المصلي ما هذا نصة:

«السلام عليك ايها النبي ﷺ وبركاته، السلام علينا و على عباد الله

الصالحين، السلام عليكم وﷺ وبركاته».

ونلاحظ في السلام الأول «عليك» وفي السلام الثاني «علينا» وفي السلام

الثالث «عليكم» وفي هذا التدرج دلالة على ان للمصلي الحقيقي بالتزامه شروط

الايمان والعمل والعبادة والأخلاق مقام معنوي قرب الرسول ﷺ وعباد الله

الصالحين وجميع ملائكة الله والصالحين من الجن والأنس أجمعين.

ومن هنا يقتضي الأدب في حضور الجميع أن يسلم المصلي عليهم وفي هذا حصن

حصين من الأمن الالهي فمن ورد هذا الحصن أمن البلاء في الدنيا والعذاب في الآخرة.
وكما قال الامام الصادق عليه السلام ان معنى الصلاة معنى الأمان، فالمصلي يحصل
على الأمان في ختام كل صلاة.

مع الاشارة إلى الشروط التي ينبغي توفرها في أداء أمر الله وسنة نبيه في
خضوع وخشوع.

يقول القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ
وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^١.

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى
فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^٢.

أجل أننا اليوم نمتلك الفرصة في أداء العمل الصالح والله سبحانه مطلع علينا
وقد وعد عباده بالأمان إن هم أطاعوا.

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ
الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^٣.

١- الانعام: ٦: ٨٢.

٢- فصلت: ٤١: ٤٠.

٣- الأنبياء: ٢١: ١٠٣.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^١.

وعلى أية حال فإن السلام في الصلاة كالركوع والسجود والتشهد يجب أن ينطوي على حقيقة ومصادقة.

ان من يريد بلوغ حالة الأمان والسلام الحقيقي ينبغي أن ينطوي على حقيقة الايمان وأن يصبر على هذا الايمان بالقيام بالعمل الصالح وأن يتحلّى بالأخلاق الحسنة وفي غير هذه الحالة فإن سلامه مجرد أفاظ جافة ميتة لا تنطوي على روح وحياء؛ فهو يؤدي الصلاة والسلام بلسانه؛ وقلبه في وادٍ آخر لأن الصلاة بكل أجزائها يجب أن يؤديها المصلّي متوحداً بكيانه كلّه وان تحصل حالة من التوحد الانساني واتحاد بين الروح والقلب والأعضاء والجوارح.

هلمّوا لنخطوا في طريق الله لنرتقي في سلّم الصلاة من خلال قلب حاضر وروح ترنو إلى رضوان الله من أجل أن نحصل على الأمان وتستقبلنا الملائكة تبشرنا بالسلام.

«وَالسَّلَامُ إِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أُوْدَعَهُ خَلْقَهُ لِيَسْتَعْمَلُوا مَعْنَاهُ فِي
الْمُعَامَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ وَالْأَعْنَاصَاتِ وَتَصْدِيقِ مُصَاحِبَتِهِمْ وَصِحَّةِ مُعَاشَرَتِهِمْ»

السلام في الاسلام:

التأمل في هذا المقطع أعلاه والغوص في معانيه ودلالاته يفضي إلى هذه الحقيقة وهي ان السلام اسم من أسماء الله الحسنى وانه أودع بين البشر لنشر حالة السلام والطمأنينة وروح الثقة في العلاقات الانسانية والروابط الاجتماعية؛ ومن خلال التعامل بصدق ومن خلال الانصاف والثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع تسود حالة السلام التي هي جوهر الحالة الاسلامية.

ان الحياة الاجتماعية يجب ان تنظم في ضوء الشريعة الاسلامية فالمعاملات والعلاقات والأمانات وكل شؤون الحياة ينبغي أن تجري في ضوء الاسلام؛ ومن أجل ذلك ينعم الانسان المؤمن بالسلام خلال حياته في الدنيا وفي عالم الآخرة أيضاً. ومن هنا نفهم معنى السلام الذي تشير إليه الآية الكريمة حول سيدنا يحيى عليه السلام سيّدنا عيسى عليه السلام.

قال عزّ وجلّ:

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾^١.

وقال سبحانه بشأن عيسى بن مريم عليه السلام:

﴿وَالسَّلَامُ عَلٰى يَوْمٍ وُلِدَتْ وَّيَوْمَ أَمُوتُ وَّيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^١.

ولقد عاش الأنبياء والأئمة الأوصياء والأولياء والصالحون من عباد الله سبحانه هذه الحالة من السلام والطمأنينة والأمان.

ولا شك ان الذي يعيش حالة السلام في الدنيا فانه سوف يعيش نفس هذه الحالة في الآخرة وسوف يتمتع بنفس هذه المشاعر والأحاسيس.

سوف ينعم الانسان المؤمن بالسلام التام والرضوان الالهي، هذا الرضوان الذي يعبر عن الاحساس بالسعادة الأبدية.

«وإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَضَعَ السَّلَامَ مَوْضِعَهُ وَتُوَدِّيَ مَعْنَاهُ فَاتَّقِ اللَّهَ وَلْيَسَلِّمْ مِنْكَ دِينُكَ وَقَلْبُكَ وَعَقْلُكَ أَنْ لَا تُدْنِسَهَا بِظُلْمَةِ الْمَعَاصِي وَلْيَسَلِّمْ حَفَظَتِكَ أَنْ لَا تَبْرِمَهُمْ وَتَمْلَهُمْ وَتُوحِشَهُمْ مِنْكَ بِسُوءِ مُعَامَلَتِكَ مَعَهُمْ ثُمَّ صَدِيقُكَ ثُمَّ عَدُوُّكَ فَإِذَا لَمْ يَسَلِّمْ مَنْ هُوَ الْأَقْرَبُ فَالْأَبْعَدُ أَوْلَى»

السلام الحقيقي وأدابه:

يقول الامام الصادق عليه السلام ان ترجمة السلام الحقيقي على أرض الواقع تتم من خلال التقوى فعلى الانسان ان يتقي الله عزوجل فيصون دينه من خلال الالتزام بالتعاليم الالهية وأيضاً ينبغي أن يصوم قلبه ويحافظ على حالة الصفاء الروحي لأن القلب أشبه ما يكون بالمرآة التي تنعكس فيها الأنوار الالهية فيجب أن تبقى صقيلة نظيفة براقّة وتؤمن حماية للعقل.

اذن شروط السلام الحقيقي هي كالاتي:

١- التزام التقوى.

٢- المحافظة على الدين والقلب والعقل.

إضافة إلى:

٣- عدم ايداء الحفظة الكاتبين من ملائكة الله.

ثم:

٤- رعاية حقوق الأصدقاء وحتى الأعداء.

كلّ هذه الأمور يجب أن تسلم من المعاصي وظلمتها ومن العدوان وسوء المعاملة.

وسوف نتطرق إلى هذه المواد الأربعة خلال فصول الكتاب القادمة.

«وَمَنْ لَا يَضَعُ السَّلَامَ مَوَاضِعَهُ هَذِهِ فَلَا سَلَامَ وَلَا تَسْلِيمَ وَكَانَ كَاذِبًا فِي
سَلَامِهِ وَإِنْ أَفْشَاهُ فِي الْخَلْقِ»

ومن هنا فان عدم الالتزام بالشروط المذكورة فان المرء ولا شك سيكون
ازدواجياً في سلوكه وفي الحقيقة يكذب على نفسه قبل أن يكذب على غيره.
ان السلام يكون حقيقياً اذا نبع من داخل النفس وترجم إلى عمل ينسجم مع
حالة السلام وكيف يعيش الانسان حالة السلام اذا لم يسلم دينه وقلبه وعقله
وأصدقائه من اذاه وسوء معاملته؛ وكيف تعيش النفس الانسانية حالة السلام والمرء
يمارس المعاصي والآثام، حيث الذنوب تهدد حالة السلام والأمن الروحي والعاطفي
والأخلاقي؟

«وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَلْقَ بَيْنَ فِتْنٍ وَمِعْنٍ وَمِحْنٍ فِي الدُّنْيَا إِمَّا مُبْتَلَىٰ بِالنِّعَمِ لِيُظْهَرَ شُكْرُهُ
وَإِمَّا مُبْتَلَىٰ بِالشَّدَةِ لِيُظْهَرَ صَبْرُهُ وَالْكَرَامَةُ فِي طَاعَتِهِ وَالْهَوَانُ فِي مَعْصِيَتِهِ»

الامتحان الالهي:

وهنا يشير الامام الصادق عليه السلام بصراحة إلى ان الدنيا دار امتحان وفتن ومحن،
وان الانسان يعيش بين مرحلتين في حياته الدنيا للامتحان والاختبار.

- ١- امتحان من خلال النعم من أجل اظهار حالة الشكر للحق تبارك وتعالى.
- ٢- امتحان من خلال المحن من أجل اظهار حالة الصبر والتحمل أمام الشدائد واعتبار ان ذلك في عين الله تعالى.

الانسان في تكوينه وحياته ينطوي على قوى وقابليات وأسرار غامضة ووجود
هذه القوى انما هو معلول بحب الله للانسان وثانياً من أجل ترشيد حركته وتكامله.
وهذه القوى والقابليات موجودة في داخل الانسان مثلما البذور المحفوظة في
آنية أو مستودع؛ فاذا قصدها الفلاح وبذرها في تربة صالحة فان هذه البذور
سوف تنبت وتنمو.

نعم البذور التي كانت غافية في الآنية سوف تستيقظ في داخل التربة وتبدأ
نشاطها وفعاليتها في النمو والرشد متحدية الانواء الجوية وكل العوامل التي
تعرقل نموها وازدهارها؛ فهي تواصل النمو في التكامل الى أن تصبح شجرة

تحمل الثمار التي توصل طريقها الى النضج والعطاء.

اما لو زرعت هذه البذور في أرض غير صالحة فانها سوف تفسد بعد مدة وتلاشى.
ان قوى الانسان وقابلياته لا تتفجر ولا تبرز الا بالاصطدام بالحوادث ومواجهة
التحديات والانسان لا تصقل مواهبه الا التحديات والعمل والمثابرة والسعي، وبعد
أن يواجه الانسان صروف الحياة حينئذ تنطلق مواهبه وابداعاته وتتفجر قواه.
ومن هنا يأتي الامتحان والابتلاء الذي يشير إليه القرآن الكريم في العديد من
آياته وهذه الاختبارات ضرورية لرشد الانسان ونموه وتكامله.

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ
* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^١

ثمار الامتحان الالهي:

ومن الضروري الاشارة إلى هذه النقطة وهي ان الامتحان الالهي لا يشبه ما
يجري في عصرنا من امتحانات في المدارس حيث يتضح للمعلم الطالب المجد
في درسه من الطالب الكسلان؛ ان الله الذي خلق الوجود يعرف ظاهر هذا
الوجود وباطنه ان الامتحان الإلهي إنما هو من أجل الانسان ومن أجل ترشيد
حركته نحو الكمال المنشود.

ومن هنا على الانسان أن يعرف الحلال والحرام وأن يعلم ان الحياة وما يعانیه
فيها هو امتحان واختبار وان ذلك من أجل تكامله ورشده.

وان النعم أيضاً جزء من الامتحان والابتلاء والمطلوب من الانسان أن يشكر الله جراً النعم وأن يصبر ويحتسب الأجر عند الله في حالة مواجهته للمشكلات. يقول الامام علي عليه السلام في الامتحان يكرم المرء أو يهان^١.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾^٢.

والتعامل الصحيح مع الابتلاء أو الامتحان الالهي والاختبار الرباني تتجلى قدرات الانسان وقواه الروحية ورؤيته الفكرية وصفائه النفسي وسلامة قلبه وقابليته على ضبط أهوائه وهنا يتقدم الانسان ويرقى في سلم الكمال.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^٣.

اسلوب التعامل مع الامتحان:

نواجه نحن البشر أنواعاً من الامتحان ولقد وهبنا الله سبحانه العقل والنفس والقلب ونبوة الأنبياء وإمامة الأئمة وفقه الفقهاء.

الحوادث الاجتماعية، الفقر، الثروة، الصحة والمرض هي امتحانات الهية والمسألة الجوهرية في هذا المضمار هي كيفية التعامل الصحيح مع ذلك وهل سنكون في صفوف الشاكرين أو الصابرين أو...

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

١- غرر الحكم: ١٠٠، حديث ١٧٤٦.

٢- التوبة: ٩: ١٢٦.

٣- البقرة: ٢: ١٢٤.

وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ
مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾

أجل ان كرامة الانسان تتجلى عندما يتعامل الانسان مع الحوادث والتحديات والمشكلات بالصبر والطاعة لله سبحانه. أما إذا انزلت الانسان إلى وادي العصيان فانه في الحقيقة قد انزلت إلى هاوية الهوان لأن الكرامة في طاعة لله والهوان في معصيته كما يقول الامام الصادق عليه السلام.

أجر الصبر على الامتحان الإلهي:

ليس هناك ما هو أكثر خطورة من منعطفات الامتحان وأيضاً ليس هناك ما هو أطف من هذه المنعطفات لأن الانسان الذي يجتاز الامتحان بنجاح سوف يحصل على درجة أرقى ويصل إلى درجة أعلى وسوف يتقدم في قدراته المعنوية الى الامام؛ وعندما يخرج من الامتحان ناجحاً فانه يخرج مرفوع الرأس والهامة، حيث يلج عالم الآخرة وقد حصل على ثورة أخلاقية وروحية تؤهله لأن يحيا سعيداً في عالم منعم بالنعيم.

سوف يُستقبل هناك من قبل الأرواح الطيبة للمصالحين في عالم البرزخ الذي يؤدّي به إلى عالم الخلود.

وفي يوم القيامة سوف تستقبله الملائكة تبشّره بالفوز برضوان الله في جنّات النعيم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٢﴾

١- البقرة ٢: ١٥٥ - ١٥٧.

٢- الزمر ٣٩: ٧٣.

فينعمون بالسكن في جنّات الفردوس التي أعدّها الله لعباده المخلصين.
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^١.

إن مسألة الامتحان الحتمية ومسألة الابتلاء هي ظاهرة اجتماعية هدفها تفجير
قابليات الانسان الروحية؛ ولذا نرى الآباء والمربين يؤكدون عليها من أجل أن
يستعد الانسان للامتحان الإلهي وينجح في هذا الامتحان.

وهذه حقيقة ينبغي التأكيد عليها من قبل الآباء والأمهات والمعلمين والخطباء
والواعظين وان اهمال الأبناء وعدم ارشادهم الى هذه الحقيقة وترسيخها في
حياتهم أمر يتنافى مع الاسس الدينية للتربية الصحيحة.

وعند ما ينشأ الأبناء من دون تعليم وارشاد ومن دون استعداد لمواجهة صروف
الحياة فانهم سوف يفشلون في أول ابتلاء وفي أول تحدّي من تحدّيات الحياة،
لأنهم قد يفاجأون بما أعدّه الشيطان من اساليب في المكر والخديعة والاغراء.
في سجن هذه الحياة الفانية اختر العزلة فالعزلة كنز لتحصل على كنز المعاني.
واهجر الدنيا لأنك ان تركتها فسوف تملك حياتك الاخرى.

تحمل المرارة في هذا الزمان لأنك ان صبرت ستحصل على حلاوة
الغد في العالم الآخر.

اصبر أياماً كما الرجال الأشداء سوف تنتهي رحلة العذاب الى نبع الخلود.
ليصفر وجهك كالزعفران جرّاء احياء الليل.

ففي يوم الحشر سيكون لون وجهك كلون الارجوان.
ان مت في حياتك صابراً يا عطار فموتك هو عين الحياة!

«وَلَا سَبِيلَ إِلَى رِضْوَانِهِ بِفَضْلِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ وَلَا شَفِيعَ
إِلَيْهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَرَحْمَتِهِ»

تحقيق الرضا الإلهي:

وفي ختام هذا المقطع يقول الامام الصادق عليه السلام أنه لا سبيل ولا طريق إلى تحقيق رضا الله سبحانه إلا بفضل الله عزوجلّ ولا طريق إلى طاعة الله الأتوفيق من الله وأنه لا شفيع إليه عزوجلّ إلا بإذنه وبرحمته.

اللهم بعزتك وبتكبيرة الاحرام وبسورة الحمد بركوعنا وسجودنا وتشهدنا وتسليمنا وفقنا للقيام بطاعتك والى تحقيق رضوانك؛ لأنه لولا لطفك لكنا من الخاسرين ولولا رحمتك لكنا من الهالكين وانه لا نجاة من عذابك إلا بفضلك ورحمتك ولا يمكن الفرار من حكومتك إلا إليك.

الباب

(١٩)

في آداب الدعاء

«قال الصادق عليه السلام:

إحفظ آداب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولما ذاتدعو وحقق عظمة الله وكبريائه وعابن بقلبك علمه بما في ضميرك وإطاعه على سيرك وما تكن فيه من الحق والباطل يا أجود من أعطى، ويا خير من سئل، ويا أرحم من استرحم، ويا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا من لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، يا من يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويقضى ما أحب يا من يحول بين المرء وقلبه، يا من هو بالمنظر الأعلى، يا من ليس كمثله شيء يا سميع يا بصير.

واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك قال الله تعالى:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾^١
وتفكر ماذا تسئل ولماذا تسئل.

والدعاء إستجابة لكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الأختيار جميعاً وتسليم الأمور كلها ظاهرها وباطنها إلى الله. فإن لم تأت بشرائط الدعاء فلا تنتظر الأجابة فإنه يعلم السر وأخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيتك خلاف ذلك، وقال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدعاء، وأنا أنتظر الحجر.

وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا لِلَّهِ بِالدُّعَاءِ لَكُنَّا إِذَا أَخْلَصْنَا الدُّعَاءَ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالْأَجَابَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ ضَمِنَ لِمَنْ أَتَى بِشَرَائِطِ الدُّعَاءِ.

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ إِسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ قَالَ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، فَفَرَّغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَأَدْعُهُ بِأَيِّ اسْمٍ شِئْتَ فَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلَّهِ اسْمٌ دُونَ اسْمٍ بَلْ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ عَنْ قَلْبٍ لَاهٍ.
قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَسْتَلَّ رَبَّهُ إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَبْتَئِسْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَا يَكُنْ رَجَاؤُهُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْتَلَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْئَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ لِلْمَسْئَلِينَ.

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: لَقَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ مَرَّةً فَاسْتَجَابَ لِي وَنَسِيتُ الْحَاجَةَ لِأَسْتَجَابَتَهُ بِإِقْبَالِهِ عَلَيَّ عَبْدِهِ عِنْدَ دَعْوَتِهِ الْأَعْظَمِ وَأَجَلُّ مِمَّا يُرِيدُ مِنْهُ الْعَبْدُ وَلَوْ كَانَتْ الْجَنَّةُ وَتَعِيمُهَا الْأَبَدَ.

وَلَكِنْ لَا يَعْقِلُ ذَلِكَ إِلَّا الْعَالِمُونَ الْمُحِبُّونَ الْعَارِفُونَ الْعَابِدُونَ بَعْدَ صِفْوَةِ اللَّهِ وَخَوَاصِّهِ.

«إِحْفَظْ آدَابَ الدُّعَاءِ وَأَنْظِرْ مَنْ تَدْعُو وَكَيْفَ تَدْعُو وَلِمَاذَا تَدْعُو؟»

حقيقة الدعاء:

الدعاء حقيقة لها سريان ذاتي في جميع الكائنات سواء في عالم الغيب أو الشهادة ولو لا مواكبة هذه الحقيقة لجميع الكائنات لحرمت من رحمة الحق.

ان التأمل في أحوال الكائنات وبخاصة النسيج الذاتي والمعنوي سيوقفنا على هذه النقطة التي هي حقيقتها وأصلها وجذورها وهي الدعاء ولو لا ان الدعاء يشكل حقيقتها فكيف تتلقى هذا الفيض الإلهي وعن أي طريق؟

أفواه الكائنات مفتوحة لطلب احتياجاتها من المصدر الصمد الغني المطلق وكلّ الخليقة تدعوه بلسان حالها وتعبر عن فقرها ومسكنتها وهذه الحيثية الموجودة في جميع الكائنات عبارة عن الدعاء.

ان ذاتنا نحن البشر وبنائنا الوجودي في تأمين احتياجاتنا هو عين الدعاء والطلب من حضرة الحق لسد النقص وان المقتضيات الداخليّة والخارجيّة للكائنات هي عين الدعاء وأصل الدعاء وهذه حقيقة لا يمكن التناكر لها.

ولو لا الدعاء فانه من المستحيل استمرار الحياة لأي كائن من الكائنات.

الدعاء التكويني والتشريعي:

ان وجود جميع الكائنات في ظاهرها وباطنها هي عين الدعاء ولا يوجد كائن

مستثنى عن ذلك في طبيعة خلقه وخلقته ولا يوجد كائن له القابلية والاستعداد للاستقلال ذاتاً وطبعاً ولا يمكنه ذلك أبداً.

ان ذات وطبيعة جميع الموجودات والكائنات والمخلوقات في تكوينها وبنائها الوجودي في مقابل الذات المطلقة في غناها هي عين الحاجة والنقص والاحتياج للغني المطلق والكائنات جميعاً هي الفقر المطلق.

ان كل الكائنات تمثل عالم الامكان والفقر ولا يوجد كائن مستقل أبداً.
ان أعظم وأجمل كائن خلقه الله هو سيدنا محمد ﷺ وهو في عظمته ومجده يمثل حالة الفقر المطلق للغني المطلق فكيف بسائر الكائنات.

وقد قال الله سبحانه وتعالى مخاطباً حبيبه ﷺ:

«لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ»^١.

ولا يوجد كائن يدرك حالة الفقر المطلقة الى الغني المطلق يضاهي في ادراكه هذه الحقيقة من نبينا محمد ﷺ وهذا الفقر الذاتي يمثل مجد الانسان وحق له أن يفخر بذلك وأن يضع نصب عينيه كلمات رسول الله ﷺ حيث يقول:

«الْفَقْرُ فَخْرِي»^٢.

وفي مضمار هذا النوع من الدعاء وهذا الشكل من الطلب فان ذات الكائنات متساوية فكل عالم الوجود في حالة مستمرة من الفقر الذاتي حتى الكفار والوثنيين والفجار والفساق والملحدين في حالة من الدعاء ولو لا هذا الخيط الذي يربطهم بالفيض المطلق لانعدمت حياتهم في نفس اللحظة التي ينقطع فيها الفيض.

١- المناقب: ٢١٦/١، فصل في اللطائف؛ بحار الأنوار: ٤٠٥/١٦، باب ١٢، حديث ١.

٢- عوالي اللآلي: ٣٩/١، الفصل الرابع، حديث ٣٨؛ بحار الأنوار: ٤٩/٦٩، باب ٩٤، حديث ٥٨.

ان الوجود بأسره في حالة دعاء تكويني وفي حالة استمداد تكويني لأنه لا يمكن الاستمرار في الحياة والوجود من دون ذلك وفي هذا النوع من الدعاء لتكويني لا يوجد نواح ولا دموع ولا بكاء لأن هذا الدعاء موجود ذاتياً في الكائنات وهو جزء من النسيج التكويني لهذه الكائنات؛ أما النوع الآخر من الدعاء فهو الدعاء الذي أمر به الخالق وطلبه من مخلوقاته من الجن والانس والملائكة، وهذا الدعاء يتحقق بالاستجابة لرب العزة جلّ جلاله.

صحيح انّ الله عزّوجلّ عالم بعبادة مطلع على ما يريدون؛ إلا ان الله سبحانه اللطيف الخبير بعباده أمر عباده أن يدعونه ويطلبوا منه حوائجهم، وقد أرسل سبحانه الرسل والأنبياء يعلمون عباده كيف يدعون ربهم بأدب اذ ان للدعاء آداب وشروط. ولدينا أمثلة عن عباد الله الصالحين وكيف يدعون ربهم بكلمات معبرة ممتزجة بدموع الشوق والحب والتضرّع.

ان على الناس جميعاً ان يقبلوا بوجوههم على الله عزّوجلّ وخاصة الذين ارتكبوا الذنوب والخطايا ان عليهم أن يدعوا ربهم ويطلبوا منه الصفح والعتو والغفران، أن يعبروا عن ندمهم وعن عزمهم في أن يطيعوا الله ولا يعصوه أن يطلبوا من الله التوفيق في الدنيا والصفح في الآخرة وأن يطلبوا من الخير المطلق خير الدنيا والآخرة.

وهذا النوع الذي أشارت له آيات القرآن الكريم والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام هو الدعاء التشريعي.

ان على الانسان المؤمن بالله والرسالات الالهية ألا يتكبر على الدعاء وان يضع جبهته على التراب ويعفر وجهه ويتضرّع الى الله عليه ان يستعذ بالله من شرور الشيطان عليه أن يلوذ بالله من عاديات الزمن ومن طوارق الدهر والقدر.

ان الأمعان في المعصية وعدم الندم وعدم العودة إلى الله والتوبة إليه لن يوصلهم الى شيء سوى الخسران.

ومن هنا ينبغي القول ان الدعاء أفضل الأعمال وهو جوهر العبادة والانعكاس التام للعبودية.

ليس هناك ما هو أجمل من أن يجلس الانسان في حضرة رب العزة ليسجد له ويركع ويرفع كفيه بالدعاء ويذرف دموع التضرع إلى الباري عزوجل ويطلب منه ما يسد به نقصه ويعبر عن حبه لله وشوقه للقياء ويستمدّه العون والقدرة على حلّ المشكلات ومواجهة صروف الحياة.

دعاء الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام:

وقد نقل القرآن الكريم عن الأنبياء أدعية في وقت السراء والضراء وان التأمل في نصوص هذه الأدعية غاية في الأهمية لكي نتعلم آداب الدعاء ولغة الدعاء ومفردات الدعاء الذي هو جوهر العبادة والعبودية لله تعالى.

وقد أورد القرآن الكريم نماذج من أدعية الأنبياء ليتعلم منها عباد الله من تلكم النفوس الطاهرة:

- ١- من آدم في سورة الاعراف الآية ٣٣.
- ٢- ومن نوح في سورة نوح الآية ٢٨.
- ٣- ومن ابراهيم في سورة ابراهيم الآية ٤٠.
- ٤- ومن سليمان في سورة النمل الآية ١٩.
- ٥- من يونس في سورة الأنبياء الآيتان ٨٧ - ٨٨.
- ٦- من يوسف في سورة يوسف الآية ٣٣.

٧- من موسى في سورة القصص الآيتان ٢١ - ٢٢.

٨- من زكريا في سورة آل عمران الآية ٣٨.

٩- من نبينا محمد ﷺ في سورة طه الآية ١١٣.

ومن أجل ادراك المعاني العميقة لأئمة أهل البيت الكريم وما تنطوي عليه من كنوز روحية ومعنوية والتي تعد في الواقع مدرسة كبرى لعلاج الأمراض النفسية والروحية فإنه يمكن مراجعة هذه الأسفار الجليلة: «البلد الأمين» للكفعمي، «عدة الداعي» لابن فهد، «مصباح الزائر» و «زاد المعاد» للعلامة المجلسي.

كتاب الدعاء في «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي أيضاً.

«الصحيفة السجادية» وأخيراً نصوص من نهج البلاغة.

ويبقى في طليعة كتب الدعاء كتاب «مفاتيح الجنان» للمحدث القمي رحمته الله.

إن المرء عند ما يغوص ويتشرب ما جاء من كلمات معبرة ونصوص رائعة في أدعية أهل البيت عليهم السلام من قبيل دعاء كميل، ودعاء عرفة، ودعاء ومناجاة أبي حمزة الثمالي والمناجاة الشعبانية ودعاء مكارم الأخلاق والدعاء الخاص بعد زيارة الامام الرضا عليه السلام سوف يدرك ان الدعاء هو العامل الأكثر دفعا للانسان في حركته التكاملية نحو القيم الانسانية النبيلة.

إن الكلمات التي ينادي بها الانسان ربه وخالقه من خلال نصوص هذه الأدعية تفعل فعلها الأخلاقي والتربوي في تركية النفس الانسانية وتهذيبها وتزيد من صفاء الروح وطمانينة الفؤاد التي تحصل من خلال تتأجج شعلة الايمان وبالتالي اخلاء النفس البشرية من تأثيرات الوسوس الشيطانية.

الدعاء في كلمات المفكرين والمتقين:

وتتجلى أهمية الدعاء وقيمه الروحية وتأثيراته النفسية الايجابية ان العلماء الاوربيين اذعنوا لهذه الحقيقة وأشاروا إلى أهمية الدعاء في حركة الانسان التكاملية ورفيه الروحي والمعنوي بل ان بعضهم يرى في الدعاء الوسيلة الأنجع لعلاج الأمراض الجسمية المستعصية؛ واليوم يحفل العالم بوجود العيادات الروحية التي تصدّت لعلاج الأمراض العضال.

كارليل والدعاء:

يعد توماس كارليل في طليعة علماء فرنسا وله كتاب يدعى «الدعاء» ولديه أيضاً بحوث مبنوثة في حنايا كتبه الأخرى مثل «الانسان ذلك المجهول» يقول هذا العالم الكبير في بحث تحت عنوان «الدعاء عامل للتقدم أم الجمود». في حالة الدعاء الانسان لا يعمل بمعادلة واحدة يعني يقرأ نصاً بلسانه وانما وجدانه أيضاً يستغرق غائصاً في عالم التجرد والانقطاع بحيث لا يمكنه أن يتصور ذلك بذاته. وهذه الحالة العجيبة لا تنحصر تأثيراتها في رقي القوى الروحية فحسب انها من التأثير العميق بحيث تؤثر في أعضاء الجسم بشكل مدهش، ربما لا يمكن ملاحظة ذلك في اليوم الأول ولكن تدريجياً عندما يعتاد الانسان على هذه الممارسة فانه يشعر بلذة روحية لا تفوقها لذة. ان الانسان يسلم نفسه الى الله كصخرة من الرخام يتركها بين يدي النحات يصقلها كما يشاء؛ انه يطلب من الله الرحمة التي تهب عليه بنسائمها المنعشة.

كبلر والدعاء:

يؤمن كثير بالدعاء بأشد ما يكون عليه الانسان من الايمان يقول في كتابه

«الهيئة في عقيدة الاسلام» حول موضوع المناجاة.

قبل أن أترك هذه المنضدة أفرغت كل لمساتي عليها لم يبق عليّ ما أوديه سوى عمل واحد فقط ألا وهو أن أغمض عيني وارفع يدي نحو السماء وارفع خالص شكري وحمدي الى خالق هذه النجوم الساطعة ثم يسجل الكاتب هذه المناجاة:

يا الهي! لقد أضاءت تجليات مسرح الوجود بأسره وأضاءت أفكارنا بنورك الأبدى.. ووجودك السرمدى...

يا مبدعي ويا خالقي! انني أشكرك وأحمدك وأقدسك فان بدر مني أنا العبد الضئيل لفظ لا يليق بمقامك فنور فكري لأمحوه.

آه إن حصل ذلك فسامحني برحمتك وامنن عليّ في التواضع فلا أكون متكبراً نرجسياً معجباً بذاتي مغروراً بنفسي...

ساعدني يا الهي في التعرف على مجدك والطريق إليك!

غولن كلارك والدعاء:

غولن كلارك من كبار علماء الغرب وهو مؤسس «قسم الدعاء» وزعيم وامام مخيم «قوى الدعاء» يقول هذا العالم:

اليوم ان حاجتنا الكبرى هي للدعاء ثمة جيش كبير من اولئك الذين ينزوون في بيوتهم من الشيوخ الذين يتصورون ان نهاية حياتهم باتت قريبة اولئك المرضى الذين يتطلعون إلى اليوم الذين يغادرون فيه اسرة المستشفيات أصحاب لكي يُكون لحياتهم معنى.

هؤلاء واولئك انما هم في الحقيقة مناجم انسانية لم يفتح عن كنوزها؛ ان

هؤلاء المنزورون في طوايا بيوتهم يمكنهم الالتحاق بجيش الدعاء في هذا الجهاد الروحي في عالم جديد مفعم بالصفاء.

عند ما جلس رواد الفضاء في سفينتهم ابولو (٨) في تلك الخلوة الروحية تمتموا بهذا الدعاء أدناه وفي هذا دليل على حاجة الانسان للدعاء أصغ إليهم وهم يناجون الخالق:

يا الهنا العظيم! إمنحنا الرؤية لكي نرى اسمك في عالم الوجود وندرك حبك للانسان رغم خطاياها.

يا الهنا العظيم! إمنحنا الايمان لنستند الى الخير رغم جهلنا وضعفنا!
 وهب لنا العلم لكي ندرك وجودك ونشكرك وارشدنا إلى مسؤوليتنا من أجل نشر السلام في العالم حتى نهض من أجل ذلك!
 وعلى أية حال فان الدعاء أمر ضروري وفطري وهو أمر الله الذي أمرنا به وجزء أساسي من أخلاق الأنبياء، ومع ان الله مطلع على أسرار عباده وما يحتاجون إليه إلا انه بالدعاء وبالتعبير المباشر من الانسان إلى الله ينالون استحقاقهم من العطاء الرباني.

الدعاء مطلب انساني والمطلب إذا كان حقيقياً فان الانسان سوف يسعى اليه بشوق من أجل تحقيقه فيمنحه قوة الحركة والمتابعة وروح المثابرة والسعي.

القرآن والدعاء:

القرآن المجيد يتطرق إلى مسألة الدعاء من جهات عديدة فهناك مسألة:

١ - الأمر بالدعاء:

ان الله سبحانه أمر بالدعاء وطلب من عباده أن يدعوه والدعاء وسيلة نزول

الفيض الالهي وخير الدنيا والآخرة.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^١.

وجاء في القرآن الكريم أيضاً:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^٢.

وجاء أيضاً:

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^٣.

٢ - الدعاء مفتاح الفرج:

إن الدعاء علة في حل المشكلات والنجاة من الهم والغم والعذاب.

وعادة ما يلجأ الناس في أوقات المحنة والشدة الى الدعاء والتضرع إلى الله ويعاهدون الله إذا أنجاهم وأنقذهم أن يكونوا من الشاكرين وعند ما تأتي لحظات الفرج ويكشف عن الكرب اذا بهذا الانسان لا يتجه إلى الله ليشكره وإنما يتصور شيئاً آخر كان هو السبب في خلاصه وهذا هو الشرك بالله.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ * قُلِ
اللَّهُ يُنَجِّيْكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾^٤.

١- غافر ٤٠: ٦٠.

٢- الاعراف ٧: ٥٥.

٣- الاسراء ١٧: ١١٠.

٤- الانعام ٦: ٦٣ - ٦٤.

٣ - الدعاء علامة المؤمن:

إن الدعاء جزء من ثقافة الانسان المؤمن اذ تراه يدعو ربه في كل شيء مؤمناً تمام الايمان ان كل ما يجري هو بمشيئة الله وارادته فهو يدعو الله في أوقات الشدة والرخاء في الفقر والرفاه وفي كل الأحوال.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^١.

٤ - استجابة الدعاء:

إن الله سبحانه يطلب من عباده الدعاء وقد وعدهم باستجابة الدعاء إلا ان للدعاء شروط على الداعي أن يلتزم بها لكي تتحقق الاستجابة من لدن الله عزوجل.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^٢.

٥ - ضرورة الدعاء:

وهذه نقطة غاية في الأهمية وهي لولا وجود الدعاء فإن الله عزوجل لن يكثرث لعباده.

﴿قُلْ مَا يَعْزُبُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^٣.

٦ - الدعاء أمر فطري:

الدعاء في حياة الانسان أمر فطري وضروري ذلك انه يواجه تحديات كبيرة

١. الأنبياء: ٢١: ٩٠.

٢. البقرة: ٢: ١٨٦.

٣. الفرقان: ٢٥: ٧٧.

ومصاعب في حياته وهو في منعطفات الحياة بحاجة ماسة إلى الدعاء حيث الدعاء في الحقيقة طريق هداية ويؤدّي دوراً هاماً في تعزيز العلاقة بين الانسان وربّه.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾^١
 ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^٢

وجاء في كتاب الله سبحانه:

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾^٣

وجاء أيضاً:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْأَنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٤

الروايات والدعاء:

ان مسألة الدعاء وآثاره في الحياة الانسانية تبلغ من الأهمية بحيث نجد محدث

١- الروم ٣٠: ٣٣.

٢- العنكبوت ٢٩: ٦٥.

٣- لقمان ٣١: ٣٢.

٤- يونس ١٠: ١٢.

الشيعة الأكبر ثقة الاسلام الكليني في كتابه الجليل «الكافي» يخصص ما يناهز الستين باباً في مضمار الدعاء وأجد من المفيد الاشارة إلى بعضها:

فضيلة الدعاء

قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَيُّ الْعِبَادَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ أَنْ يُسْتَلَّ وَيُطَلَّبُ مِمَّا عِنْدَهُ وَمَا أَحَدٌ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِمَّنْ يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَلُّ مَا عِنْدَهُ»^١.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

قَالَ لِي: «يَا مَيِّسِرُ أَدْعُ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ فَرَّغَ مِنْهُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مَنَزَلَةٌ لَا تَنَالُ إِلَّا بِمَسْئَلَةٍ وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا سَدَّ فَاهُ وَلَمْ يَسْأَلْ لَمْ يُعْطَ شَيْئاً فَسَلْ تُعْطَ يَا مَيِّسِرُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابٍ يُفْرَعُ إِلَّا يُوْشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لِصَاحِبِهِ»^٢.

يقول العلامة المجلسي في كتابه «مرآة العقول» الذي يعد من روائع مدرسة

التشييع في شرح الحديث أعلاه:

في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تقل ان الأمر قد فرغ منه الله عزوجل.

ان لهذا القول وجهين:

الأول: ان هذا القول باطل ذلك ان له جذور في كلام اليهود وبعض الحكماء

١- الكافي: ٤٦٦/٢، باب فضل الدعاء، حديث ٢.

٢- الكافي: ٤٦٦/٢، باب فضل الدعاء، حديث ٣.

بل ان على الانسان الايمان بالبداء وبأن الله هو في كل يوم شأن يمحو الله ويثبت وعنده أم الكتاب والقضاء والقدر لا يمنعان الدعاء لأن التغيير في اللوح والمحو والاثبات ممكن ناهيك عن ان الدعاء نفسه من أسباب القضاء والقدر والأمر بالدعاء هو كذلك أيضاً.

الآخر: ان علم الله إذا تعلق بشيء يكون ولكن هذا لا يمنع من الدعاء وان الامام نهى عن القول بذلك ونهيه في محله صحيح، ولكن لا ينجر هذا الكلام على الدعاء ويكون مانعاً من الدعاء ما يؤدي بعدم الاعتقاد بالدعاء!

وخلاصة قوله يعود إلى أمرين:

أولاً: ان الدعاء بحد ذاته أمر مطلوب لأنه عبادة كبرى وانه يبلغ بالانسان إلى مقام رفيع عند الله عزوجل لا يبلغه إلا بالتضرع والدعاء.
ثانياً: ان المقدرات تزيد وتنقص احياناً وما أكثر ما تزول لأجل شرط الشروط وظرف من الظروف.

فعلى سبيل المثال ان التقدير الإلهي لعمراً أحدهم ثلاثون سنة بشرط عدم قيامه بصلة الرحم فاذا وصل أرحامه فمقدر له ستون سنة وإن رزقه في اليوم الفلاني مقدر له درهم واحد إذا لم يدع الله ولكن إذا دعا الله فمقدر له درهماً، وكذلك سائر الأمور.

والحاصل انه لوجود جميع الكائنات ظروف وأسباب وقد أبى الله أن تجري الأمور إلا بأسبابها وان من جملة الأسباب والشروط لبعض الأمور الدعاء؛ فان دعا الانسان كان له قدر معين فاذا لم يدع يكون له قدر آخر.

وأما علم الله فانه ليس تابعا للمعلوم وعلة ظهوره والقضاء والقدر ليسا حتماً لازماً والآن لبطال الثواب والعقاب والأمر والنهي الإلهي.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ لَمْ يَسْتَلِ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ إِفْتَقَرَ»^١.

وعن سيف التمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:
عليكم بالدعاء فانكم لا تقرّ بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها إن صاحب الصغار هو صاحب الكبار.

وجاء في الأثر:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام:
«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الْأَرْضِ الدُّعَاءُ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْإِعْفَافُ قَالَ: وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلًا دَعَاءً»^٢.

الدعاء سلاح المؤمن:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:
«الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَعَمُودُ الدِّينِ وَتُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^٣.
قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام:
«الدُّعَاءُ مَفَاتِيحُ النِّجَاحِ وَمَقَالِيدُ الْفَلَاحِ وَخَيْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ

١- الكافي: ٤٦٧/٢، باب فضل الدعاء، حديث ٤.

٢- الكافي: ٤٦٧/٢، باب فضل الدعاء، حديث ٤٨ عدة الداعي: ٣٩، باب الأول في الحث على الدعاء.

٣- الكافي: ٤٦٨/٢، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٣٨٧، باب ٨، حديث

عَنْ صَدْرِ نَفِيٍّ وَقَلْبِ نَفِيٍّ وَفِي الْمُنَاجَاةِ سَبَبُ النَّجَاةِ وَبِالْإِخْلَاصِ
يَكُونُ الْخَلَاصُ فَإِذَا اشْتَدَّ الْفَرْعُ فَيَالِيَ اللَّهُ الْمَفْرَعُ^١ .

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«الدُّعَاءُ أَنْفَذُ مِنَ السَّنَانِ الْحَدِيدِ»^٢.

سوف نبقى نطرق الباب عليه كعبة القلب ومهوى الفؤاد.

وهدايانا من الحب افتضاح العشق رغم آلام الفؤاد.

وخصال العشق عند سلطان القلوب أن يفور بالدمع الفؤاد.

دفع الدمع في القلوب بداية والنهاية هبة الروح من بعد الفؤاد.

هكذا نرقى في سلم العشق إليه ذرة من بعد ذرة.

لن يجيب الصوت مهما علا الصوت.

سوف لن يفتح الباب إلا بالصراخ^٣.

الدعاء بوجب دفع القضاء والبلاء:

عَنْ حِمَادِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ:

«إِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ يَنْقُضُهُ كَمَا يَنْقُضُ السُّلْكَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا»^٤.

عَنْ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ:

«إِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ مَا قَدَّرَ وَمَا لَمْ يَقْدَرْ، قُلْتُ وَمَا قَدَّرَ عَرَفْتُهُ

١- الكافي: ٤٦٨/٢، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٤١/٩٠، باب ٢٠، حديث ١٢.

٢- الكافي: ٤٦٩/٢، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، حديث ٧؛ وسائل الشيعة: ٣٨/٧، باب ٨، حديث ٨٦٥٣.

٣- عطار نيشابوري.

٤- الكافي: ٤٦٩/٢، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٣٦/٧، باب ٧، حديث ٨٦٤٦.

فَمَا لَمْ يُقَدَّرْ قَالَ: حَتَّى لَا يَكُونَ^١.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«إِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَقَدْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا^٢.

كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

«الدُّعَاءُ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ النَّازِلَ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ^٣.

ومصادق هذه الرواية في القرآن المجيد ما جرى على قوم يونس وكاد البلاء أن ينزل عليهم لولا الدعاء الذي أشار به عليهم عالم رباني كان قد نصحهم أن يذهبوا إلى البرية فلما دعوا الله وتضرعوا إليه نادمين رفع عنهم البلاء.

الدعاء علاج للأمراض:

عَنْ عَلَاءِ بْنِ كَامِلٍ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«عَلَيْكَ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ^٤.

أجل ان الدعاء شفاء من الأمراض لأن القلب اذا تعلق بالله الذي هو محبوب القلوب والنفس التي هي المرآة التي تنعكس فيها أوصاف المعشوق اذا صفت وتألقت بالنور فان الانسان جسماً وروحاً سوف يتلقى الفيض الرباني وان الروح سوف تشتد قوتها وهيمتها بالدعاء بالقدرة المطلقة فاذا طلب الانسان في تلك

١- الكافي: ٤٦٩/٢، باب أن الدعاء يرد البلاء، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٣٦٧/٧، باب ٧، حديث ٨٦٤٧

٢- الكافي: ٤٦٩/٢، باب أن الدعاء يرد البلاء، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٣٦٧/٧، باب ٧، حديث ٨٦٤٥

٣- الكافي: ٤٦٩/٢، باب أن الدعاء يرد البلاء، حديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٣٧٧/٧، باب ٧، حديث ٨٦٥٠

٤- الكافي: ٤٧٠/٢، باب أن الدعاء شفاء من كل داء، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٤٥٧/٧، باب ١١،

الحالة الشفاء من الأمراض جاءه الشفاء من الله الذي عنده الشفاء من كل داء.

وهنا اشير ثلاث قضايا هامة في ثلاث حكايات:

وأما الحكاية الأولى التي أروها والراوي الأول فيها أنا:

فانه كان عندي صديق عاشق للدين وكان عمره سبعون سنة قال لي: كان عمري عشر سنوات تقريباً عند ما أصبت بحمى شديدة حتى أن الطب والأطباء عجزوا عن مداواتي، احتضني أبي وأخذني إلى سيّد من السادات له دين وتقوى وأخبره بما أصابني من الحمى الشديدة.

فرفع الرجل السيّد رأسه إلى السماء ثم التفت إليّ وقال: أيتها الحمى الحارقة دعيه وغادريه، وما هي إلا لحظة حتى شعرت بجسمي وقد برد وها أنا وقد بلغت السبعين لم تعاودني الحمى بعد ذلك اليوم أبداً!

وأما الحكاية الثانية فأنا راويها الثاني:

وقد رواها لي نجل المحدث القمي صاحب «مفاتيح الجنان» و«الكنى والألقاب» و«سفينة البحار» و... قال: انّ أبي أصابه ألم في عينيه شديد وقد عجز الأطباء في العراق عن علاجه فطلب من أمي ذات يوم أن تأتي له بـ«كتاب الكافي» فلمّا جاءت بالكتاب أخذه منها وقال: هذا كتاب حديث أهل بيت رسول الله ﷺ وحاشا لله إن مسحت به على عيني أن لا يشفيني من الألم.

فرفع رأسه إلى السماء متضرّعاً ومسح على عينيه بالكتاب وما هي إلا لحظات حتى غادره الألم.

وقال لي: ان أبي اصيب بمرض عضال لم يؤثر فيه الدواء فقال لأمي: بهذه الأصابع سطرت آثار أهل البيت في سنين طويلة، فان لم يكن لها أثر الهي فأحرى بها أن تقطع؛ فطلب اناءً من الماء فجاءت به فغمس هذا الرجل الالهي أصابعه في

الماء ودعا الله لنفسه بالشفاء ثم صبه على نفسه فكتب الله له الشفاء بذلك الماء وأثر الدعاء.

أجل عند ما تتجه بقلبك إلى الله وتدعوه باخلاص وقد عجزت المفاتيح الظاهرية عن فتح الأقفال؛ فان الدعاء الخالص مفتاح الباب الذي يفتح عليه برحمة الله والخلاص من كل بلاء والشفاء من كل داء.

أيها المعشوق كل عشاقك في وجودك عدم.

أيها المولى في الطريق اليك محبوبك تراب.

تحترق المدن بنار عشقك وعشاقك مضهم ألم الهيام.

والناظرون إلى كعبة حسنك قتلوا انهم صيد الحرم.

أمنح الصفح لهم احياناً كي يترنموا.

بالثناء عليك من يهم بالحسن ويهوى بأسار العشق واقع.

قد أصاب القلب من عشقك سهم.

استهدفتني الأعداء في وصل الحبيب.

هكذا من يرد الكنز يتجرع لدغ الأفاعي.

ومن أراد قطف الورد يتحمل الأشواك.

هكذا اجتناء الفرحة قبله غم وهم.

يا سعدي ان العاشق لن يسلم من البلاء.

وضعاف العهد أيضاً اتراهم من ملام سلموا.

استجابة الدعاء:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«الدُّعَاءُ كَهْفُ الْأَعْيَابِ كَمَا أَنَّ السَّحَابَ كَهْفُ الْمَطَرِ»^١.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«مَا أَبْرَزَ عَبْدٌ يَدَهُ إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ إِلَّا اسْتَحْيَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّهَا صَفْرًا حَتَّى يَجْعَلَ فِيهَا مِنْ فَضْلِ رَحْمَتِهِ مَا يَشَاءُ فَإِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَرُدُّ يَدَهُ حَتَّى يَمْسَحَ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ»^٢.

أسباب عدم استجابة الأدعية:

يقول العلامة المجلسي في شرح الحديث أعلاه ان الحياء والخجل في النفس من عمل السوء بسبب الخوف من الذم ولنسبة (الحياء) الى الله العظيم فلازمة ذلك تركه يعني ان الله لا يفعل ذلك.

وهنا شبهة يتوجب رفعها وهذه الشبهة كيف يعد الله عباده باستجابة الدعاء وهو لا يخلف الوعد ومحال هذا والكذب من الله وحججه مستحيل ممتنع فكيف لا يستجاب الكثير من الأدعية؟

والجواب على هذه الشبهة له وجوه:

الأول: ان وعد الله باستجابة الدعاء مشروط بمشيئته يعني: ان شئت استجبت والآية الكريمة (٤١) في سورة الأنعام تدلّ على ذلك:

١- الكافي: ٤٧١/٢، باب أن من دعا استجيب له، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٢٦/٧، باب ٢، حديث ٨٦١١

٢- الكافي: ٤٧١/٢، باب أن من دعا أستجيب له، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٥١/٧، باب ١٤، حديث

٨٦٩٤ بحار الأنوار: ٣٢٣/٩٠، باب ١٧، حديث ٣٨.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ
مَا تُشْرِكُونَ﴾^١.

الثاني: ان المقصود من الاجابة الاستماع والالتفات أي السماع الفوري للدعاء ولكن في الاستجابة للدعاء ان شاء تأخر لكي يدعو العبد ربه مرة أخرى وان الله يحب عبده اذا دعاه ويحب أن يسمع صوته.

الثالث: ان استجابة الدعاء مشروطة بمصلحة الداعي وخيره ذلك ان الله سبحانه يريد لعباده الخير والصلاح.

الرابع: ليس من اللازم أن تكون استجابة الدعاء فورية فقد يكون من الخير والصلاح للعبد التأخر في الاستجابة لبعض المصالح في ذلك، وقد ورد في تفسير قوله تعالى في سورة يونس الآية (٨٩) ما يؤيد ذلك في دعاء موسى وقارون على فرعون وغرق فرعون ومن معه مدة أربعين سنة.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ:
«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ بَظْهَرِ قَلْبٍ سَاهٍ فَإِذَا دَعَوْتَ
فَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ ثُمَّ اسْتَيْقِنْ بِالْأَجَابَةِ»^٢.

ويشترط في الدعاء ان يقبل الانسان بقلبه واعياً لما يقول في دعائه وأن يكون القلب الداعي مفعماً بالركة نابضاً بالحب مشرقاً بنور الايمان.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ بَظْهَرِ قَلْبٍ قَاسٍ»^٣.

١. الأنعام: ٦: ٤١.

٢. الكافي: ٤٧٣/٢، باب الإقبال على الدعاء، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٥٣/٧، باب ١٦، حديث ٨٧٠٢

٣. الكافي: ٤٧٤/٢، باب الإقبال على الدعاء، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٥٤/٧، باب ١٦، حديث ٨٧٠٤

آداب الدعاء:

إن الاستمرار والمصلحة والخير للداعي من شروط استجابة الدعاء وأن يكون عن وعي وادراك لما يطلب؛ إن بعض الناس يسرعون إلى الدعاء في عجلة ويتصورون إن الخير في ما يدعون والصالح في ما يطلبون ثم ينتهي دعاؤهم وتنطفئ كلماتهم بعد لحظات في حين نرى أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم قدوتنا وقادتنا يدعون ويلحون في الدعاء عن وعي كامل فيما يطلبون ويدركون إن الله سوف يستجيب دعاءهم لأنهم يشترطون أن يكون الصلاح في ذلك.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ كَرِهَ الْإِلْحَاحَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْمَسْئَلَةِ وَأَحَبَّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَيُطْلَبَ مَا عِنْدَهُ»!

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«لَا وَاللَّهِ يُلِحُّ عَبْدٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»!

ذكر الحاجة في الدعاء:

إن الله عز وجل هو عالم الغيب والشهادة وهو علام الغيوب يعلم الماضي والحاضر والمستقبل ويعلم احتياجات عبده في كل مراحل حياته ويعرف ما يريد إلا أنه عز وجل يحب أن يسمع من عبده أن يذكر حاجته وما يريد.

١- الكافي: ٤٧٥/٢، باب الإلحاح في الدعاء، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٥٨/٧، باب ٢٠، حديث ٨٧١٥

٢- الكافي: ٤٧٥/٢، باب الإلحاح في الدعاء، حديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٥٨/٧، باب ٢٠، حديث ٨٧١٦

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ الْعَبْدُ إِذَا دَعَاهُ وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ تَبْتَ إِِلَيْهِ الْحَوَائِجُ فَإِذَا دَعَوْتَ فَسَمَّ حَاجَتَكَ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَعْلَمُ حَاجَتَكَ وَمَا تُرِيدُ وَلَكِنْ يُحِبُّ أَنْ تَبْتَ إِِلَيْهِ الْحَوَائِجَ»^١.

الدعاء في السرّ وقيّمته:

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَاءِ عليه السلام قَالَ:

«دَعْوَةُ الْعَبْدِ سِرّاً دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ تَعْدِلُ سَبْعِينَ دَعْوَةً عَلَانِيَةً»^٢.

والسرّ في ذلك ان الدعاء في الخفاء له جو خاص لأنه يجري في اخلاص ونية صادقة وتضرّع وخشوع وكلما كان الدعاء خالصاً والتوجه نقياً كان قيماً.

اوقات استجابة الدعاء:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

«أُطْلَبُوا الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعِ سَاعَاتٍ: عِنْدَ هُبُوبِ الرِّيحِ وَزَوَالِ الْأَفْيَاءِ وَنُزُولِ الْقَطْرِ وَأَوَّلَ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تَفْتَحُ عِنْدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ»^٣.

١- الكافي: ٤٧٦/٢، باب تسمية الحاجة في الدعاء، حديث ٤١؛ وسائل الشيعة: ٣٣/٧، باب ٥، حديث

٨٦٣٧ و ٨٦٣٦

٢- الكافي: ٤٧٦/٢، باب إخفاء الدعاء، حديث ٤١؛ وسائل الشيعة: ٦٣/٧، باب ٢٢، حديث ٨٧٣٣

٣- الكافي: ٤٧٦/٢، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها، حديث ٤١؛ وسائل الشيعة: ٦٤/٧، باب

٢٣، حديث ٨٧٣٥

وجاء عنه عليه السلام أن أوقات استجابة الدعاء أربعة:
 في (صلاة) الوتر وبعد (طلوع) الفجر وبعد الظهر وبعد المغرب^١.
 وروى الامام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال:
 اغتنموا الدعاء عند أربع: عند قراءة القرآن وعند الأذان وعند نزول الغيث
 وعند التقاء الصفيين للشهادة.^٢
 عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

«إِذَا رَقَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَدْعُ، فَإِنَّ الْقَلْبَ لَا يَرِقُّ حَتَّى يَخْلُصَ»^٣.

يقول العلامة المجلسي في شرح الحديث أعلاه:
 الرقة ضد القساوة وعلامة الرقة في القلب البكاء والحاصل ان الرقة عند ما تكون
 في القلب فانها تشير إلى طهارة القلب من الغل والحسد والأفكار الباطلة والخيالات
 والأوهام التي تغتال توجه القلب إلى الله تعالى؛ فهي تشغله وتشوش على إخلاصه
 ونقاء قلبه وإذا طهر القلب فهي علامة وسبب على استجابة الدعاء^٤.
 يقول الامام الصادق عليه السلام:

«إِذَا اقشعرَّ جلدك ودمعت عينك فدونك دونك فقد قصد قصدك»^٥.

١- الكافي: ٤٧٧/٢، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٤٣٠/٦، باب

١، حديث ٨٣٥٥

٢- الكافي: ٤٧٧/٢، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٦٤/٧، باب

٢٣، حديث ٨٧٣٦

٣- الكافي: ٤٧٧/٢، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ٣٤٥/٩٠، باب

٢١، حديث ٩.

٤- مرآة العقول: ٣٦/١٢.

٥- الكافي: ٤٧٨/٢، باب الأوقات والحالات التي ترجى فيها، حديث ٨؛ وسائل الشيعة: ٧٢/٧، باب

٢٨، حديث ٨٧٦٠

وجاء في باب من أبواب الدعاء: إن الدعاء يستلزم عدة أمور:

- ١- الرغبة وتعني الميل والشوق.
- ٢- الرهبة ومعناها الخوف من الله سبحانه.
- ٣- التضرع يعني التواضع.
- ٤- التبتل يعني الانقطاع إلى الله والانقطاع من غير الحق.
- ٥- الابتهاال: هو بما يشبه البكاء.
- ٦- الاستعاذة: اللجوء إلى الله.
- ٧- المسألة أو السؤال وتعني الدعاء والطلب.

التضرع في رجا ب الله:

إن البكاء شوقاً إلى الله سبحانه وفي سبيله والبكاء من أجل ما حلّ بالأولياء الصالحين في سبيل الله من نكبات ومصائب أمر مطلوب في ذاته. وقد عدّ القرآن الكريم البكاء في سبيل الله وشوقاً إليه من علائم العشاق ومن سماتهم ومن لا يذرف الدموع في سبيل الله في قلبه مرض.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾!

إن البكاء أثناء الدعاء ضمان أكيد على استجابته وفي دموع العين دلالة على صفاء الباطن حيث يشعر الانسان بنعمة القرب الالهي وقد اغتسلت روحه بدموعه وغُفرت ذنوبه.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«ما من شيء إلا وله كيل ووزن إلا الدموع فان القطرة تطفئ بحاراً من نار، فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهاً قترٌ ولا ذكّة فاذا فاقت حرّمه الله على النار ولو أن باكياً بكى في أمة لرُحموا»^١.
وجاء في الأثر:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: «مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ قَطْرَةٍ دُمُوعٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مَخَافَةً مِنَ اللَّهِ لَا يُرَادُ بِهَا غَيْرُهُ»^٢.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام: انّ عبادي لم يتقربوا إليّ بشيء أحبّ إليّ من ثلاث خصال.

قال موسى عليه السلام: يا رب وما هنّ؟

قال تبارك وتعالى: يا موسى! الزهد في الدنيا والورع عن المعاصي والبكاء من

خشيتي.

قال موسى عليه السلام: فما لمن صنع ذا؟

فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا موسى أمّا الزاهدون في الدنيا ففي الجنة وأمّا البكاءون من خشيتي ففي الرفيع الأعلى لا يشاركهم أحد وأمّا الورعون عن المعاصي فأني افتش الناس ولا افتشهم^٣.

١- الكافي: ٤٨١/٢، باب البكاء، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٢٧/١٥، باب ١٥، حديث ٢٠٣٤٣.

٢- الكافي: ٤٨٢/٢، باب البكاء، حديث ٣؛ عدة الداعي: ١٧١، العاشر الدعاء حالة البكاء؛ وسائل

الشيعة: ٢٢٧/١٥، باب ١٥، حديث ٢٠٣٤٥.

٣- الكافي: ٤٨٢/٢، باب البكاء، حديث ٦؛ وسائل الشيعة: ٢٢٨/١٥، باب ١٥، حديث ٢٠٣٤٧.

يقول العلامة المجلسي في شرحه الحديث أعلاه:

إن الرفيع الأعلى مكان عال في الجنة وهو أعلى منازل الجنة وهو مسكن الأنبياء والأولياء وأما المقصود من التفتيش فهو الحساب أي أنهم يدخلون الجنة دون حساب^١.

وفي محاولة التباكي واستشعار حالة الحزن لذرف الدموع نتأمل في هذه الرواية التي ينقلها اسحاق بن عمار يقول:

قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: أتى أتبأكي في الدعاء وليس لي بكاء قال عليه السلام: نعم ولو مثل رأس الذباب (أصغر من قطرة)^٢.

وروى علي بن أبي حمزة أن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال لأبي بصير (أحد أصحابه): إن خفت امرأة أن يكون أو حاجة تريد فابدأ بالله ومجده واثن عليه كما هو أهله وصل على النبي صلى الله عليه وآله وسل حاجتك وتباك ولو مثل رأس الذباب! إن أبا عليه السلام الامام الصادق عليه السلام كان يقول: إن أقرب ما يكون العبد من الرب عزوجل وهو ساجد باك^٣.

الثناء والتمجيد قبل الدعاء:

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ:
«إِيَّاكُمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْتَلَّ مِنْ رَبِّهِ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالْمَدْحِ لَهُ

١- مرآة العقول: ٥٤/١٢.

٢- الكافي: ٤٨٣/٢، باب البكاء، حديث ٩٧؛ وسائل الشيعة: ٧٤/٧، باب ٢٩، حديث ٨٧٦٤.

٣- الكافي: ٤٨٣/٢، باب البكاء، حديث ١٠٠؛ وسائل الشيعة: ٧٤/٧، باب ٢٩، حديث ٨٧٦٧.

وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ثُمَّ يَسْئَلُ اللَّهَ حَوَائِجَهُ^١ .

وروى محمد بن مسلم عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: ان في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام ان المدحة قبل المسألة فاذا دعوت الله فمجده!

قلت: كيف أمجده؟

قال الصادق عليه السلام تقول:

«يَا مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَا فَعَالاً لِمَا يُرِيدُ، يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، يَا مَنْ هُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^٢ .

يقول العلامة المجلسي في شرحه «يَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ» انه ثمة وجوه في هذا الكلام، قيل:

الأول: تمثيل لغاية قربه من البعد كالسابق.

الثاني: أو تنبيه على انه مطلع على مكونات القلوب ما عسى يفعل عن صاحبها.

الثالث: أو يحول بينه وبينها بالموت أو غيره.

الرابع: أو تصوير وتخيل لتملكه عن العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويبدله بالذكر نسياناً وبالنسيان ذكراً وبالخوف أمناً وبالأمن خوفاً^٣ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: عرفت الله بفسخ العزائم.

وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

١- الكافي: ٤٨٤/٢، باب الثناء قبل الدعاء، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٧٩٧/٧، باب ٣١، حديث ٨٧٨٢

٢- الكافي: ٤٨٤/٢، باب الثناء قبل الدعاء، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٨٠/٧، باب ٣١، حديث ٨٧٨٤

٣- بحار الأنوار: ٣٠٢/٨٤، باب ١٢.

«قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»^١.

وجاء في الدعاء:

«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ».

الخامس: ما جاء في الحديثين في تفسير العياشي بأنه يحال بين الانسان وبين أن يميز الحق من الباطل طبعاً عندما يصل المرء من الذنوب ما يحرمه من رَبِّهِ تَعَالَى.

السادس: انه غافل عما هو مستودع في قلبه وجملة القول ان:

«يَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى».

في القاموس البرج وفي هذا تشبيه على انه مشرف مطلع على جميع الكائنات والمخلوقات، لأن من يكون في مكان عال فانه يشرف على من هو دونه وهو تعبير عن الهيمنة والتسلط والاقترار على الممكنات أو كناية عن عدم قدرة الأفكار والاذهان والعقول في الوصول الى معرفته ف(المنظر) هنا بمعنى الفكر يعني انه أعلى وأسمى من أن تناله أفكار المخلوقات.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّمَا هِيَ الْمِدْحَةُ، ثُمَّ الثَّنَاءُ ثُمَّ الْأَعْقَابُ بِالذَّنْبِ ثُمَّ الْمَسْئَلَةُ إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا خَرَجَ عَبْدٌ مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا بِالْأَعْقَابِ»^٢.

الدعاء الجماعي:

قال الامام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما من رهط أربعين رجلاً اجتمعوا فدعوا الله عز وجل في أمر إلا استجاب الله لهم فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله

١- بحار الأنوار: ٣٩/٦٧؛ باب ٤٤، القلب وصلاحه وفساده.

٢- الكافي: ٤٨٤/٢، باب الثناء قبل الدعاء، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٨١/٧، باب ٣١، حديث ٨٧٨٦

عزّوجلّ عشر مرّات إلاّ استجاب الله لهم فان لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرّة فيستجيب الله العزيز الجبار له^١.

الدعاء للجميع:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله: إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْمَمْ فَإِنَّهُ أَوْجَبُ لِلدُّعَاءِ»^٢.

عدم الخوف من التأخير في الاجابة:

روى أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر قال:

قلت لأبي الحسن الامام الرضا عليه السلام: جعلت فداك إني قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من ابطنها شيء!

فقال عليه السلام: يا أحمد إيتاك والشيطان أن يكون له عليك سبيل حتى يقنطك ان أبا جعفر الامام الباقر عليه السلام كان يقول: ان المؤمن يسأل الله عزّوجلّ حاجة فيؤخّر عنه تعجيل اجابته حباً لصوته واستماع نحيبه؛ ثمّ قال: والله ما أخر الله عزّوجلّ عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خیر لهم ممّا عجل لهم فيها وأي شيء الدنيا؟ ان أبا جعفر الباقر كان يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحواً من دعائه في الشدّة ليس اذا اعطي فتر.

فلا تملّ الدعاء فانه من الله عزّوجلّ بمكان وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم وإيتاك ومكاشفة الناس فإنّ أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا فنرى والله من ذلك العاقبة الحسنة.

١- الكافي: ٤٨٧/٢، باب الاجتماع في الدعاء، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ١٠٣/٧، باب ٣٨، حديث ٨٨٥٤

٢- الكافي: ٤٨٧/٢، باب العموم في الدعاء، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٨٦/٩٠، باب ٢٦، حديث ١٦.

ان صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فأعطي طلب غير الذي سأل وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء وإذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر، للحقوق التي تجب عليه وما يخاف من الفتنة فيها.

أخبرني عنك لو أنني قلت لك حولاً اكنث تثق به مني؟ فقلت (الراوي) له: جعلت فداك إذا لم أثق بقولك فمن أثق وأنت حجة الله على خلقه؟!.

قال عليه السلام: كن بالله أوثق فإنك على موعد من الله، أليس الله عزوجل يقول:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

إِذَا دَعَانِ﴾^١.

وقال عزوجل:

﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^٢.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿وَاللَّهُ بِعِدَّتِكُمْ مَغْفِرَةٌ مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾^٣.

فكن بالله عزوجل أوثق منك بغيره ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنه مغفور لكم^٤.

«أسباب التأخير في استجابة الدعاء»

يقول المحدث الكبير العلامة المجلسي في شرحه الحديث أعلاه ان في

تأخير استجابة الدعاء ثمانية وجوه:

١- البقرة: ٢: ١٨٦.

٢- الزمر: ٣٩: ٥٣.

٣- البقرة: ٢: ٢٦٨.

٤- الكافي: ٤٨٨/٢، باب من أبطأت عليه الإجابة، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٦٧/٩٠، باب ٢٤، حديث ١.

الأول: حقارة الدنيا وتفاهتها وأن تأخير استجابة الدعاء إلى عالم الآخرة أفضل.
 الثاني: ان من شروط استجابة الدعاء هو أن لا يكف العبد عن الدعاء في الشدة والرخاء.
 الثالث: الصبر على التأخير في استجابة الدعاء.
 الرابع: الكسب الحلال وان الله لا يستجيب دعاء من في كسبه غير الحلال.
 الخامس: عدم قطع الرحم.
 السادس: لا يظهر العدا للناس وأن يكون العبد حسن الخلق في المعاشرة.
 السابع: ان السرعة في استجابة الدعاء تؤدى إلى الحرص على الدنيا وإلى أن تصغر نعم الله في عينه.
 الثامن: ان تزايد النعم واغداقها على العبد يجعله في خطر لترتب الحقوق والاستحقاق عليها وفي عدم اداء الحقوق خطر عظيم على مصير الانسان.
 وهناك فوائد عديدة في هذا الحديث اذا تعمق فيها الانسان المؤمن بعين اليقين^١.
 وقد جاء في الأثر:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَدْعُوَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَخْرُوا إِيَّابْتَهُ شَوْقًا إِلَى صَوْنِهِ وَدَعَائِهِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: عَبْدِي دَعَوْتَنِي فَأَخَّرْتُ إِيَّابْتِكَ وَتَوَائِبِكَ كَذَا وَكَذَا وَدَعَوْتَنِي فِي كَذَا وَكَذَا فَأَخَّرْتُ إِيَّابْتِكَ وَتَوَائِبِكَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: فَيَتَمَنَّى الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ دَعْوَةً فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَرَى مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ»^٢.

١- مرآة العقول: ١٢/٨٠ و٨١

٢- الكافي: ٢/٤٩٠، باب من أبطأت عليه الإجابة، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٦٢/٧، باب ٢١، حديث ٨٧٣٠

بدء الدعاء بالصلوات:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«كُلُّ دُعَاءٍ يُدْعَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»^١.

وجاء عن الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً:

من كانت له إلى الله عزوجل حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد؛ فان الله عزوجل أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذا كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه^٢.

من هو مستجاب الدعوه؟:

عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُمِّيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

«ثَلَاثَةٌ دَعَوْتُهُمْ مُسْتَجَابَةٌ: الْحَاجُّ فَاَنْظَرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونَهُ، وَالغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاَنْظَرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونَهُ، وَالْمَرِيضُ فَلَا تُغَيِّظُوهُ وَلَا تُضَجِّرُوهُ»^٣.

وجاء عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: خمس دعوات لا يحجب عن الرب تبارك وتعالى دعوة الامام المقسط، ودعوة المظلوم يقول الله عزوجل: لانتقمن لك ولو بعد حين

١- الكافي: ٤٩٣/٢، باب الصلاة على النبي محمد واهل بيته عليهم السلام، حديث ١٠؛ وسائل الشيعة: ٩٢/٧،

باب ٣٦، حديث ٨٨٢٣

٢- الكافي: ٤٩٤/٢، باب الصلاة على النبي محمد واهل بيته عليهم السلام، حديث ١٦؛ وسائل الشيعة: ٩٥/٧،

باب ٣٦، حديث ٨٨٣٣

٣- الكافي: ٥٠٩/٢، باب من تستجاب دعوته، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٢٥/٧٨، باب ٤، حديث ٣٤.

ودعوة الولد الصالح لوالديه ودعوة الوالد الصالح لولده ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب فيقول (الله عز وجل): لك مثله^١.

من الذي لا يستجاب دعائه؟:

قال الامام الصادق عليه السلام: أربعة لا تستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني. فيقال له: ألم آمرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها، فقال له: ألم أجعل أمرها إليك؟ ورجل كان له مال فأفسده، فيقول اللهم ارزقني! فيقال له: ألم آمرك بالاعتقاد ألم آمرك بالاصلاح؟ ثم قال عليه السلام:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^٢!

ورجل كان له مال فأدانه بغير بينة فيقال له: ألم آمرك بالشهادة^٣ (كتابة الدين والأشهاد عليه).

احفظ آداب الدعاء وانظر من تدعو؟ وكيف تدعو؟ ولماذا تدعو؟ وحقق عظمة الله وكبريائه وعين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرِّك وما تكن فيه من الحق والباطل.

١- الكافي: ٥٠٩/٢، باب من تستجاب دعوته، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٥٨/٩٠، باب ٢٢، حديث ١٦.

٢- الفرقان: ٢٥: ٦٧.

٣- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

«وَحَقَّقْ عَظْمَةَ اللَّهِ وَكِبْرِيَاءَهُ وَعَايِنُ بِقَلْبِكَ عِلْمَهُ بِمَا فِي ضَمِيرِكَ وَإِطْلَاعِهِ
عَلَى سِرِّكَ وَمَا تَكُنُّ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ»

علاقة أهل المعرفة مع الله:

ان على الانسان أن يستشعر دائماً عظمة الله عزوجل في قلبه وأن يتصور
عظيم علمه المطلق اللانهائي في ضميره ووجدانه وأن يعي هذه الحقيقة في
اطلاع الله تبارك وتعالى على سرّ الانسان ومكنونه وما يموج فيه من الحقائق
والأباطيل.

وإذا ما بلغ الانسان هذه المرتبة وهذه الدرجة حصلت حالة من الانس وحالة
من السكينة والطمأنينة.

وفي هكذا حالة تغمر الانسان يمكنه أن يدعو بقلب مفعم بالصفاء وروح
تسطع فيها أنوار الايمان ونفس تغمرها السكينة فيكون الدعاء علاقة حب مع
الرب ذي العزة والجلال.

كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

وكان أمير المؤمنين عليه السلام طالما يتحدث عن أهل المعرفة والحب لله والشوق
إليه وفي نهج البلاغة الذي يضم نصوصاً من خطبه وكلامه نشير إلى نصين:

١- جوابه وقد سأله ذعبل اليماني:

هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟!!

فسأله ذعبل: وكيف تراه؟

قال عليه السلام: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان، قريب من الأشياء غير ملامس بعيد منها غير مباين، متكلم بلا روية (التفكير) مرید بلا همة (الاهتمام بالأمر) صانع بلا جارحة (العضو البدني) لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء (الخشونة والغلظة) بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقّة؛ تعنو (تذل) الوجوه لعظمته وتجب (تضطرب وتخفق) القلوب من مخافته!

أجل ان الرؤية القلبية تتحقق في نفس الانسان عند ما يدرك عظمة الله عزوجل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٢- يقول الامام علي عليه السلام: يمجّد الله عزوجل:

اللهم أنك آنس الأنسين لأولائك وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك، تشاهدهم في سرائرهم، وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم. فأسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم إليك ملهوفة (مستغيثة) إن أوحشتهم الغربية آنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك علماً بأن أزيمة الأمور بيدك ومصادها عن قضائك!

١- نهج البلاغة: خطبه ١٧٩؛ الكافي: ١/١٣٨، حديث ٤.

٢- نهج البلاغة: خطبه ٢٢٧.

يقول العلامة الفيلسوف الكبير محمد تقي الجعفري في شرحه لهذا النص:
يشدّ الأنس بالله عزّوجلّ بمقدار ما ينمو في شخصية الانسان الآدمية ويكون
هذا الانس بناءً؛ ذلك ان القاعدة الكلية تقول:

ابحث بعقلك تدرك الكمال وابحث بقلبك تجد الجمال!

الانس بالعقل وعظمته ومجده لا يمكن تحقّقه ما لم يحدث التعقّل فعلياً وادراك
الجمال ولذّة العشق من دون الولوج إلى جاذبة المعشوق محال.
ولا توجد علاقة للانس مع الله عزّوجلّ إلا بالتمتع بالصفات الانسانية النبيلة
التي هي قيس من صفات الله تبارك وتعالى.

وفي الحقيقة انه عند ما نقول: ان على الانسان أن يأنس مع الله فان هذا يعني
ان على الانسان أن يكون عادلاً وأن يكون صادقاً وحليماً وفيماً بالعهود وأن يعدّ
العلم والرؤية الفلسفية للعالم جزءاً من حياته العقلية وأن يسعى في ذلك إلى آخر
لحظات حياته.

والتأمل في هذه القاعدة باعتبار الدعاء علاقة للانس بين المخلوق والخالق
يتّضح جيداً خواء بعض المفكرين الاوربيين واعتبارهم مسألة الدعاء دليل العجز
وتصوّرهم هذا يشير إلى أنّهم لا يدركون مفهوم الاله والرب ولا يعرفون عظمة
الانسان في نفس الوقت.

أنهم لا يفهمون أو لا يريدون فهم ان الله يمثّل مركز النور والجاذبية الذي
يضيء بأشعته قوى الانسان وأبعاده الواسعة ناقلاً هذه القابليات الموجودة بالقوّة
الى الفعلية ودفعها إلى الأمام باتجاه منطقة الجاذبية الالهية؛ حيث تحصل حالة

الانس والألفة مع الرب تبارك وتعالى.

واذن فان الانس مع الله سبحانه يعني بلوغ المزايا الانسانية الرفيعة والصفات النبيلة من قبيل العلم والقدرة والعدل والصدق إلى مرحلة الفعلية الى جانب الشعور بالالتزام الذي هو عامل جذب الجميع نحو الكمال.

ان هؤلاء الذين لا يبحثون عن الانس والألفة مع الله والذين هم ليسو بصدد ذلك البتة. هم الذين اذا سألتهم: هل توصلتم إلى الحياة العقلية التي يمكن أن تفسر غايتكم على أساس المنطق الحقيقي وهل لكم احساس بالانس والالفة؟

ليس لديهم جواب وسوف لن يجيبوكم الا بقولهم أين مستشفى المجانين هذا الذي اطلقكم من دون علاج؟ لكي تأتون اليوم وتسالون مثل هذا السؤال وتشككون في نمط الحياة التي انتخبناها؟

انهم لا يستطيعون أن يتصوروا أبداً امكانية الانس مع شيء اسمى من الجماد والنبات والحيوان والانسان، ذلك أنهم لم يفكروا مع أنفسهم أبداً كي يدركوا أحداً قابل للانس والألفة ومن تكون الذات ومن هو الغريب على الذات؟

وهذه قاعدة كلية في انه كلما نمت الشخصية ذاتها فان قوة طرد الرذائل والأرذال تنمو في داخلها، ويتدسّخ مفهوم الغربة للشخصية النامية الرشيدة، كما هو الحال في تنامي جاذبية الصفات النبيلة والكمالات والناس العظماء وذوي الكمال.

وثمة قاعدة كلية أخرى وهي ان الانسان كائن لا يمكنه الانفكاك عن الرذائل ويعيش حياة، ذلك ان هذا الانفكاك والانقطاع عن الرذائل قد جاء انطلاقاً من وعي ونفور منها فان ذات هذا الأمر كاشف عن مركز جاذبية للصفات النبيلة والكمال وانه هو من يحرك الانسان ويشده باتجاهه.

يقول الحافظ:

الصدر يمجج بالآلام وأنت مرهمي ودوائي.
 انني ألفظ أنفاسي من الغربة أنت يا رب أنيسي.
 ان الانفكاك والابتعاد عن الرذائل الاراذل يدلّ على ذلك بوضوح.
 لذا فان الانسان بصدد الاستقرار في جاذبيّة الكمال والصفات النبيلة والذين
 بلغوا حالة الرشد ويقول:

لن ينجم انسان آدمي في عالم التراب... يأتي عالم آخر يصنعه الانسان.
 وعند ما يطوي الانسان مراحل المعرفة والعبوديّة ويصل مقام الانس، تتحقّق
 في انحاء وجوده عظمة الله وكبرياؤه ويرى صفات الحق وأسمائه الحسنى في
 نفسه هنا لك يدعو الله لكن شرط أن يواكب الدعاء أداء لآداب الدعاء وفق
 مصالح الانسان في الدنيا والآخرة حيث يجب أن يكون هناك وعي لطرق النجاة
 ومهاوي الهلاك وكما قال الامام الصادق عليه السلام:

«وَأَعْرِفْ طُرُقَ نَجَاتِكَ وَهَلَائِكَ كَيْلًا تَدْعُو اللَّهَ بِشَيْءٍ عَسَى
 فِيهِ هَلَائِكَ وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ فِيهِ نَجَاتَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 «وَيَدْعُ الْأَنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْأَنْسَانُ عَجُولًا»
 وَتَفَكَّرْ مَاذَا تَسْتَلُّ وَلِمَاذَا تَسْتَلُّ»

ومن هنا يطلب الامام الصادق عليه السلام منا أن نفكر في ما هو مشروع ومن جهته
 المشروعة فمثلاً اذا طلب الانسان الثروة أو القوة أو العلم فليتأمل في الغاية من
 وراء ما يصبو إليه؟ هل من أجل تنمية وتوسعة حياته وأداء ما عليه من الحقوق
 أم من أجل تحقيق شهواته وبلوغ الشهرة والنفوذ؟

«وَالدُّعَاءُ إِسْتِجَابَةٌ لِلْكَوْنِ مِنْكَ لِلْحَقِّ وَتَذْوِيبُ الْمُهْجَةِ فِي مُشَاهَدَةِ الرَّبِّ
وَتَرْكُ الْأَخْتِيَارِ جَمِيعاً وَتَسْلِيمُ الْأُمُورِ كُلِّهَا ظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا إِلَى اللَّهِ»

حقيقة الدعاء:

إن حقيقة الدعاء وواقعه إنما هو استجابة لكل نداءات الحق الصادرة للسان
الداعي حيث تنعكس هذه النداءات في القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ
الأطهار عليه السلام.

وحقيقة الدعاء تذويب للأعماق وصهرها في بوتقة الحب الالهي من أجل
المشاهدة؛ وواقع الدعاء إنما هو ترك للأهواء والتنازل عن الإرادة والتخلي عن
الشهوات من أجل المحبوب الحقيقي وهو الله تبارك وتعالى في كل الأمور ما
ظهر منها وما بطن.

أجل هذا هو الدعاء وهذه هي العبادة التي أمر بها الله في كتابه العزيز ان
الدعاء عبادة تنبض بالحياة مفعمة بالايان العميق وليست مجرد ألفاظ جافة أو
حركات لا تعبر عن شيء.

إن البعض وللأسف يحمل هذا التصور في أن الدعاء مجرد كلمات وحركات
يؤديها الانسان في أوقات معينة.

انه لمن السطحية أن يفكر الانسان بهذا الاتجاه في حين ان الدعاء يستغرق

عالم الوجود بأسره عالم الكون بآفاقه وعالم الانسان بأعماقه؛ كيف يمكن أن نتصور هذا الوجود الفسيح وهذا الفضاء الواسع المترامي بمافيه من مجرات وسدم ومليارات النجوم التي تدور في مداراتها المدهشة، كيف نتصور ظهور الانسان هذا الكائن المدهش على الأرض بكل عمقه وأبعاده بكل آلامه وأحلامه وأمانيه واطرأحه وأحزانه بكل ما ينطوي عليه من آفاق في الفكر والمعرفة والابداع.

كيف يمكن أن نتصور بأن كل ذلك إنما هو من أجل أداء بعض الألفاظ والكلمات.. هل يمكن أن تعكس هذه الألفاظ والحركات غاية الخلق الالهي ووجود هذا الكون.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١

هذا كتاب الله العزيز يصرح بأن هدف الخليفة وغاية الخلق خلق؛ من الانسان وخلق الجن إنما هو للعبادة؛ لكن العبادة هذه بمفهومها الحقيقي الواسع وهو بلوغ الانسان الكمال الذي من أجله خلق الجن والانس.

ان العبادة بمفهومها الحقيقي تتسع لتشمل كل أنواع النشاط الانساني العصبي والنفسي المادي والمعنوي.

جوهر الدين أن تنهض من التراب من أجل أن تدرك الذات طهر الروح^٢.

ان نقطة البداية في العبادة هو أن ندرك بأن الروح نقيّة طاهرة وأنها شعاع من الأشعة الالهية أما نقطة النهاية فهي الوصول بهذه الروح إلى الجاذبية الربوبية.

ان استمرار هذا الوعي وتداومه هو العامل الأساسي والهام في كمال الانسان

١- الذاريات ٥١: ٥٦.

٢- جاويد نام، اقبال لاهوري.

سواء كان الانسان واقفاً يصلي في المحراب أو كان محارباً يقاتل في ميدان الحرب من أجل انتصار الخير على الشر أو كان مستمتعاً بلذائد الحياة المشروعة والمعقولة. وسواء على الانسان كان يشهق ببكائه متألماً من عاديات الزمن أو يفهقه ضاحكاً من مسراته.

إن وعي طهر ونقاء الروح هو جوهر العبادة وسواء كان هذا الوعي ظاهراً في شعور الانسان أو غافياً في طوايا اللا شعور مرتكزاً في النفس؛ فان جميع لحظات عمر الانسان في ظلال ذلك إنما هي عبادة لأن مسار الانسان العقلي وحياته العقلية تجري وفق ناموس الوجود.

من هنا فان ابسط الخطوات العلمية وصولاً الى أفخم الحركات العلمية إنما هي عبادة ويستحيل المختبر في هكذا ظروف إلى محراب عبادة.

إن هذه المباني التي تدعى مساجد إنما هي مواقع من أجل أن يكون الانسان لنفسه علاقة مباشرة مع الخالق والرب؛ إن هذه المساجد المبنوثة في الكرة الأرضية إنما هي مراصد من أجل التطلع الى اللانهائي.

إن هذا التلميذ الصغير وبالقدر الذي يدركه من الحقيقة من على مقعد الدرس هو مثل ذلك المحقق والباحث الكبير الذي يطالع في كتاب الكون من أجل معرفة طريق الحياة العقلية؛ كلاهما يقومان بركوعين: الأول الركوع والانحناء في الصلاة الثاني الانحناء على الكتاب للمطالعة.

وما أكثر الشبه بين حال التلميذ وهو يرنو الى فهم استاذه ومعلمه متطلعاً إلى الحقيقة التي تجري على لسانه وبين المصلي الحقيقي وهو يرنو الى عالم الملكوت. وانطلاقاً من هذا فان معنى العبادة اسمى وأوسع مما يتصوره العوام من الناس وأرقى أيضاً مما يعتقد ادعياء الفكر من السطحيين الذين يجهلون نبع الحياة

والروح الانسانية^١.

يا من أضع عنوان الحقيقة في طريق الحقيقة..
 قدوة العالم قد جاء إمام الانس والجن.
 كل من أمسك بخيط من نفسه أو الحقيقة..
 ثم لم يفق..
 فمتى يفق إلى نفسه ويعرف الطريق.

«فَإِنْ لَمْ تَأْتِ بِشَرَايِطِ الدُّعَاءِ فَلَا تَنْتَظِرِ الْأَجَابَةَ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى فَلَمَّا كَلَّمَكَ
تَدْعُوهُ بِشَيْءٍ قَدْ عَلِمَ مِنْ نَيْتِكَ خِلَافَ ذَلِكَ أَسْبَابَ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ»

يخاطب الامام الصادق عليه السلام الداعي انه إذا لم تتوفّر في دعائه شروط الدعاء فلا يتوقّع الاجابة، وهنا كما يبدو من النص انّ التوحّد التام في التوجّه أثناء الدعاء أمر في غاية الأهميّة لأنّ الله سبحانه يعلم أسرار الانسان بل وإلى ما هو أبعد من ذلك في منطقة اللاشعور واللاوعي، ولعلّ الداعي وهو يدعو الله ثمّة ما يموج في أعماق نفسه بشيء لا ينسجم مع مطلب الدعاء.
يقول المرحوم ملا عبدالرزاق اللاهيجي في ذيل هذا النص من مصباح الشريعة^١ حول الوقت الذي يستجاب فيه الدعاء:

زمان استجابة الدعاء:

انّ من جملة أسباب اجابة الدعاء، هو زمن الدعاء - وهذا يختلف عن الشروط التي يجب توفرها في الداعي - من قبيل ليلة الجمعة أو يوم الجمعة.
وقد جاء في الحديث انّ الله تعالى في ليلة كلّ جمعة من أوّل الليل إلى طلوع

١- مصباح الشريعة، ترجمه عبدالرزاق لاهيجي: ١٤٧.

الفجر ينادي عباده هل من طالب حاجة لديناه هل من طالب حاجة لآخرته فألبي حاجته؟ هل من تائب من ذنبه فاغفر له؟ هل من مقدر عليه رزقه بدعوتي فأوسع عليه رزقه؟

هل من مكروب يسألني رفع كربته فأفرج عليه؟ هل من عليل يسألني العافية فأعافيه؟ هل من محبوس يدعولي للفرج فأطلقه من حبسه؟ هل من مظلوم يستغيث بي فأنجيه؟ ومن الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء أوّل وقت الزوال في يوم الجمعة وآخر نهار الجمعة عند الغروب وقد غاب نصف قرص الشمس.

مكان استجابة الدعاء:

ومن أسباب استجابة الدعاء أيضاً خصوصيّة المكان مثل جبل عرفات وقد جاء في الحديث أنّ الله تبارك وتعالى ينادي في ذلك اليوم ملائكته ألا ترون عبادي قد جاءوا من أطراف أرضي إلى بيتي قد اغبرت وجوههم طاعة لأمري، أتعلمون لم جاءوا وماذا يطلبون؟ فتقول الملائكة: ربنا جاءوا يستغفرونك فيقول الحق عزّ اسمه: اشهدوا اني غفرت لهم وتجاوزت عن تقصيرهم.

كربلاء و استجابة الدعاء:

ومن بين الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء المرقد الشريف المبارك لسيد الشهداء سبط رسول الله ﷺ الامام الحسين بن علي ﷺ وقد ورد في الحديث أنّ الله عزّ وجلّ أكرم وليّه وسبط رسوله بأربع خصال:

١- الاستشفاء بتربته المباركة.

٢- استجابة الدعاء تحت قبّته.

٣- الأئمة من ذريته.

٤- إن مدة زيارته لا تحسب من عمر الانسان الزائر.

وعند ما تتوفر الشروط الانسانية والزمانية والمكانية في الدعاء فإن استجابة الدعاء تكون أمراً حتماً ويتأهل الداعي للولوج إلى ميدان الاجابة.

وقد روي انّ الجفاف ضرب منطقة فحاء أهلها إلى عارف يطلبون منه أداء صلاة الاستسقاء فلعلّ الله يرسل عليهم من غير رحمته!

فقال لهم الرجل العارف: أنتظرون المطر وتوقعون رحمة الله؟

وأنا انتظر ان ترسل السماء عليّ حجارة جزاء أعمالي وأفعالي! فما أنتم كلامه

حتى احتشدت الغيوم ونزل المطر!

«وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا لِلَّهِ بِالدُّعَاءِ لَكُنَّا إِذَا أَخْلَصْنَا الدُّعَاءَ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالْأَجَابَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ ضَمِنَ ذَلِكَ لِمَنْ أَتَى بِشَرَايِطِ الدُّعَاءِ»

وفي هذا المقطع يشير الامام الصادق عليه السلام الى حقيقة أخرى من حقائق الدعاء واستجابة الدعاء وهي أننا لو دعونا الله سبحانه مخلصين له الدين لتفضل علينا بالاجابة، فكيف وقد ضمن استجابة الدعاء لمن دعاه وجاء بشروط دعائه!

«سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ إِسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ قَالَ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ،
فَفَرَّغَ قَلْبِكَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَأَدْعُهُ بِأَيِّ اسْمٍ شِئْتَ فَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلَّهِ
اسْمٌ دُونَ اسْمِ بَلْ هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»

كل أسماء الله الحسنى هي أسم أعظم بشرط أن يدعو الله بأي اسم من
أسمائه بقلب فارغ من كل شيء إلا منة سبحانه ومن اسمه الذي يدعو به.

«وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ عَنْ قَلْبٍ لَاهٍ قَالَ
الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَسْئَلَ رَبَّهُ إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَتَأَسَّ مِنَ
النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَا يَكُنْ رَجَاؤُهُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ
تَعَالَى ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْأَلْهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ»

«فَإِذَا أَتَيْتَ بِمَا ذَكَرْتَ لَكَ مِنْ شَرَائِطِ الدُّعَاءِ أَخْلَصْتَ سِرِّكَ لِوَجْهِهِ
فَأُبَشِّرُ بِإِحْدَى ثَلَاثٍ. إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَكَ مَا سَأَلْتَ وَإِمَّا أَنْ يُدْخِرَ لَكَ مَا هُوَ
أَعْظَمُ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْكَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَوْ أَرْسَلَهُ عَلَيْكَ لَهَلَكْتَ»

«قال النَّبِيُّ ﷺ: قالَ اللهُ تَعَالَى مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْئَلَتِي أُعْطِيَتهُ
أَفْضَلَ ما أُعْطِيَ لِلسَّائِلِينَ»

وهذه درجة رفيعة جداً من درجات العشق الالهي لا يبلغها إلا من أخلص لله
سبحانه في كل لحظة من لحظات حياته.

«وَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ مَرَّةً فَاسْتَجَابَ لِي وَنَسِيتُ الْحَاجَةَ لِإِ
إِسْتِجَابَتِهِ بِإِقْبَالِهِ عَلَيَّ عَبْدِهِ عِنْدَ دَعْوَتِهِ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِمَّا يُرِيدُ مِنْهُ الْعَبْدُ
وَلَوْ كَانَتْ الْجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا الْأَبَدُ»

وقد بلغ الامام الصادق عليه السلام هذه الدرجة الرفيعة من الحب الالهي حتى نسي
الحاجة التي من أجلها دعا الله سبحانه!

«وَلَكِنْ لَا يَعْقِلُ ذَلِكَ إِلَّا الْعَالِمُونَ الْمُحِبُّونَ الْعَارِفُونَ الْعَابِدُونَ بَعْدَ صِفْوَةِ
اللَّهِ وَخَوَاصِّهِ»

أجل أنها درجة رفيعة جداً لا يدرك مكنونها ولا يسبر معانيها إلا العالم العاشق
العابد بعد الذين اصطفاهم وخصّهم بالكرامة والمنزلة الرفيعة.

الباب

(٢٠)

في آداب الصوم

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ أَى سِتْرَةٌ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَحِجَابٌ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ.

فَإِذَا صُمْتَ فَأَنْوِ بِصَوْمِكَ كَفَّ النَّفْسَ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَطَعَ الْهَمَّةَ عَنْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ.

وَ أَنْزَلَ نَفْسَكَ مِنْزِلَةَ الْمَرْضَى لَا تَشْتَهَى طَعَاماً وَلَا شَرَاباً مُتَوَقَّعاً فِى كُلِّ لَحْظَةٍ شِفَاءَكَ مِنْ مَرَضِ الذُّنُوبِ:

وَطَهَّرَ بَاطِنَكَ مِنْ كُلِّ كَدْرٍ وَعَقْلَهُ وَظَلَمَةَ يَقْطَعُكَ عَنْ مَعْنَى الْأَخْلَاصِ لِرُؤُوسِهِ اللَّهِ تَعَالَى.

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّ الصَّيَامَ يُضْعِفُكَ قَالَ: إِنِّى أَعِدُّهُ بِشَرِّ يَوْمٍ طَوِيلٍ وَالصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِهِ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَلصَّوْمُ لى وَأَنَا أَجْزى بِهِ، فَالصَّوْمُ يُمِيتُ هَوَى النَّفْسِ وَشَهْوَةَ الطَّبْعِ وَفِيهِ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَطَهَارَةُ الْجَوَارِحِ وَعِمَارَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعَمِ وَالْأَحْسَانُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَزِيَادَةُ التَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ وَالْبُكَاءِ.

وَحَبْلُ الْأَعْلِيَاءِ إِلَى اللَّهِ وَسَبَبُ انْكِسَارِ الشَّهْوَةِ وَتَخْفِيفِ الْحِسَابِ وَتَضْعِيفِ الْحَسَنَاتِ.

وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَا يُحْصَى وَكَفَى مَا ذَكَرْنَا مِنْهُ لِمَنْ عَقَلَ وَوَقَّعَ
لِاسْتِعَالِهِ.

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّ الصِّيَامَ يُضْعِفُكَ قَالَ: إِنِّي أُعِدُّهُ بِشَرِّ يَوْمٍ
طَوِيلٍ وَالصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَهْوَنُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِهِ^۱:

۱- این جمله در نسخه عبدالرزاق لاهیجی نمی باشد.

«قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ أَى سِتْرَةٌ مِنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَحِجَابٌ
مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ»

حقيقة الصوم:

الصوم آصرة روحية وقلبية بين العبد ومولاه، ولو سبرنا عمق هذه الآصرة لوجدنا انّ الروح والقلب والنفس الانسانية تتحرك باتجاه التصفية من الرذائل واكتساب الحسنات والصفات الالهية.

والانسان عند ما يلتزم بهذه الآصرة من كلّ أعماق قلبه وروحه فانه سوف يتلقّى من النعيم الالهى أيضاً لا نهائياً مفعماً بالحب؛ ومن هنا فانّ الصوم عبادة كبرى تنفتح فيها أبواب الرحمة الالهية على مصاريعها ويغمر الكرم الالهى عباده. وقد حفل تاريخ الأنبياء والرسل بما هو معروف من شدة حبهم للصوم حتّى أنّهم ليصومون في غير شهر رمضان المبارك، فأولياء الله وعباده المخلصين يصومون غرةً ووسط ونهاية كلّ شهر قمري وبعضهم يصوم شهري رجب وشعبان أيضاً.

وهذا نبيّنا عليه الصلاة والسلام بعد عيد الفطر يصوم من شهر شوال ستة أيّام كلّ ذلك شوقاً إلى شهر رمضان وحينئذٍ إليه.

حقيقة شهر رمضان:

شهر رمضان شهر الرحمة والبركة وشهر الكرامة والمغفرة، شهر التوبة والغفران، شهر التربية، شهر تُنبذ فيه الرذائل وتكتسب الفضائل.

وشهر رمضان المبارك يمتاز من بين الشهور القمرية جميعاً بذكر اسمه في القرآن الكريم وفي هذا ما يدل على أهميته وعظمته، ومن وُفق في هذا الشهر في إقامة آصرة مع الحق تبارك وتعالى فإنه سوف يبلغ خير الدنيا وخير الآخرة.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ

مِنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ﴾^١.

ووفقاً للآية الكريمة فإن شهر رمضان هو شهر القرآن وهو شهر الهداية والشهر الذي يمتاز فيه الحق من الباطل.

فمن لم يستضيء قلبه بنور القرآن وتطهّر روحه ويدرك بعقله طريق الحق ويميزه عن طريق الباطل فليس له من الصوم سوى الجوع والظّم.

ومن نهل من فيض هذا الشهر المبارك فقد حصل على جنة من آفات الدنيا وعذاب الآخرة.

شهر رمضان شهر عظيم جداً وهو شهر الله إذ نسبه إليه سبحانه ولا يوجد عمل له صبغة خالصة لله تعالى كالصوم في شهر الله شهر رمضان فهو صبغة الله؛ ذلك أنه عمل خفي لا يعلم به إلا الله سبحانه إذ لا اكراه على الصوم في شهر رمضان كما لا يملك أي إنسان قابلية تشخيص الصائم من غيره لكي يعرف ان أحدهم صائم أم لا هذا أولاً وثانياً ان الصوم يتمحور حول الترك، ترك الأكل

والشرب، ترك فضول الكلام واللغو، ترك الشهوات واجتنابها يعني له صفات سلبية ومن هنا فإن هذا الشهر الكريم يمتاز بصيغة الهيئة خالصة.

آثار الصوم:

إن للصوم آثار معنوية وروحية في قلب الانسان وعقله وتتجلى في نفسه وينطوي على منافع وفوائد للصائم في الدنيا وفي الآخرة؛ فعلى صعيد الصحة الجسمية فإن للصوم دور مؤثر في القضاء على الآلام التي تنجم بسبب الاكثار في تناول الطعام حيث ترسب بعض السموم في المعدة جراء امتلائها بالطعام باستمرار كما انه أفضل نظام للحمية يقوم على منهج صارم في النظام الغذائي وفوائده الكثيرة على صعيد صحة الجسم والبدن لا تقاس بمنافعه على الضعيف الروحي وفي مجال الصحة النفسية، اذ انه يضاعف من قوة الإنسان في ارادته ويعلمه الصبر والمقاومة.

وهو بعد كل ذلك سعادة في الآخرة لأنه يقي الانسان من النار ومن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز فوزاً كبيراً.

ولأهمية هذه العبادة في حياة الانسان ومسيرته التكاملية اشار القرآن الكريم الى ان الصوم قد كتب على الامم السالفة والمجتمعات الغابرة والأقوام الماضية، فقد كان جزءاً أساسياً من شرائع الرسل والأنبياء.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾!

وعند ما يتصل الانسان بغضن وجوده مع هذه الشجرة المباركة فإنه ينهل من

فيض الرحمة المطلقة وجاء بما أمره الحق به فاستحقّ دخول الجنة.

وبالرغم من أن الكائنات في حقيقة الأمر ضيوف على مآدب الرحمن ولكن شهر رمضان مأدبة كبرى وضيافة خاصة لا يحظى بها إلا من آمن بالله واليوم الآخر وكان من عباد الله الصالحين.

وفي شهر رمضان ليلة القدر التي هي أعظم وأفضل من ألف شهر ففي هذه الليلة المباركة من ليالي شهر رمضان أنزل الله القرآن واتّصل الوحي بالإنسان الكامل، وفي هذا الشهر الكريم فصول من تربية الإنسان وتنمية القيم الأخلاقية فيه وفي هذا الشهر تفتح نوافذ السماء وتشرق على قلوب الناس الأنوار الإلهية. فيهرع العاشقون الهائمون بحبّ الله لتلقي أشعة الحق من نوافذ رحمته ويتطلع المؤمنون إلى لقاء الله عزّ وجلّ.

وطريق العشاق طريق لا قارعة فيه فابتعد إن كنت تبخل بالروح.
 وإن كنت في سبرك بذلت الروح ستجد آلاف الأرواح عوضاً عن روحك.
 فان حصلت في خطوة على مئة روح فجد بها فان الأرواح بلا نهاية.
 وكلّما جدت بالروح في أيّ وقت، غمرتك آلاف الأرواح.
 ومن تسلم روحه في هذا الطريق سوف يبقى خجلاً الى الأبد.
 جاءني ليلة أمس هاتف في قلبي قال لي انها ليلة شدّ الرحال.
 هلمّ الآن كي تجد من يشدّ الرحال فان غصن الوصال أمسى بلا مطر.
 ولما فنى فؤادك في طريق العشق وذاب اضطربت النفس العاشقة!

الصوم في مرآة الروايات:

جاء في الرواية عن الامام الرضا عليه السلام في أجوبة على مسائل محمد بن سنان في موضوع الصوم:

علة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً، ويكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات واعظاً له في العاجل دليلاً على الآجل ليعلم شدة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة^١.

وسأل هشام بن الحكم الامام الصادق عليه السلام عن علة الصيام فقال عليه السلام: إنما فرض الله عزّ وجلّ الصيام ليستوي به الغني والفقير وذلك ان الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير لأن الغني كلما أراد شيئاً قدر عليه؛ فأراد الله عزّ وجلّ أن يسوي بين خلقه وأن يذيق الغني مسّ الجوع ليرقّ على الضعيف فيرحم الجائع^٢.

وأكدت الروايات في باب الصوم ان على من يصوم فيلكن صومه شاملاً لكلّ وجوده وأعضاء جسمه إذ أن الصوم لا يقتصر على الامتناع عن الطعام والشراب وإنما عن المعاصي والذنوب والآثام.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصْرُكَ وَشَعْرُكَ وَجِلْدُكَ وَعَدَدَ أَشْيَاءَ غَيْرَ هَذَا قَالَ وَلَا يَكُونُ يَوْمٌ صَوْمِيكَ كَيَوْمِ فِطْرِكَ»^٣.

١- من لا يحضره الفقيه: ٧٣/٢، باب علة فرض الصيام، حديث ١٧٦٧؛ وسائل الشيعة: ٨/١٠، باب ١، حديث ١٢٦٩٩.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٧٣/٢، باب علة فرض الصيام، حديث ١٧٦٦؛ وسائل الشيعة: ٧/١٠، باب ١، حديث ١٢٦٩٧.

٣- الكافي: ٨٧/٤، باب أدب الصائم، حديث ١.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: يَا جَابِرُ هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ مَنْ صَامَ نَهَارَهُ وَقَامَ وَرَدًّا مِنْ لَيْلِهِ وَعَفَّ بَطْنَهُ وَفَرَّجَهُ وَكَفَّ لِسَانَهُ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَخُرُوجِهِ مِنَ الشَّهْرِ فَقَالَ جَابِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَابِرُ مَا أَشَدَّ هَذِهِ الشُّرُوطُ.»

وجاء عن الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ انّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ثم قرأ قوله تعالى على لسان مريم البتول:

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا﴾^١

أي صوماً صمتاً (وفي نسخة أخرى: أي صمتاً) فاذا صمتتم فاحفظوا ألسنتكم وعضواً أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: وسمع رسول الله ﷺ امرأة تسبّ جارياً لها وهي صائمة فدعا رسول الله ﷺ بطعام فقال لها: كلي! فقالت: إني صائمة.

فقال ﷺ: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك! انّ الصوم ليس من الطعام والشراب (قال الراوي): وقال أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ودع المرء واذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك^٢.

١- مريم: ١٩: ٢٦.

٢- الكافي: ٤/ ٨٧، باب أدب الصائم، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ١٠/ ١٦٢، باب ١١، حديث ١٣١٢٢.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده إنما للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم وهو صمت الداخل؛ أما تسمع ما قالت مريم بنت عمران:

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا﴾^١.

يعني صمتاً، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب وعضواً أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا ولا تكذبوا ولا تباشروا ولا تخالفوا ولا تخاطبوا ولا تسابوا ولا تشاتموا ولا تفاتروا ولا تجادلوا ولا تتأذوا ولا تظلموا ولا تسافهوا ولا تضاجروا ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة وألزموا الصمت والسكوت والحلم والصبر والصدق ومجانبة أهل الشر واجتنبوا قول الزور والكذب والفري والخصومة وظنّ السوء والغيبة والنميمة وكونوا مشرفين على الآخرة منتظرين لأيامكم منتظرين لما وعدكم الله متزودين للقاء الله وعليكم السكينة والوقار والخشوع والخضوع وذلّ العبد الخيف (العبد الخائف) من مولاه خيرين خائفين راجين مرعوبين مرهوبين راغبين راغبين قد طهرت القلب (قد طهرت القلوب) من العيوب وتقدّست سرائركم من الخبث ونظفت الجسم من القاذورات وتبرأت إلى الله من عداه وواليت الله في صومك وفرغت قلبك له ونصبت نفسك له فيما أمرك ودعاك إليه؛ فإذا فعلت ذلك كلّه فأنت صائم لله بحقيقة صومه صانع له لما أمرك وكلّما نقصت منها شيئاً فيما بيّنت لك فقد نقص من صومك بمقدار ذلك.

وقال عليه السلام: إذا دخلتم في الصيام فطهروا نفوسكم من كلّ دنس ونجس

وصوموا لله بقلوب خالصة صافية منزهة عن الأفكار السيئة والهواجس المنكرة فان الله سيحبس القلوب اللطخة؛ فلتصم جوارحكم من المآثم فان الله لا يرضى منكم أن تصوموا من المطاعم فقط^١.

روي عن النبي ﷺ انه قال: لله عزوجل في كل يوم من شهر رمضان عند الافطار ألف عتيق من النار فاذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة أعتق الله تعالى ألف ألف عتيق كلهم قد استوجب النار^٢.

عَنْ يُونُسَ بْنِ حَمْدَانَ الرَّازِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:
«مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَرَجَ رُوحُ الْأَيْمَانِ مِنْهُ»^٣.

قال رسول الله ﷺ:

«شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ فَمَنْ صَامَهُ إِيْمَانًا
وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^٤.

وعنه صلوات الله عليه قال:

شهر رمضان شهر فرض الله عزوجل عليكم صيامه فمن صامه إيماناً واحتساباً
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه^٥.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عَلَيْكُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِكَثْرَةِ الْأَسْتِغْفَارِ
وَالدُّعَاءِ فَأَمَّا الدُّعَاءُ فَيَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْكُمْ وَأَمَّا الْأَسْتِغْفَارُ

١- المحاسن: ٣٣.

٢- المحاسن: ٣٣.

٣- ثواب الأعمال: ٢٣٦؛ وسائل الشيعة: ٢٤٥/١٠، باب ١، حديث ١٣٣٢٥.

٤- التهذيب: ١٥٢/٤، باب فرض الصيام، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٢٤٦/١٠، باب ١، حديث ١٣٣٢٧.

٥- التهذيب: ١٥٢/٤، باب فرض الصيام، حديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٢٤٦/١٠، باب ١، حديث ١٣٣٢٨.

فَتُحْمَى بِهِ ذُنُوبُكُمْ»^١.

خطبة النبي الأكرم ﷺ في معرفة شهر رمضان المبارك:

روى الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ان رسول

الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْمَغْفِرَةِ شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ
وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ
فِيهِ إِلَى ضِيَاةِ اللَّهِ وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللَّهِ أَنْفَاسُكُمْ
فِيهِ تَسْبِيحٌ وَتَوَهُُّمٌ فِيهِ عِبَادَةٌ وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ
مُسْتَجَابٌ فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بِنِّيَاتٍ صَادِقَةٍ وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ أَنْ
يُوقِفَكُمْ لَصِيَامِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللَّهِ
فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ وَادْكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَعَطَشِكُمْ فِيهِ جُوعَ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَطَشَهُ وَتَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائِكُمْ وَمَسَاكِينِكُمْ
وَوَقِّرُوا كِبَارَكُمْ وَارْحَمُوا صِغَارَكُمْ وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَاحْفَظُوا
أَلْسِنَتَكُمْ وَغَضُّوا عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظْرُ إِلَيْهِ أَبْصَارَكُمْ وَعَمَّا لَا
يَحِلُّ الْاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ وَتَحَنَّنُوا عَلَى أَيَّامِ النَّاسِ يُتَحَنَّنْ
عَلَى أَيَّامِكُمْ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ

١- وسائل الشيعة: ٣٠٤/١٠، باب ١٨، حديث ١٣٤٧٨.

بِالدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَاتِكُمْ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ يَنْظُرُ اللَّهُ
عَزَّوَجَلَّ فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَى عِبَادِهِ يُجِيبُهُمْ إِذَا نَاجَوْهُ وَيُلَبِّسُهُمْ إِذَا
نَادَوْهُ وَيُعْظِمُهُمْ إِذَا سَأَلُوهُ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بِأَعْمَالِكُمْ فَفَكُّوْهَا بِاسْتِغْفَارِكُمْ وَظُهُورِكُمْ
ثَقِيلَةٌ مِنْ أَوْزَارِكُمْ فَخَفِّقُوا عَنْهَا بِطَوْلِ سُجُودِكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ الْمُصَلِّينَ وَالسَّاجِدِينَ وَأَنْ لَا
يُرْوِعَهُمْ بِالنَّارِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ
فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِمًا مُؤْمِنًا فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ
عِتْقٌ نَسَمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ.

قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَيْسَ كُلُّنَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ ﷺ انْقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ انْقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَرْبَةِ مِنْ
مَاءٍ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلِقَهُ كَانَ لَهُ
جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَمَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا
الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ خَفَّفَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ وَمَنْ كَفَّ فِيهِ
شَرًّا كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيمًا أَكْرَمَهُ
اللَّهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَمَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَةً وَصَلَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ
يَلْقَاهُ وَمَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَةً قَطَعَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَمَنْ
تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلَاةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَمَنْ أَدَّى فِيهِ

فَرَضًا كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مَنَ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مَنِ الشُّهُورِ وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ نَقَلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخِفُّ الْمَوَازِينُ وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَانِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفْتَحَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُعَلِّقَهَا عَنْكُمْ وَأَبْوَابَ النَّيرانِ مُغْلَقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَفْتَحَهَا عَلَيْكُمْ وَالشَّيَاطِينَ مَغْلُوبَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ!
ثم بكى...»

دعاء الامام زين العابدين عليه السلام في شهر رمضان المبارك:

وللامام السجاد علي بن الحسين دعاء في شهر رمضان يدعو به يومياً على امتداد أيام شهر رمضان ما يدل على منزلة هذا الشهر الكريم عند الله تعالى وهو دعاء ينطوي على أعظم الدروس والتعاليم في تربية الانسان وترشيد حركته في الحياة.

١- الأمامي، صدوق: ٩٣، المجلس العشرون، حديث ٤؛ عيون اخبار الرضا عليه السلام: ٢٩٥/١، باب ٢٨، حديث ٥٣؛ وسائل الشيعة: ٣١٣/١٠، باب ١٨، حديث ١٣٤٩٤.

ويرى بعض الباحثين ان الدعاء كان وسيلة الامام عليه السلام في تلك الظروف العصيبة لارشاد الناس وهدايتهم إلى الآداب الاسلاميّة والالتزام بالقيم الدينيّة والأخلاقيّة.

والخلاصة ان الامام يدعو الناس إلى هذه الحقيقة بأن شهر رمضان يتضمّن حركة شاملة للانسان من خلال تجربة رويّة ثرة وتأملات عقليّة عميقة وتركيبية للنفس الانسانيّة ومن دون ذلك فلا يحصد الانسان من شهر رمضان سوى الجوع والظمأ وفيما يلي نصّ الدعاء:

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلْتَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ وَ هَذَا شَهْرُ الصِّيَامِ وَهَذَا
شَهْرُ الْقِيَامِ وَهَذَا شَهْرُ الْأَنْبِيَةِ وَهَذَا شَهْرُ التَّوْبَةِ وَهَذَا شَهْرُ
الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَهَذَا شَهْرُ الْعِتْقِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ
وَ هَذَا شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.
اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعِنِّي عَلَى صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ
وَسَلِّمْهُ لِي وَسَلِّمْ لِي فِيهِ وَتَسَلِّمْهُ مِنِّي وَأَعِنِّي عَلَيْهِ بِأَفْضَلِ
عَوْنِكَ وَوَقْفِنِي فِيهِ لِطَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ وَأَوْلِيَّائِكَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَفَرِّغْنِي فِيهِ لِعِبَادَتِكَ وَتِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَأَعْظَمِ
لِي فِيهِ الْبَرَكَاتَةَ وَأَحْسِنْ لِي فِيهِ الْعَافِيَةَ وَأَصِحِّ لِي فِيهِ بَدَنِي
وَأَوْسِعْ لِي فِيهِ رِزْقِي وَاكْفِنِي فِيهِ مَا أَهَمَّنِي وَاسْتَجِبْ فِيهِ
دُعَائِي وَبَلِّغْنِي فِيهِ رَجَائِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَذْهِبْ عَنِّي فِيهِ النَّعَاسَ
وَالْكَسَلَ وَالسَّامَةَ وَالْفَتْرَةَ وَالْقَسْوَةَ وَالغَرَّةَ وَالغَفْلَةَ وَجَنِّبْنِي فِيهِ
الْعِلَلَ وَالْأَسْقَامَ وَالْهُمُومَ وَالْأَحْزَانَ وَالْأَعْرَاضَ وَالْأَمْرَاضَ
وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ وَأَصْرِفْ عَنِّي فِيهِ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ وَالْجَهْدَ
وَالْبَلَاءَ وَالتَّعَبَ وَالْعَنَاءَ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعِزَّنِي فِيهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ وَهَمَزِهِ وَلَمَزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ وَوَسْوَاسَتِهِ وَتَبْطِطِهِ وَكَيْدِهِ
وَمَكْرِهِ وَحَبَائِلِهِ وَخُدَعِهِ وَأَمَانِيهِ وَغُرُورِهِ وَفُتْنَتِهِ وَشْرَكَهِ
وَأَحْزَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَأَوْلِيَانِهِ وَشُرَكَائِهِ وَجَمِيعِ مَكَايِدِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَارْزُقْنَا قِيَامَهُ وَصِيَامَهُ
وَبُلُوغَ الْأَمَلِ فِيهِ وَفِي قِيَامِهِ وَأَسْتِكْمَالَ مَا يُرْضِيكَ عَنِّي صَبْرًا
وَاحْتِسَابًا وَإِيمَانًا وَيَقِينًا ثُمَّ تَقَبَّلْ ذَلِكَ مِنِّي بِالْأَضْعَافِ الْكَثِيرَةِ
وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَارْزُقْنِي الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَ
الاجْتِهَادَ وَالْقُوَّةَ وَالنَّشَاطَ وَالْأَعْيَانَ وَالتَّوْبَةَ وَالقُرْبَةَ وَالْخَيْرَ
الْمَقْبُولَ وَالرَّهْبَةَ وَالرَّغْبَةَ وَالتَّضَرُّعَ وَالْخُشُوعَ وَالرَّقَّةَ وَالتَّيْبَةَ
الصَّادِقَةَ وَصِدْقَ اللِّسَانِ وَالْوَجَلَ مِنْكَ وَالرَّجَاءَ لَكَ وَالتَّوَكُّلَ
عَلَيْكَ وَالثَّقَةَ بِكَ وَالْوَرَعَ عَنِ مَحَارِمِكَ مَعَ صَالِحِ الْقَوْلِ
وَمَقْبُولِ السَّعْيِ وَمَرْفُوعِ الْعَمَلِ وَمُسْتَجَابِ الدَّعْوَةِ وَلَا تَحُلْ

بَيْنِي وَبَيْنَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِعَرَضٍ وَلَا مَرَضٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا
 غَمٍّ وَلَا سَقَمٍ وَلَا غَفْلَةٍ وَلَا نِسْيَانٍ بَلْ بِالتَّعَاهُدِ وَالتَّحْفُظِ لَكَ
 وَفِيكَ وَالرَّعَايَةِ لِحَقِّكَ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ وَوَعْدِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا
 أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!

وثمة أدعية من هذا القبيل تنطوي على قيم ومفاهيم تربوية راقية تفود
 الانسان إذا تشرّبها إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

ولمن يريد المزيد يمكنه مراجعة كتاب «زاد المعاد» للمجلسي و «البلد
 الامين» والى قسم الأدعية في موسوعة الحديث «بحار الأنوار» وأيضاً كتاب
 الدعاء الكبير والسفر الجليل «مفاتيح الجنان» للمحدث الراحل الشيخ عباس
 القمي رضي الله عنه.

والدعاء مراحل؛ قراءة الدعاء ثم تفهم ما فيه والعمل به حيث العمل مقدّمة
 لبلوغ الرضا الالهي.

ويبقى شهر رمضان أعظم موسم للدعاء وقراءة القرآن الكريم ففي هذا الشهر
 الكريم يتضاعف الفيض الالهي وتغمر عباد الله ﷻ ورضوانه.

إذا ما هبّ الذي ينصرني سأنجوا من قفص النفس ومن شرك الفخ.
 مع أن جناحي مهبط وقعت في فخ الجسد، ولما هبّ ناصرني قفزت كما القمر.
 حاشا لمعيني أن يسهو عني.

هو أدري بعجزني عن النجاة من الفخ.

١- الكافي: ٧٥/٤، باب ما يقال في مستقبل شهر رمضان، حديث ٧؛ وسائل الشيعة: ٣٢٦/١٠، باب ٢١،

انا منذ الازل مندهش لحسنه اللانهائي.
هو منذ الأزل محبوبي وسأطير إلى قصر وصاله.
أنا أرنو للطفه إلى الأبد وسأذكر حسنه الأزلي وهو الشاهد.
وعقاب عشقي عنقاء قدس عشه في الأعالي.
يا حسرة ان اففز الى العالم السفلي!

ثواب الصوم:

قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل:

كلّ حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا اجزي به^٢.
وقال ﷺ:

والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يقول
الله عز وجل: إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلني فالصوم لي وأنا اجزي به^٣.
وقال ﷺ أيضاً:

للجنة باب يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون وهو موعود بقاء الله
جزاء صومه^٤.

وقال صلوات الله عليه:

للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه^٥.

١- الهى قمشهاى.

٢- محجة البيضاء: ١٢١/٢، كتاب اسرار الصيام.

٣- المحجة البيضاء: ١٢٢/٢، كتاب اسرار الصيام.

٤- المحجة البيضاء: ١٢٢/٢، كتاب اسرار الصيام.

٥- المحجة البيضاء: ١٢٢/٢، كتاب اسرار الصيام.

وقال أيضاً:

لكل شيء باب وباب العبادة الصوم^١.

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

الصائم في عبادة وإن كان نائماً على فراشه ما لم يغترب مسلماً^٢.

قال أبو جعفر عليه السلام: «بُنِيَ الْأَسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءٍ: عَلَى

الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالْوَلَايَةِ»^٣.

وقال عليه السلام لأصحابه:

ألا أخبركم بشيء إن فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال عليه السلام: الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والموازرة على العمل تقطع دابره والاستغفار يقطع وتينه ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام^٤.

ومن المفيد أن نراجع مرة أخرى ما قاله الامام جعفر الصادق عليه السلام حول الصوم:

قال رسول الله عليه السلام: الصوم جنة من النار أي سرّة من آفات الدنيا وحجاب

من عذاب الآخرة.

فإذا صمت فانو بصومك كفّ النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان.

١- المحجة البيضاء: ١٢٢/٢، كتاب اسرار الصيام.

٢- المحجة البيضاء: ١٢٣/٢، كتاب اسرار الصيام.

٣- المحجة البيضاء: ١٢٢/٢، كتاب اسرار الصيام.

٤- المحجة البيضاء: ١٢٣/٢، كتاب اسرار الصيام.

«فَإِذَا صُمْتَ فَانُو بِصَوْمِكَ كَفَّ النَّفْسَ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَطَعَ الْهِمَّةَ عَنِ
خَطُواتِ الشَّيْطَانِ»

نية الصيام:

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا المقطع إلى مسألة النية في الصيام إذ أنه عند ما يعزم الانسان على الصوم فليكن عزمه على كف النفس عن الشهوات، شهوة الأكل والشرب بما يخرج الانسان عن الحدود المشروعة والشهوة الجنسية الشيطانية، وشهوة المقام والجاه والرئاسة وشهوة الثراء وتكديس الأموال وشهوة التكبر والغرور والرياء والتفاخر وشهوة العجب بالنفس أو النرجسية والشهرة والتسلط.

ولتكن الارادة موجهة نحو مقاومة الشيطان وعدم ترسم خطاه وارنكاب الخطايا. ان التعامل مع الصيام في شهر رمضان على نحو عادي ومتابعة ذات السيرة قبل حلول الشهر المبارك؛ فلا وقت في الأسحار والافطار للعبادة ومراجعة النفس سوى التلذذ بأنواع الأطعمة والأشربة والاكثار من تناول ما لذ وطاب فان الانسان سيحرم من منافع هذا الشهر الكريم المعنوية والروحية.

إن شهر رمضان هو بمثابة اعلان للحرب على الشهوات الخاطئة والأهواء النفسانية المنحرفة وعلى وساوس الشيطان وعلى كل الميول التي تحاول جرّ الانسان

بعيداً عن الله ان هذا الشهر المبارك يوفر فرصة رائعة للرياضة النفسية ويضاعف قدرات الانسان في بلوغ مراحل عالية من التقوى والورع والالتزام.
ان هذا الشهر الكريم هو شهر التهذيب وتزكية النفس وترشيد مسيرة العقل وحرارة الانسان نحو الله عزوجل.

ان شهر رمضان هو شهر العلم والتعلم والتعليم وشهر تلاوة القرآن وتشرب حقائقه شهر التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل والتأدب بأداب الله تبارك وتعالى.
فاذا لم يقم الصائم في شهر رمضان بترويض نفسه وكبح تمرداتها وضبط غرائزها وجموحها ويسيطر على طغيان آماله وأمانيه العريضة الطويلة واذا لم يطفى نار الشيطان التي يضررها في نفسه ولم يتحلل بأداب الله ويتزين بالصفات الحسنى والقيم العليا فما الذي استفاده في شهر رمضان يا ترى؟ هذا الشهر الكريم المبارك؟

ان رأسمال الانسان وأساس سعادته ونجاحه كما صرح بذلك كل الرسل والأنبياء والأوصياء عليهم السلام والكتب السماوية إنما هو الأدب وما الأدب إلا مجموع مطالب الحق في جميع الأصعدة الانسانية وما شهر رمضان المبارك إلا مدرسة كبرى يتعلم فيها الانسان الآداب الرفيعة والصفات النبيلة التي تستند الى القيم الالهية.

ان أرباب العقول يرون الأدب أساس الايمان...

لا جرم ليس في ما قالوه شيء عجايب...

ليس في كل سماوات الخلود...

منزل ينزل فيه فاقد الأدب فسماوات البقاء منزل أهل الأدب.

طالب الحكمة والأدب في درب اليقين.

جالس فوق كنوز الوجود وحارسه الأدب.

والآدمي اذا لم يكن من أدب عنده ليس آدمياً...
 انما الفرق بين الآدمي والحيوان يكمن في الأدب.
 ان أولياء الله والعرفاء والعشاق وأهل الفضائل لا يفوتون فرصة من أجل
 تزكية النفس والتأدب بآداب الله سبحانه.
 وهم في هذا الطريق المرير يتجرعون الحنظل ويقاسون مرارة التمرين وما
 غايتهم في ما يعانون إلا رضوان الله عزوجل.

حكاية حول جهاد النفس:

في عام ١٣٦٤ هـ ش (١٩٨٤ م) دعيت إلى مدينة اصفهان لالقاء محاضرة،
 ولقد كنت اعرف ان اصفهان فيما مضى من الأزمنة كانت مركزاً للكثيرين من
 أولياء الله والعلماء.

مدينة اصفهان، مدينة الحكماء والفقهاء والفلاسفة والعرفاء والعشاق والمتكلمين
 والشهداء وان على الجميع أن يحفظ لهذه المدينة العريقة كرامتها ووجهها المشرق
 بهذا التاريخ العريق.

أقيمت في المدينة مدة وكنت أذهب لزيارة قبور رجال الله بشوق أو اولئك
 الذين كنت أزورهم فيما مضى وكنت ابحث عنهم.

بحثت أكثر لكن لم اوفق لقد رحل الكثيرون من اولئك الرجال الكرام لم
 أجد في زوايا المدينة من اولئك العاشقين أو ممن يخالطهم.

وذات ليلة رأيت وجهاً نورانياً في جلسة من أجل التبليغ الديني أقيمت،
 شدتني اليه ووجهه المضيء وهدوئه سألت عنه؟ فقيل انه عالم كبير وسيد كريم
 النفس وعارف مجهول ولقد كان يحضر دروس الفيلسوف المرحوم الحاج

«رحيم أرباب» مدّة ثلاثين سنة ورغم اني رأيت المرحوم مرّتين لكنّي اجهل حاله وأحواله الروحيّة وأخلاقه.

من أجل هذا بادرت واسرعت لزيارة هذا الرجل وقلت في نفسي اضرب عصفورين بحجر واحد كما يقال: أتعرف عليه وعلى أحوال استاذه.

كانت له معي جلسات ودار بيننا حوارات، كان يقول: عادة ما يكون طموح الفنان وبخاصّة العالم المشهور أن يشتهر أكثر فأكثر ويصبح شخصيّة معروفة! هذا من طبيعة العلم انه ينطوي على حب الظهور، والغرور والاشتهار.

ان العالم يودّ أن يعرف جميع الناس علمه ويستفيدوا من تأليفاته ومن حسن عمله وبخاصّة من قدرته على التدريس وهو يشعر باللذة من اطلاع الناس على ذلك وما يجرّه ذلك من نعيم وثناء، لهذا كان يبحث عن مكان بحيث يكون أثناء تدريسه تلامذته في معرض عموم الناس لتزداد شهرته أكثر.

لكن استاذي المرحوم الحاج رحيم ارباب كان يدرّس مدّة خمسين سنة في مسجد وكان يحضر دروسه الفضلاء وطلاب العلم وقبل أن يبدأ درسه كان يأمر بالستائر تكون أمام الباب وكان يدرس بصوت هادئ؛ بحيث ان صوته لم يكن يتجاوز أسماع طلابه وتلامذته، فلم يكن أحد يسمع أو يرى درساً أو مدرساً في هذا المسجد.

هذه كانت أخلاق الرجل في زمانه وكان يدرّس العلوم الاسلاميّة من فقه وتفسير وفلسفة وكان في عمله واخلاصه وفي خدمة العلم ونشره بين طلابه فريداً.

أجل هذه حقيقة كفّ النفس عن الشهوات وصون النفس من الوقوع في كمائن الشيطان وهذه هي بركة الايمان واليقين والاخلاص والعبادة وبخاصّة عبادة الصيام الحقيقي في شهر رمضان.

حقاً ما أكثر عطاء من أطاع الله لا يقوم بعمل الآ من أجل الله وفي سبيله؛ وما أكثر بركة العمل لا يقوم به الانسان الآ من أجل القربى من الله عزوجلّ وما أسمى النفس التي تطهّرت من رجس الشيطان وكبحت الأهواء وتركت وترقت في مدارج الكمال وتأدبت بآداب الأنبياء وأوصياء الأنبياء.

ان نفساً كهذه تكون قد حازت الحقيقة واطمأنت الى المعرفة والفضيلة وبلغت مقام الانس والطمأنينة والشعور بالرضا والسلام.

ان الصيام في شهر رمضان أما هو من أجل اجتناب الذنوب وضبط النفس عن ارتكاب المعاصي والتطهر من الآثام والموبقات فاذا كانت أيامه كباقي الأيام ولياليه كسائر الليالي فما هي الفائدة من صيامه وقيامه؟ وما الذي حازه الصائم من زكات هذا الشهر الكريم ومن فيض الرحمة والمغفرة؟ ان المرء لو تأمل قليلاً في حياة الأولياء وفكر في أحوالهم والغاية من عباداتهم وما بلغوه من الكمال وما عانوه من أجل ضبط أنفسهم وكبح جماح غرائزهم وأهوائهم وشهواتهم لادرك أية سعادة نالوها وأي مرتبة رفيعة جازوها فاستحقوا مقام القرب ولقاء المحبوب.

ومن أجل هذا يقول الامام الصادق عليه السلام ان على الانسان أن ينوي الصيام بعزمه على كف النفس عن الشهوات والتمرد على وساوس الشيطان وعدم اتباع خطاه، وترك المحرمات والاقبال على الطاعات.

ان وسيلة الشيطان وأدواته تكمن في استغلاله شهوات الانسان وأهواءه وهذه الشهوات والأهواء تستمدّ قدرتها من الطعام والشراب ولا سبيل لكبح الشيطان الآ بتهديب الغرائز بالجوع.

قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْرِي مِنْ إِبْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ فَضَيِّقُوا مَجَارِيهِ

بِالْجُوعِ»^١.

ولما كان الصوم مواجهة ضد الشيطان وحرب شاملة عليه وسدّ الطرق على محاولاتة للنفوذ في داخل الانسان ومحاصرته من أجل قال الله عزوجل:

«الصَّوْمُ لِي»^٢.

هلمّوا لنصوم الله صوماً حقيقياً لكي نطرد الشيطان من أعماقنا، اننا نوبالاستجابة لأوامر الله وتطبيق شريعته نكون قد نصرنا الله وبهذا فان الله ينصرنا ويثبت أقدامنا.

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^٣.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^٤.

ان المعركة مع الشيطان تتوقّف على ارادتنا وصمودنا وما نستطيع من اجراء تغيير في أعماقنا.

قال الله سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^٥.

وهل هناك تغيير أقوى من أن نتحرّر من سلطة الغريزة وأسر الشهوات؟ ان

١- المحجة البيضاء: ١٢٥/٢، كتاب أسرار الصيام.

٢- الكافي: ٦٣/٤، باب ما جاء في فضل الصوم والصائم، حديث ٦؛ وسائل الشيعة: ٣٩٧/١٠، باب ١، حديث ١٣٦٧٩.

٣- محمد ٤٧: ٧.

٤- العنكبوت ٢٩: ٦٩.

٥- الرعد ١٣: ١١.

الشهوات هي مراعي الشيطان حيث يصطاد النفوس التي تقبل على المراعي الخضر دون أن تلتفت الى ذناب الشيطان.

ومادام الشيطان يسرح ويمرح في المراعي فان الانسان لن يتمكن من اكتشاف الحقيقة ولن يمكنه بلوغ مقام الشهود ولن ننسى له رؤية جمال وجلال الحق وسوف يحرم من لقاء الله.

قال رسول الله ﷺ:

«لَوْلَا الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكَوتِ السَّمَاءِ»^١.

من أجل ذلك جاء في الروايات ان الصوم باب من أبواب العبادة وجنة من آفات الدنيا ومن العذاب في يوم القيامة.

أقسام الصيام:

الساثرون في طريق الله عزوجل يقسمون الصوم إلى ثلاثة أقسام انطلاقاً من الروايات والمعارف الالهية:

- ١- صيام عام
- ٢- صيام خاص
- ٣- صيام خاص الخاص

صيام العام:

وهو حفظ البطن والشهوة واجتناب الطعام والشرب والامتناع عن الجنس

١- حام، يحوم: يطوف الشيطان يطوف لينقض.

٢- المحجة البيضاء: ١٢٥/٢، كتاب اسرار الصيام.

والتزام الآداب العامة للصوم.

صيام الخاص:

وهو حفظ الاذن والعين واللسان واليد والقدم وسائر الجوارح والأعضاء عن الذنب والمعصية.

صيام خاص الخاص:

وهو صوم القلب وصونه من الهموم الدنيوية والأفكار القذرة والانقطاع عما سوى الله عزوجلّ والافطار وانهاء الصوم وكسره في هذا النوع من الصيام يحدث عند التفكير في ما سوى الله والتوجه نحو الدنيا والمتاع الزائل إلا ما كان من دنيا هي مقدّمة للدين فتكون مزرعة الآخرة وتكون زاداً للآخرة.

خصائص صيام خاص الخاص:

يقول أرباب القلوب: ان تحرك الهمة في وقت الصوم والصوم لتدبير المعاش افطار القلب وخطأ القلب ناشئ عن عدم الاطمئنان الى حضرة المولى طبعاً هذا الصوم خاص بالأنبياء والصديقين والمقرّبين.

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾^١.

ان الصوم الحقيقي هو قتل الأهواء والقضاء على الشهوات الخاطئة والصوم صفاء للقلب وطهر للجوارح وعمارة للظاهر والباطن وشكران النعم الالهية ووسيلة احسان للفقراء وباعثاً على التضرع والخشوع والبكاء وحبل يتمسك به الانسان الى الحق وكسر ارادة غير الله وتخفيف في الحساب يوم القيامة ومضاعف للحسنات.

نحن لا طاقة لنا على صيام خصوص الخصوص فهذا مقام الأنبياء والأوصياء الذين بلغوا مقام الفناء في الله والبقاء بالله لا يشغلهم شأن عن شأن ولا شيء عما سواه.

لا يرون غيره ولا يريدون سواه ولا يعلمون بشيء إلا هو...

قد انصهروا في الحب الالهي...

فاذا هم ضوء من الضوء وشعاع من النور.

نار عشقك تشتعل في الروح واستحال القلب بركاناً يتفجّر.

كل من ارتشف قطرة من كأس جبك سوف يبقى أبد الدهر.

سكران الى يوم القيامة.

ولما انكشفت وظهرت لي اختفيت أنا...

والاختفاء مع المعشوق حلو وجميل.

لهيب عشقك يحرق الروح...

يا لهذا اللهب من برد الحب!

صبّ عليّ الآلام لا أريد دواء...

ان ألامك احلى وكذا سقمي بحبك.

لا تطفئ شعلة الحب التي تنلظى بروحي...

فاحترقي بنار جبك ربيع لحياتي!

مراحل صوم خصوص الخصوص:

وأما صوم خصوص الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كفّ الجوارح عن

الآثام وتمامه في تسعة امور:

الأول: غضّ البصر وكفّه عن الامتاع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى

كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«الْنَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ
اللَّهِ آتَاهُ اللَّهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حِلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»^١.

وقال رسول الله ﷺ:

«خَمْسٌ يُفْطِرُنَ الصَّائِمَ: الْكِذْبُ وَالْغِيْبَةُ وَالنَّمِيْمَةُ وَالْيَمِينُ
الْكَاذِبَةُ وَالنَّظْرُ بِشَهْوَةٍ»^٢.

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت أو شغله بذكر الله وتلاوة القرآن وقد قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ
وَإِنْ أَمْرٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقْلُ: إِنِّي صَائِمٌ».

وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا، فبعثنا الى رسول الله ﷺ تستأذناه في الافطار، فأرسل إليهما قدحاً وقال: قل لهما: قينا فيه ما أكلتما، فقاءت احداهما نصفه دماً عيبطاً ولحماً غريضاً وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأناه، فعجب الناس من ذلك!

قال رسول الله ﷺ: هاتان صامتا عما أحلَّ الله لهما وافطرتا على ما حرّمه الله

١- المحجة البيضاء: ١٣٢/٢، كتاب اسرار الصيام.

٢- المحجة البيضاء: ١٣٢/٢، كتاب اسرار الصيام.

عليهما، قعدت احدهما الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلنا من لحومهم.

وروى الصدوق باسناده عن النبي ﷺ انه قال:

«مَنْ اغْتَابَ مُسْلِمًا بَطَلَ صَوْمُهُ وَنَقَضَ وَضُوءُهُ فَإِنْ مَاتَ وَهُوَ
كَذَلِكَ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَجِلٌّ لِمَا حَرَّمَ اللَّهُ»^١.

الثالث: كَفَ السَّمْعُ عَنِ الْأَصْغَاءِ إِلَى كُلِّ مَكْرُوهٍ لِأَنَّ كُلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ قَوْلَهُ
حَرَّمَ اللَّهُ الْأَصْغَاءَ إِلَيْهِ وَلِذَلِكَ سَوَى (سَاوَى) اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْمُسْتَمِعِ لِلْكَذِبِ
وَأَكَلَ السَّحْتِ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾^٢.

وقال رسول الله ﷺ:

«الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَاؤُنِي فِي الْأَعْتَمِ»^٣.

الرابع: كَفَ بَقِيَّةُ الْجَوَارِحِ مِنَ الْيَدِ وَالرَّجْلِ عَنِ الْمَكَارِهِ وَكَفَ الْبَطْنُ عَنِ
الشَّبَهَاتِ وَقَتَ الْإِفْطَارِ فَلَا مَعْنَى لِلصَّوْمِ وَهُوَ كَفَ عَنِ الطَّعَامِ الْحَلَالِ ثُمَّ الْإِفْطَارِ
عَلَى الْحَرَامِ، فَمِثَالُ هَذَا الصَّائِمِ مِثَالُ مَنْ يَبْنِي قَصْرًا وَيَهْدِمُ مَصْرًا، فَإِنَّ الطَّعَامَ
الْحَلَالَ أَمَّا يَضُرُّ بِكَثْرَتِهِ لَا بِنَوْعِهِ؛ فَالصَّوْمُ لِتَقْلِيلِهِ وَتَارَكَ الْإِسْتِكْنَارَ مِنَ الدَّوَاءِ خَوْفًا
مَنْ ضَرَّرَهُ إِذَا عَدَلَ إِلَى تَنَاوُلِ السَّمِّ كَانَ سَفِيهًا وَالْحَرَامُ سَمٌّ يَهْلِكُ الدِّينَ وَالْحَلَالَ
دَوَاءٌ يَنْفَعُ قَلِيلَهُ وَيَضُرُّ كَثِيرَهُ وَقَصْدُ الصَّوْمِ لِتَقْلِيلِهِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ».

١- ثواب الأعمال: ٢٨٤؛ المحجة البيضاء: ١٣٣/٢، باب اسرار الصيام.

٢- المائدة ٥: ٤٢.

٣- المحجة البيضاء: ١٣٣/٢، كتاب اسرار الصيام.

فقليل: هو الذي يفطر على الحرام وقيل: هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل: هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.
الخامس: أن لا يستكثر من الحلال في وقت الافطار بحيث يمتلئ فمه من وعاء ابغض إلى الله من من بطن ملئ من حلال.

ان مقصود الصوم الخوى (الخواء وخلو الجوف من الطعام) وكسر الهوى ليتقوى النفس على التقوى.

واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عاداتها.

فروح الصوم وسرّه تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في القود الى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل (من تناول الطعام).

السادس: أن يكون قلبه بعد الافطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقرّبين أو يردّ فهو من الممقوتين، وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن (الامام الحسن المجتبي سبط رسول الله) انه مرّ بقوم يوم العيد وهم يضحكون، فقال عليه السلام: ان الله عزوجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلّف أقوام فخابوا، فالعجب كلّ العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون.

اما والله لو قد كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء عن اسائه، أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسدّ عليه باب الضحك^١.

١- المحجة البيضاء: ١٣٥/٢، كتاب اسرار الصيام.

يقول العلماء العرفاء ان المقصود بصحة الصوم القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون المقصود من الصوم التخلُّق بخلق من أخلاق الله تعالى وهو الصمدية والافتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان، فانهم منزهون عن الشهوات.

والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبه الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها؛ فكلما انهمك في الشهوات انحط الى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقربون من الله.

قال رسول الله ﷺ في عظمة الصوم:

«إِنَّمَا الصَّوْمُ أَمَانَةٌ فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ»^١.

ولما تلا قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^٢.

وضع يده على سمعه وبصره فقال:

«السمع أمانة والبصر أمانة»^٣.

وبالصوم الحقيقي تصوم الجوارح عن الذنوب وهي أمانة تعود لصاحبها الأصلي الذي هو الحق تعالى وفي حالة اقتراف الذنب فان ذلك خيانة للأمانة وجزاء الخائن النار.

١- المحجة البيضاء: ١٣٦/٢، كتاب اسرار الصيام.

٢- النساء: ٤: ٥٨.

٣- المحجة البيضاء: ١٣٦/٢، كتاب اسرار الصيام.

هلموا نتضرّع إلى الله خاضعين خاشعين ساجدين في رحابه نستغفره ونتوب
إليه توبة نصوحاً فلا نقترف الذنوب ولا نرتكب المعاصي حتى نلقى الله عزّ وجل
وهو عنا راض.

ان الله الذي وهبك الق الروح وهبك العلم وكنز الايمان.
فلتذك نفسك لترقى الى مقام الصبر والتسليم.
وفي طهر الروح والجسد تكسب السعادة في الدارين.
لقد مللت من كل شيء سواك يا الهي...
اتضرع في رحابك يا رب انذر سنوات عمري لك واذرف الدموع في حبك.
واحسرتى ان اضعت عمري بعيداً عن الأمل في وصالك.
واحسرتى أن تضيع سنوات الشباب هكذا دون طائل.

«وَأَنْزَلَ نَفْسَكَ مَنزِلَةً مَرْمُوزِي لَا تَشْتَهِي طَعَاماً وَلَا شَرَاباً مُتَوَقَّعاً فِي كُلِّ لَحْظَةٍ شِفَاءَكَ مِنْ مَرَضِ الذَّنُوبِ»

نفس الصائم:

تصوّر نفسك مريضاً في شهر رمضان المبارك لا تشتهي تناول الطعام والشراب متوقّعا في كلّ لحظة الشفاء من مرض الذنوب؛ ان الصائم الحقيقي هو من يصل إلى هذه المرتبة من المشاعر والاحساس في انه مريض مصاب بالذنوب.

ان الذنوب والآثام تلحق اضرارا بالصحة النفسية فالقلب يتأثر نفاؤه بالذنوب والروح يتأثر صفاؤها بالمعاصي والنفس الانسانية يتأثر مستوى صحتها باقتراف الآثام ويأتي الصوم هنا ليكون كالمستشفى للعلاج من الأمراض النفسية.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنْتُمْ كَالْمَرْمُوزِي وَرَبُّ الْعَالَمِينَ كَالطَّبِيبِ فَصَلِّحُ الْمَرْمُوزِي فِيمَا يَعْمَلُهُ الطَّبِيبُ وَيُدَبِّرُهُ بِهِ لَا فِيمَا يَشْتَهِيهِ الْمَرْمُوزِي وَيَقْتَرِحُهُ»!

أجل ان من يراجع نفسه بدقة فسوف يرى ان عقله محاصر بظلمة الجهل وان قلبه تنتابه الأمراض كالوسوسة، والغرور والحسد والتكبر والرياء وحب الجاه

والشهوات، وقد سرت الأمراض إلى أعضاء بدنه واصابت جوارحه، وان الطبيب الذي يعالج هذه الأمراض هو ليس الانسان المريض المصاب، ان الذي يعالج ويشفي الانسان من الأمراض هو الله الرحمن الرحيم الذي أرسل رسله وبعث أنبياءه وأنزل كتبه السماوية من أجل معالجة الانسان وما على الانسان الا أن يعمل بالوصفة الالهية لكل مرض؛ ويعد الصوم من أعظم الوصفات الناجعة في شفاء الانسان ومعالجة أمراضه.

يجب ألا نغتر بأنفسنا ونتصور اننا في كامل سلامتنا النفسية ان الانسان عرضة للاصابة بالأمراض المختلفة وعليه مراجعة الطبيب وهو الله سبحانه؛ ولنعلم ان الاصحاء في هذا العالم قلة قليلة وان المرضى هم النسبة الكبرى من بين سكان هذه الأرض.

المريض الحقيقي:

ذات ليلة كان عيسى بن مريم في بيت من بيوت مدينة الناصرة فقال صاحب البيت: اسمح لي أن أجمع لك مرضى هذه المدينة من الذين لم يستطع الأطباء معالجتهم!

وافق عيسى عليه السلام فلما طلع الصبح رأى عيسى عدداً من المرضى لا يبلغون العشرة.
فقال عيسى: أهؤلاء كل مرضى الناصرة؟

قال الرجل: نعم يا معلم!

فقال عيسى عليه السلام: ان كان الأصحاء في هذه المدينة بعدد هؤلاء لكان ذلك عجباً.
هذا ما يراه نبي من اولي العزم في عدد ونسبة الأصحاء بين بني آدم، المرضى هم الأكثرية الساحقة والأصحاء عدد ضئيل ولو ان هؤلاء المرضى راجعوا الطبيب

الحقيقي وهو الله الواحد الأحد الشافي الصمد لضمنوا بطاعته سلامتهم وصحتهم.

كل من لم يبلى بهذا الألم.

فهو لن يصيب شيئاً ولن يكسب.

كل من لم يبصر فؤاده بالرؤية فانه سيحرم من اللقاء.

وكل من لم يشم هنا وردة سيبقى كصورة جامدة على جدار.

ليمسي ذليلاً كما التراب كل من لم يصبح مصاص دماء.

رغم ان حجابك خارج عن الحدود فلا حجاب مثل الظنون.

احرق حجاب الشك واعلم انه ليس في عالميك مثل هذا العمل!

«وَطَهَّرْ بَاطِنَكَ مِنْ كُلِّ كَدْرٍ وَغَفَلَةٍ وَظُلْمَةٍ يَقْطَعُكَ عَنْ مَعْنَى الْأَمْرِ خُلَاصِ
لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى. قِيلَ لِبَعْضِهِمْ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّ الصِّيَامَ يُضْعِفُكَ قَالَ:
إِنِّي أُعِدُّهُ بِشَرِّ يَوْمٍ طَوِيلٍ وَالصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَهْوَنُ مِنْ
الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِهِ»

طهارة الباطن في الصوم:

ان شهر رمضان فرصة رائعة يمكن من خلال الالتزام بالصوم وشروط الصوم الحقيقي وبالاخلاص لله، الخلاص من الحالة الظلامية التي تترسب في أعماق الانسان والتي تباعد بين الانسان وربّه.

قيل لأحدهم ان الصيام يضعفك ويزيدك ضعفاً الى ضعف فقال اني أصوم ليوم طويل؛ هنا لك يطول حساب الانسان العاصي والصبر على طاعة الله في الدنيا أهون بكثير من الصبر على عذابه في الآخرة.

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَلْصَوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ، فَالْصَوْمُ
يُمِيتُ هَوَى النَّفْسِ وَشَهْوَةَ الطَّبْعِ وَفِيهِ حَيَاةُ الْقَلْبِ وَطَهَارَةُ الْجَوَارِحِ وَعِمَارَةُ
الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعَمِ وَالْأَمَانَةُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَزِيَادَةُ التَّضَرُّعِ
وَالْخُشُوعِ وَالْبُكَاءِ وَحَبْلُ الْأَمْرِ لِي إِلَى اللَّهِ وَسَبَبُ انْكِسَارِ الشَّهْوَةِ وَتَخْفِيفُ
الْحِسَابِ وَتَضْعِيفُ الْحَسَنَاتِ وَفِيهِ مِنَ الْقَوَائِدِ مَا لَا يُحْصَى وَكَفَى مَا
ذَكَرْنَا مِنْهُ لِمَنْ عَقَلَ وَوَقَّقَ لِاسْتِعَالِهِ:»

أجل ان الصيام يكبح جماح النفس البشريّة ويهدبها ذلك ان الأهواء
والشهوات عادة ما تعربد تحاول الانطلاق وتلهث وراء الاشباع بأي نحو كان.
انها تشبه فرساً جموحاً ظامناً يركض كالمجنون هنا وهناك وما العقل الذي
قرّر طاعة الله في الصيام الا أن يقوم بالسيطرة على هذه الفرس الجامحة ويقودها
الى نبع صاف لا الى مستنقع آسن.
ومن خلال هذه الطاعة والعبادة يمكن ترويض الأهواء والشهوات وترشيدها
لما يسعد الانسان في الدنيا ويضمن مستقبله المشرق في الآخرة.

الباب

(٢١)

في آداب الزكاة

«قال الصادق عليه السلام:

على كل جزء من أجزاءك زكاة واجبة لله تعالى، بل على كل شعرة من شعرك، بل على كل لحظة من لحظتك فزكاة العين النظر بالعبير والقبض عن الشهوات وما يضاهاها وزكاة الأذن استماع العلم والحكمة والقرآن وقوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالأعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهها.

وزكاة اللسان النصح للمسلمين والتبقيط للغافلين وكثرة التسبيح وغيره وزكاة اليد البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به، وتحريكها بكتابة العلم ومنافع يتفجع بها المسلمون في طاعة الله، والقبض عن الشرور.

وزكاة الرجل السعى في حقوق الله تعالى من زيارة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصللة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وصلاح دينك.

هذا مما يحتل القلوب فهمة والنفوس استعمالة وما لا يشرف عليه إلا عبادة المقربون المخلصون أكثر. من أن يخصى وهم أربابهم وهو شعارهم دون غيرهم».

«عَلَى كُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِكَ زَكَاةٌ وَاجِبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، بَلْ عَلَى كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرِكَ بَلْ عَلَى كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ أَلْحَاطِكَ»

حقيقة الزكاة:

في ضوء ما ورد من الآيات القرآنية حول الزكاة وما ورد في الروايات تبدو مسألة الزكاة من المسائل الهامة جداً في الشريعة الالهية لقد أفاض الله سبحانه على عباده من النعم ما لا يحصى عددها والذي يعلمه الانسان من النعم الالهية يعد صفرأ بالقياس إلى ما يجلهه من نعم الله عليه.

وقد أمر الله عزوجل عباده أن يجاوره في العطاء والكرم والسخاء ويتسع مفهوم الزكاة ليشمل كل شؤون الحياة وما فيها من النعم الالهية والقرآن يؤكد على مسألة الزكاة على انها حكم نافذ وقد اطلعنا على ما قاله الامام الصادق بهذا الصدد؛ إذ على كل جزء من أجزاء الانسان زكاة واجبة حتى على الشعر والنظر وجميع لحظات العمر.

ولو التزم الانسان المسلم بهذا المفهوم الواسع للزكاة فأية منافع سوف تعود عليه في الدنيا والآخرة.

ان سعادة الانسان في الدنيا والآخرة أن يكتسب صبغة الله عزوجل وهذا يحصل من خلال طاعة الله تبارك وتعالى.

وانّ البخل الذي يناقض مفهوم الزكاة في الصميم يقود الانسان الى الجحيم يوم القيامة.

البخل أخطر الأمراض:

ومن المدهش حقاً ان كلّ النعم تفيض على الانسان بارادة الحق تبارك وتعالى فهو غارق في النعم الالهية من كلّ حذب وصوب؛ ليس هناك من ذرة بخل أو منع ومن هنا فان الواجب الشرعي والأخلاقي والطبيعي أن يقوم الانسان بايصال ومساعدة بني نوعه بجزء من هذه النعم الفائضة عن حاجته؛ الأنا نجد الانسان يقصّر في هذا العمل ويبخل ويمنع وصول نعم الله إلى عباده المحتاجين. أليس عجبياً منطوق الانسان انه يحتاج الى نعم الله ويطلبها منه حتّى اذا حصل على ما يريد بخل على بني نوعه واخوانه في الآدمية ومنعهم واستأثر بما خوله الله من النعم!

ومن هنا ينبغي الحذر كلّ الحذر من البخل في كلّ شؤون الحياة الماديّة والمعنويّة. انّ البخل صفة مذمومة ومرض خطير يقود الانسان الى الفضيحة في الدنيا والعذاب في يوم القيامة.

القرآن ومسألة البخل:

القرآن الكريم كتاب الحكمة والارشاد والهداية وكتاب يعلم الانسان ويهديه الى الطريق الصحيح ويربيه ويرشد حركته، ولهذا نجده يحذر الانسان من البخل وان البخل كائن يمقته الله عزّ وجلّ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلًّا

الْبُسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا^١!

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^٢﴾!

الافراط والتفريط في الانفاق وفي كل شؤون الحياة أمر منهي عنه في الشريعة الالهية ولذا فان الاسلام يحث على الاعتدال والوسطية. ففي مسألة الانفاق يوجه الاسلام الانسان إلى انتهاج حالة التوازن فليس من الصحيح بعثرة الانسان لما يملك حتى يؤول أمره إلى افقار اسرته والتسبب لهم بمشكلات اقتصادية عسيرة.

وكذا ليس من الصواب ان يبخل بما يملك حتى يقتتر في الانفاق على اسرته وابنائهم فاذا هم يعانون من شظف العيش وضيق المعيشة وهو يكتنز الأموال؛ فما هي فائدته اذن وما هي فائدة أمواله!

والبخل ينشأ عن حب غير معقول للحياة الدنيا هذا الحب الذي يصل به إلى مستويات جنونية فتراه يلهث وراء جمع المال لذات المال وقد قيل ان الثراء والمال خادم جيد وسيد سيء.

ان الانسان الذي يقع بين فكي الحرص والبخل يتحول إلى كائن غير سوي وسوف يعيش هذا الانسان ممقوتاً من الناس ومن الله عزوجل لأنه يعيش حالة مخيفة من الحرمان من الكمال الانساني ومن القرب الالهي وقد سقط تماماً في براثن الشيطان وسوف يؤول مصيره الى جهنم وبئس المصير.

١- الاسراء ١٧: ٢٩.

٢- الفرقان ٢٥: ٦٧.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾^١.

سوف تستحيل كنوزهم وأموالهم إلى سلاسل واغلال يعذبون بها وقد كان من الممكن أن يتمتعوا بهذه النعم فاستحالت ببخلهم الى نقم يعذبون بها أشد العذاب.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^٢.

البخل في الروايات:

وتزفر الروايات الاسلاميّة في مضمار البخل بالاشارة إليه على انه من أخطر الصفات والأمراض التي تفتك بالانسان والمجتمع.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^٣.

وقال: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَخِيلٌ وَلَا خَائِنٌ وَلَا سَيِّءُ الْمَلِكَةِ^٤.

١- النساء: ٤: ٣٧.

٢- آل عمران ٣: ١٨٠.

٣- مجموعة ورام: ١٧١/١ بيان ذم البخل.

٤- مجموعة ورام: ١٧١/١، بيان ذم البخل.

وَقَالَ: الْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ.^١

وَقَالَ: الْمُؤَبِّقَاتُ ثَلَاثٌ: شَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوَىٌّ مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابٌ الْمَرءُ بِنَفْسِهِ.^٢

وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ الشَّيْخَ الزَّانِي، وَالْبَخِيلَ الْمَنَّانَ وَالْمُعِيلَ الْمُخْتَالِ.^٣

وقال صلى الله عليه وسلم:

«يَا كُمْ وَالشَّحُّ فَاثِمًا هَلِكٌ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشَّحِّ؛ أَمْرُهُم بِالْكَذِبِ فَكَذَبُوا وَأَمْرُهُم بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا وَأَمْرُهُم بِالْقَطْعِيَّةِ فَقَطَعُوا».

وهكذا يفتك البخل في المجتمعات فتنتشر أمراض اخلاقية واجتماعية فتاكة من قبيل الكذب والظلم وتمزق العلاقات الاجتماعية والانسانية.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «الْبَخْلُ شَجْرَةٌ فِي النَّارِ تَقْوَدُ بِأَغْصَانِهَا كُلَّ بَخِيلٍ إِلَى النَّارِ».^٤

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الشح شجرة في النار فمن كان شحيحاً أخذ بغض من أغصانها حتى يدخله النار.

١- مجموعة ورام: ١٧١/١، بيان ذم البخل؛ مستدرك الوسائل: ١٣/٧، باب وجوب الجود والسخاء.

٢- بحار الأنوار: ٣٠٢/٧٠، باب ١٣٦، حديث ١١.

٣- مجموعة ورام: ١٧٢/١، بيان ذم البخل.

٤- ارشاد القلوب: ١٣٩/١.

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ الْبَخِيلَ فِي حَيَاتِهِ، السَّخِيَّ عِنْدَ وَفَاتِهِ»^١.
 عن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ
 عَبْدٍ أَبَدًا»^٢.

وقال: «خِصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»^٣.

وكان رسول الله طالما يكرّر في دعائه قوله:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ»^٤.

موقف النبي ﷺ من البخل والبخيل:

جاء في الروايات والآثار أنّ رسول الله ﷺ كان يطوف حول بيت الله
 فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم بحرمة هذا البيت اغفر لي!

فسأله النبي ﷺ: عن ذنبه؟

فقال الرجل: أكبر من أن اذكره.

فقال النبي ﷺ: ويملك ذنبك أكبر أم الجبال؟

فقال الرجل: ذنبي أكبر.

فقال النبي ﷺ: ذنبك أكبر أم البحار؟

فقال الرجل: ذنبي أكبر.

فقال النبي ﷺ: ذنبك أكبر أم السماوات!

١- بحار الأنوار: ١٧٣/٧٤، باب ٧.

٢- وسائل الشيعة: ٤٠/٩، باب تحريم البخل والشح بالزكاة و...

٣- الخصال: ٧٥/١، حديث ١١٧؛ بحار الأنوار: ٣٠١/٧٠، باب ١٣٦، حديث ٩.

٤- مجموعة ورام: ١٧٢/١، بيان ذم البخل.

فقال الرجل: ذنبي أكبر.

حينئذ قال الرجل: ربي أكبر من كل شيء.

فقال النبي ﷺ: ويملك ما ذنبك؟

فقال الرجل: اني رجل ذو مال عريض، فكلما جاءني مسكين يطلب مني أراه

شعلة من نار تستقبلني.

فقال النبي ﷺ: ويملك لا تحرقني ببارك والذي بعثني بالحق لو عبدت الله

بين الركن والمقام ألف ألف سنة، وبكيت حتى سقيت الشجر بدموعك وجاءك

الموت وأنت على لؤمك اكبك الله على وجهك في نار جهنم ويملك ألم تسمع قول

الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾^١.

وقال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^٢.

الزكاة والانفاق في القرآن الكريم:

قبل التطرق إلى ذكر بعض الآيات حول الزكاة من الضروري الإشارة إلى

هذه النقطة وهي ان معظم الآيات التي ذكرت الزكاة قرنتها مع أداء الصلاة وفي

هذا دلالة على شد أنظار الناس إلى أن مسألة العبادة لا تنحصر بقضايا البدن

والروح وتحديدًا بالقضايا الفردية؛ ذلك ان الشريعة تشد المسلم الى المجتمع

١. مجموعة روايات البخل تجده في جامع السعادات: ٨٤/٢ - ٨٥ وسائر كتب الحديث.

٢. محمد ٤٧: ٣٨.

٣. الحشر ٥٩: ٩.

وتوثق علاقته مع الامة والمسلمون كما قال رسول الاسلام كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ان النسيج الاجتماعي ليس بمنأى عن المشكلات والعاديات والمصاعب ويمكن حل مساحة عريضة من هذه المشكلات بالانفاق وأداء الزكاة، وانه لا يجوز في الشريعة ان يتفرج المسلم على مشكلات اخوانه دون الاسهام في مد يد العون لهم؛ ويتحمل المسلم اثماً فيما إذا شهد انهيار اسرة مسلمة بسبب الفقر وكان قادراً على الاسهام في انقاذها ومد يد العون إليها.

ولقد شاءت حكمة الباري عز وجل أن يجعل معيشة عباده مستويات متدرجة فهناك أثرياء وفقراء والفقراء يعيشون في كنف الأثرياء، يعملون لحسابهم ويكسبون رزقهم بالعمل.

والنظام الاجتماعي الذي ينهض على هذه المعادلات يتحرك ويعمل ويبدأ التنافس على كسب المزيد من الرفاه؛ وينجم عن ذلك النمو الاقتصادي والنمو يحصل شرط الأي بئخل الثري بثروته ويقوم بكنز ما لديه من المال. وعند ما يستشري مرض البخل والشح يكون هم الأثرياء جمع المال والثروة وحرمان الفقراء وبالتالي تردي أوضاعهم المعيشية باستمرار ويصاب المجتمع بأمراض أخلاقية واجتماعية خطيرة ومزمنة.

الثروة والبخل في القرآن الكريم:

يقول القرآن الكريم في سورة التكاثر:

﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْبَقِيْنَ *

لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ
عَنِ النَّعِيمِ ﴿١﴾

عند ما يشاهد الانسان الفقير الثروات العريضة في أيدي ناس بخلاء شحيحين فان الألم يعتصر قلبه وسوف يبحث عن متنفس له لكي يتخلص من الألم. واذ يتعذر عليه الخلاص فان طاقة سلبية تظل ترسب باستمرار في أعماقه وعندما تتراكم هذه الطاقة التي هي المزيد من الكراهية والحقد ويستحيل صدر الانسان الفقير الى ما يشبه البركان من الغضب الذي قد يتفجّر في ظروف معينة ويدمر قصور الأثرياء على رؤوسهم.

وهذه الأمراض المتولدة في بعض المجتمعات جراء الفقر والطبقية الحادة والتفاوت الفاحش بين فقر الفقراء وثراء الأغنياء انطلقت صحیحات هادرة تنادي بالغاء الملكية ما أدى إلى تمزق النسيج الاجتماعي وفقدان المجتمع توازنه وأدت أمواج الغضب بسبب الفقر الى الالحد وانكار الأديان وتدهورت الأوضاع من سيء الى أسوأ ما أدى إلى ازهاق ملايين الأرواح والى نرف المزيد من الدماء.

وكلّ هذه الكوارث التي تحلّ بالبشر إنما مردّها الى حرمان الفقراء وعدم أداء حقوق المساكين ولهاث الطامعين والبخلاء وراء جمع المزيد من المال.

وقد انتهج الاسلام منذ السنوات الاولى لنزول القرآن الكريم طريقاً متوازناً في معالجة هذا الموضوع الحساس في حياة الناس فدعا بداية الى عدم تضييع حقوق المساكين والفقراء.

وقد ثبت الدين الاسلامي مسألة الملكية الفردية ولكن وضع لها من القيود

والآليات ما يحول دون ظهور رأسماليات كبيرة، فثمة ضرائب عديدة على الأغنياء وهناك اخلاقيات تدعو الى الانفاق باستمرار لتتحول هذه العملية الى ثقافة في صميم المجتمع المسلم؛ إلى جانب كل ذلك هناك مسألة تقسيم الميراث الذي يعمل بين فترة وأخرى على تفتيت الثروات.

وقد شن القرآن الكريم حرباً لأهواده فيها على البخلاء والأشحاء وهاجم صفة الحرص والطمع بشدة.

فالمال بشكل عام لله عز وجل وهو أمانة عند الانسان يجب عليه أداء جميع ما يترتب عليه من الحقوق الاجتماعية.

جاء في القرآن الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^١.

وهكذا يحذر القرآن من الربا ويعلن حرباً شديدة على الربا من لدن الله ورسوله، وما نراه اليوم في المجتمعات الرأسمالية التي تعاني من الطبقة وما تفعله الطبقة من تأثيرات سلبية في تفكيك النسيج الاجتماعي.

وإلى جانب آخر نلاحظ ان القرآن الكريم يخاطب الضمير والوجدان الانساني ويشير كوامن العاطفة في طريق التعاطف مع الفقراء والمساكين ووعده المحسنين بالثواب الجزيل والأجر الوفير.

ولو أن الأثرياء والأغنياء قاموا بما عليهم من واجبات وأدوا حقوق الفقراء والبؤساء فان كثيراً من المشكلات الاجتماعية سوف تجد طريقها الى الحل أما اذا تقاعسوا ومنعهم الحرص والبخل ودفعهم الطمع الى منع الفقراء حقوقهم فان عذاب الله يوم القيامة بالمرصاد وغضب المظلومين يترصدهم في الحياة ويتهدد وجودهم في أية لحظة.

فلسفة الزكاة في القرآن الكريم:

بين القرآن الكريم فلسفة الزكاة الاجتماعية وسائر فروعها من صدقات وكفارات وزكاة فطر كل ذلك من أجل أن لا يكون المال دولة بين الأغنياء، يعني من أجل لا ينحصر امتلاك الثروة وتركزها بين عدد من افراد المجتمع مقابل حرمان شرائح واسعة تعيش على النزر القليل أو على حافة الفقر.

وعادة ما يؤدي هذا الظلم الاقتصادي والاجتماعي الى ترسب طاقة سلبية في أعماق قطاعات واسعة من المجتمع تتهدد الأمن الاجتماعي وقد تنفجر العقد النفسية باتجاه الطبقة المرفهة الثرية كالبر كان لتحيل قصورهم الى خرائب.

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأُولِي السَّبِيلِ كَيْ لَا
يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^١.

ان الاحسان إلى الفقراء والشعور بالتعاطف معهم توجه انساني نبيل يدل على

صدق الايمان والتقوى.

ومن أجل ذلك يمتدح الاسلام الانسان الذي يتصدق وينفق من أمواله على الفقراء سرّاً وعلانية.

ونلاحظ ان القرآن الكريم يضع مسألة الايمان بالله والاحسان إلى الوالدين في سياق العطف على اليتامى والمساكين.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغْنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُوَّابِينَ غَفُورًا * وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا!﴾

وقد تهدد القرآن الكريم البخلاء والذين لا يؤدّون حقوق المساكين والمحتاجين بالعذاب الأليم لقسوة قلوبهم وانعدام العاطفة في نفوسهم. فهم يحرمون الفقراء والمساكين من جانب ويبعثون أموالهم أحياناً على ملذاتهم وشؤونهم الخاصة من جانب آخر؛ انهم حقاً اخوان الشياطين.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^٢.

١- الاسراء: ١٧ - ٢٣ - ٢٦.

٢- الاسراء: ١٧ - ٢٧.

وينظر القرآن الكريم ان عملية اطعام الجياع كما لو انها عبور موانع صعبة ومنعطف خطير.

﴿فَلَا افْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا اَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقِيبَةً *
 اَوْ اِطْعَامًا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * اَوْ مِسْكِينًا
 ذَا مَقْرَبَةٍ﴾^١.

هلموا لنقرأ القرآن ونتدبر في آياته التي تفجر في القلوب نبع الرحمة والمحبة والانسانية.

ان التدبر في آيات القرآن يضيء نور المعرفة ويفجر نبع الحب في النفوس فتنبت شجرة العشق الالهي في الروح وتوتني ثمارها الطيبة وتصبح الحياة الانسانية أكثر جمالاً بالمحبة والاخوة والتعاطف والتراحم بين أفراد البشر. انظر كيف ينتقد القرآن في سورة الماعون اولئك الذين قست قلوبهم ولا يكثرثون الى جوع الجياع وحرمان البؤساء؛ هؤلاء الذين يمنعون الماعون ولا يتحركون لاطعام المسكين.

﴿أَ رَأَيْتَ الَّذِي يُكذِّبُ بِالْدينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ
 * وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ *
 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاوَنَ *
 وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^٢.

ولاحظوا كيف تتأجج نيران التهديد القرآني محذرة الذين يكنزون الذهب والفضة.

١- البلد ٩٠: ١١ - ١٦.

٢- الماعون ١٠٧: ١ - ٧.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ
لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^١.

هؤلاء القساء القلوب الذين يرون دموع اليتامى وبؤسهم.

﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ
الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ
حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ
وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ
الْأَنسَانُ وَأَنَا لَهُ الذَّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي
* فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾^٢.

أجل سوف يندمون يوم لا ينفعهم الندم.

وهناك في عالم الآخرة يطل سكان الفردوس على وادي الجحيم يتساءلون

لماذا هؤلاء في سقر.

﴿فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ
* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمِسْكِينِ﴾^٣.

١- التوبة ٩: ٣٤ - ٣٥.

٢- الفجر ٨٩: ١٧ - ٢٥.

٣- المدثر ٧٤: ٤٠ - ٤٤.

وتتحرك القيم الإسلامية باتجاه اثاره العواطف الانسانية لدى الأغنياء في طريق التنازل عن جزء من ثروتهم لصالح الفقراء والمساكين؛ وقد عدت الشريعة هذا العمل أمراً ضرورياً من الناحية الاجتماعية والدينية من أجل الوصول بالمجتمع الى حالة من التوازن المطلوب وثمة سلسلة من الأعمال التي تصب في النهاية في صالح الطبقة الفقيرة في المجتمع.

فهناك الكفارات والصدقات والزكوات التي تأخذ طريقها إلى انعاش الدخل الفري للفقراء واذا ما تصدّت ادارة عادلة إلى تنظيم هذه الأعمال فان المجتمع يصل إلى حالة من السلام يتعايش فيه الجميع بعيداً عن الكراهية والاحقاد الدفينة. اذا ما خرجنا من بئر الطبيعة التي هي عالمنا أنا وأنت.

فان العالم لنا أنا وأنت.

السماء تمتد ما بيني وبينك وقرص الرغيف في الخوان لي أنا وأنت.

وهذا الفلك الدوار ليلاً ونهاراً يحين دورنا الذي هو تنور المحبة من خبزنا أنا وأنت.

ليس ثمة شيء سوى السرو والورد والشقائق في هذا البستان.

وسوى العشب من ربيعك وربيعي أو من خريفنا أنا وأنت.

يا لهذا من اسم أزلي ومن عنوان أبدي الذي يمتد من الأزل الى الأبد هو اسمنا

وعنواننا أنا وأنت.

يا شهریار! ماذا تفعل ان هجران البيان لبيان.

والذي كان عياناً لا يحتاج الى بياني أنا ولا أنت!

هل يفكر الأغنياء والأثرياء وهل يتصورون انه بانفاق جزء من أموالهم من

خلال الزكاة انهم يسهمون في بناء المصانع والمستشفيات ويسهمون في انقاذ

بعض الناس من براثن الأمراض؟

ان دفع الزكاة له دور كبير في انتشال الكثير من الاسر الفقيرة من هاوية الشقاء، لأن الأسرة الفقيرة عند ما تتعذّر عليها لقمة العيش الكريم تدفع بابنائها وفي سنوات مبكرة من حياتهم إلى ترك مقاعد الدراسة والانخراط في عمالة الأطفال، وفي هذا ما يشكل خطراً على وضعهم النفسي والروحي والثقافي وما أكثر الذين تشرّدوا بسبب الحرمان.

وما أجمل المجتمع الذي يهب فيه الأغنياء لمساعدة اخوانهم الفقراء ليعيشوا معاً في وئام وصفاء.

ان الزكاة ودفع حقوق الفقراء تفجر ينابيع الرقة والانسانية في قلوب الأغنياء وفي نفس الوقت تطهّر قلوب الفقراء من مشاعر الكراهية والحقد التي يكنها الانسان الفقير ازاء الأثرياء ومن أجل هذا فان المجتمع الذي تراعى فيه هذه العبادة هو مجتمع مستقر من الناحية النفسية^١.

ان القرآن الكريم يؤكّد في الكثير من سوره المباركة مثل البقرة، النساء، المائدة، الاعراف، التوبة، الكهف، مريم، الانبياء، الحج، المؤمنون، النور، النحل، الروم، لقمان، الاحزاب، فصلت، المجادلة، المزمل، البيّنة على وجوب دفع الزكاة وعلى وما يأتي من وراء دفعها من المنافع الدنيوية والأخروية.

تعالوا لتأمل في ما قاله الامام الصادق عليه السلام في موضوع الزكاة مرّة أخرى:
قال الصادق عليه السلام: «على كلّ جزء من أجزاءك زكاة واجبة لله تعالى، بل على كلّ شعرة من شعرك وعلى كلّ لحظة من أحوالك».

الروايات ومسألة الزكاة:

يبلغ عدد الروايات في مسألة الزكاة حدوداً واسعة دفعت المحدثين من الشيعة إلى تخصيص كتاب كبير، يحمل عنوان «كتاب الزكاة» ولا يتسع هذا الكتاب إلا إلى نقل نماذج قليلة جداً مما ورد في الزكاة من روايات.

يقول الامام الصادق عليه السلام في فلسفة وجوب الزكاة:

أما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولا ستغنى بما فرض الله عزّوجلّ له، وانّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء وحقيق على الله عزّوجلّ أن يمنع رحمته من منع حق الله في ماله.

واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلا بترك الزكاة وما صيد صيد في برّ ولا بحر إلا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وان أحبّ الناس الى الله عزّوجلّ أسخاهم كفاً وأسخى الناس من أدّى زكاة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله عزّوجلّ لهم في ماله^١.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله:

«داؤوا مرّضاكم بالصدقة وحصّوا أموالكم بالزكاة»^٢.

قال علي عليه السلام: «سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصّوا أموالكم بالدعاء وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء»^٣.

١- من لا يحضره الفقيه: ٧/٢، باب علة وجوب الزكاة، حديث ١٥٧٩؛ وسائل الشيعة: ١٢/٩، باب ١، حديث ١١٣٩٢.

٢- قرب الاسناد: ٥٥؛ وسائل الشيعة: ١٤/٩، باب ١، حديث ١١٤٠٠.

٣- نهج البلاغة: حكمت ١٤٦.

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَرَنَ الزَّكَاةَ بِالصَّلَاةِ فَقَالَ: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَمَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَلَمْ يُؤْتَ الزَّكَاةَ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُقِمِ الصَّلَاةَ»^١.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أبا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

«مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: رَبِّ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ»^٢.

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«إِذَا كَذَبَتِ الْوَلَاةُ حُبْسَ الْمَطْرُ وَإِذَا جَارَ السُّلْطَانُ هَانَتِ الدَّوْلَةُ وَإِذَا حُبِسَتِ الزَّكَاةُ مَاتَتِ الْمَوَاشِي»^٣.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«مَنْ مَنَعَ قِيرَاطًا مِنَ الزَّكَاةِ فَلْيُمِتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»^٤.

أجل ان مسألة الزكاة تبلغ من الأهمية بحيث يقول الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ان على كل جزء من أجزاءك زكاة واجبة لله تعالى، بل على كل شعرة من شعرك بل على كل لحظة من أحوالك.

الزكاة بالشعر:

رسالة الاسلام بقيادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقاوم ظلام الشرك تواجه الوثنية

١- الكافي: ٥٠٦/٣، باب منع الزكاة، حديث ٢٣؛ وسائل الشيعة: ٢٢/٩، باب ٣، حديث ١١٤٢١.

٢- الكافي: ٥٠٤/٢، باب منع الزكاة، حديث ١١، وسائل الشيعة: ٢٦/٩، باب ٣، حديث ١١٤٥٣.

٣- وسائل الشيعة: ٣١/٩، باب ٣، حديث ١١٤٤٨.

٤- الكافي: ٥٠٥/٣، باب منع الزكاة، حديث ١٤؛ وسائل الشيعة: ٣٣/٩، باب ٤، حديث ١١٤٥٣.

والجهل والتعصب الاعداء يتآمرون لاطفاء نور الله، والمسلمين يتحدون العدو بصبرهم واستقامتهم هذه الاستقامة والصبر التي مكنت شجرة الاسلام أن تشتد وتزدهر وهكذا ارتفع صوت التوحيد وخدمت ضوضاء الوثنيين.

في ذلك الزمن كانت المواجهة العسكرية على وشك أن تحدث؛ العدو يبيت النوايا لغزو المدينة وشن الغارة؛ النبي ﷺ يكلف الصحابي أبي قدامة بتعبئة قوة مسلحة وجمع المؤن اللازمة.

يقول الصحابي: كنت أمضي في طريقي للقيام بما أوكل الي رسول الله ﷺ اذا بامرأة تناديني مرّة وأخرى ثم مرّة ثالثة توقفت، قالت المرأة وهي تسلمني شيئاً ملفوفاً بمنديل: يا أبا قدامة أنا لا أملك شيئاً أنفقه في سبيل الله، نعم لا شيء فعمدت إلى شعري فقصصته تستطيع أن تصنع منه لجاماً أو ركاباً لقد ضفرته جيداً فخذ معك لعله ينفعكم.

يقول أبو قدامة: فذهبنا الى حرب العدو واشتعلت المعركة وفيما كنا نحمل عليهم وهم يحملون اذا أنا بصبي في الحادية عشرة من عمره يقترب مني ويقول: ان نبالي قد نفدت فاقرضني ثلاثة أردّها إليك إن عدنا إلى المدينة.

قلت له: ما الذي جاء بك للحرب؟

قال: حبّ الله ورسوله.

يقول أبو قدامة: ومضى يقاتل، فأصابه سهم في جبينه فاسرعت اليه فقال لي هو يجود بنفسه: ابلغ أمي السلام.

قلت: ومن هي أمك يا فتى؟

قال: التي أعطتك شعرها للجهاد.

فلما عدت إلى المدينة انطلقت إلى منزل المرأة فطرقت الباب خرجت فتاة

صغيرة قلت لها: يا صبيّة أين أمك؟

فأسرعت البنت تخبر أمّها، فلمّا جاءت إذا هي مستبشرة تقول:

أجئت تبشرنني بشهادة ولدي؟

قلت: نعم ذهب واللّه شهيداً.

قالت: هنيئاً له الشهادة.

قلت: فأين أبوه؟

قالت: رزقه الله الشهادة مع رسول الله، وما مرّت ليلة إلا وبكاه وسأل الله أن

يلحقه بأبيه وأن يرزقه الشهادة كما رزقها أباه.

فبكيّت وقلت: رحمكم الله من أهل بيت آمنتم باللّه ورسوله وأقمتم الصلاة

وآتيتم الزكاة.

«فَرَكَاةُ الْعَيْنِ النَّظْرُ بِالْعَبْرِ وَالْغَضُّ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَمَا يُضَاهِيهَا»

زكاة العين:

يقول الامام الصادق ان لكل جزء من أجزاء الانسان زكاة وان زكاة العين أن تنظر إلى ما حولك نظرة اعتبار وان تغض النظر عن الشهوات.
وفي مضمار زكاة العين سوف نتطرق إلى هذا الموضوع بالتفصيل في الحديث (٣٤) من مصباح الشريعة ومسألة غضّ البصر عن الشهوات وعوامل الشهوة في الحديث (٤٢) من مصباح الشريعة.

«وَزَكَاةُ الْأُذُنِ اسْتِمَاعُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْقُرْآنِ وَفَوَائِدِ الدِّينِ مِنْ
الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَمَا فِيهِ نَجَاتُكَ بِالْأَعْرَاضِ عَمَّا هُوَ ضِدُّهُ مِنْ
الْكَذِبِ وَالغَيْبَةِ وَأَشْبَاهُهَا»

زكاة الاذن:

يقول الامام الصادق عليه السلام: ان زكاة الاذن تكون في خمسة محاور حياتية:

- ١- تلقي العلوم من خلال الاصغاء.
- ٢- تلقي الحكمة.
- ٣- الانصات للقرآن للفهم والعمل.
- ٤- الاصغاء للمواعظ والنصائح.
- ٥- الاعراض عن الاستماع للكذب والباطل واللغو والغيبة والافتراء.

زكاة الاذن والعلم:

لطلب العلم منافع وفوائد تعود على أمة الاسلام بالخير وطلب العلم في الاسلام واجب كفائي.

ان الشريعة الاسلامية ومن أجل استقرار المجتمع الاسلامية ورفاهيته يحث المسلمين على طلب العلم وتحصيله خاصه علم الطب، الهندسة، الفلاحة والزراعة،

البيطرة والتجارة وهو ينظر إلى ان عملية طلب العلم ليست محدودة زمنياً فقد جاء في الأثر: اطلب العلم من المهد الى اللحد، كما لا توجد حدود مكانية وقد قال رسول الله ﷺ اطلبوا العلم ولو بالصين.

ومن علائم أهل التقوى انهم قصرُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى اسْتِمَاعِ الْعِلْمِ الَّذِي يَفْضِي تَعَلُّمَهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

«وَقَفُّوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ»^١.

الاسلام والتغيير:

عند ما هبط رسول الله ﷺ من سفوح جبل حراء ودخل مكة رسولاً من الله إلى العالمين، لم يكن سكان الجزيرة العربية يومئذ يعرفون القراءة والكتابة، كانت الامية ضاربة اطنابها في ربوع شبه الجزيرة وكان الجهل سائداً؛ وما أن شع نور الرسالة الاسلامية حتى تفتقت الأذهان وتفتحت أبواب العلوم وحصل تغيير مدهش في تلك الأرض القاحلة ثقافياً.

وكانت أولى كلمات القرآن ونزول الوحي وبدء الدعوة الى رسالة السماء الأخيرة هي اقرأ.

وهكذا ما ان مضت سنوات حتى تفجرت ينابيع العلم والمعرفة وانطلقت الحضارة الاسلامية في سماء التاريخ البشري تشع على العالم.

واعترف علماء الغرب ان اوربا كانت منذ القرن الثامن عشر وما بعده تنتهل من ينابيع العلم في الحضارة الاسلامية وان على الغرب أن يكون ممتناً للمسلمين على ذلك.

إن دعائم الكثير من العلوم المعنوية والمادية ثم أرسائها من قبل المسلمين

ببركة البعثة النبوية ونزول القرآن الكريم.

ولو لا ما حدث من انحراف بعد وفاة الرسول ﷺ ولو استمر المسلمون على وتيرة تقدمهم ولو لا غرقهم في حمى الشهوات والغرائز بعد أن انفتحت عليهم كنوز الدنيا ولو لا وجود الكثير من الحكام الخونة لما كانت أوضاع المسلمين كما هي عليه اليوم.

إذ إنه من المؤسف وبعد قرنين من النشاط والفعالية العلمية المدهشة وأثر الفتوحات الواسعة وتدفق الثروات العظيمة وافتقاد الروح المعنوية والحصانة الأخلاقية والانحدار نحو الحالة الغرائزية فقد أصاب الشلل والتراجع الحركة العلمية والواقع الأخلاقي حيث تركزت قدرات المسلمين على الحروب والفتوحات التي لم تكن تجني من ورائها سوى إثارة الأطماع والتقاتل الداخلي حول النفوذ والثروة، وركون الجميع إلى حياة الدعة والعيش الباذخ.

وسرعان أصاب الانحطاط المجتمع الإسلامي وأصبحت قدرات المسلمين نهباً للأجنبي من مغول وتتار ومن مستعمرين قدموا من أوربا.

ولكي نتصور حجم التقدم الفكري والثقافي واتساع الحركة العلمية يمكن مراجعة كتب الفهرست، الذريعة، أعيان الشيعة وتاريخ الحضارة الإسلامية، ولأدركنا ما كانت عليه مكتبات العالم الإسلامي الكثيرة وما اشتملت عليه تلك المكتبات من كنوز فكرية وعلمية ومؤلفات ضخمة!

مكتبات العالم الإسلامي:

وفي ذلك الزمن الزاهر كانت جميع الحواضر الإسلامية تزخر بالمكتبات

الكبرى فـ«بيت الحكمة» في بغداد كان يشتمل على أربعة ملايين كتاب. وإلى جانب المكتبات المستقلة كانت المساجد والجوامع وحتى المستشفيات والدوائر الحكومية والمنازل تضم من بين ما تضم المكتبات وكانت أبوابها مشرعة تستقبل طلبة العلم وعشاق المعرفة، وكان بعض الدارسين لحقل من حقول المعرفة يقتني مكتبة تشتمل على بعض المصادر والمؤلفات ذات الصلة بدراسته وتعد إيران في طليعة الأقاليم من حيث الحركة العلمية وكثرة العلماء وقد نبغ علماء في هذا الأقليم يمكن القول ان لهم حصة الأسد في التأليف والتصنيف.

يقول أحد المؤرخين لتاريخ الفكر العالمي والاسلامي تضم خراسان العدد الأكبر من بين أقاليم الاسلام وحواضره من المكتبات والمدارس بل كانت خراسان المنطلق على هذا الصعيد ولا تتوفر معلومات تفصيلية في هذا الموضوع باستثناء ما ذكره ياقوت الحموي من انه في سنة ٦١٦ هـ كانت في مرو شاه جهان وهي من المدن الهامة في خراسان عشر مكتبات عامة ولا يوجد لهذا الرقم نظير في جميع حواضر العالم الاسلامي آنذاك.

وكانت تشتمل على أسفار جليلة واحدة من هذه المكتبات كانت تشتمل على اثني عشرة آلاف كتاب وأشار ياقوت الحموي انه استقى معلوماته عن اقليم خراسان من مكتباتها.

وفي بلاد ما وراء النهر ثمة مكتبات عامرة من جملتها مكتبة بخارى التي تخرج منها ابن سينا ومؤسسها نوح بن منصور.

وقد ذكر الشيخ الرئيس انه رأى كتباً لم يسمع بها أحد ولم ير لها نظيراً في مكان آخر.

والخواجه نصير الدين الطوسي في مراغة يرأس مكتبة تضم أربعمئة ألف كتاب.

وقد أشرنا إلى ان الكتب لم يقتصر وجودها على المكتبات بل كانت المساجد والمستشفيات هي الاخرى تضم مكتبات كمرفق أساسي لا تخلو منه. وكان ثمة أشخاص حرفيون يديرونها ويشرفون على فهرستها وكان الباحثون وطلاب المعرفة يراجعونهم حول المصادر المتوفرة في حقل من حقول العلم. وكان للعلماء والوزراء مكتبات ضخمة فمن المكتبات المشهورة مكتبة صاحب بن عباد حيث احتاج نقلها إلى أربعمئة بعير وكان الطبيب افرام المصري ترك بعد وفاته عشرين ألف كتاب وتوفي الموفق بن مطران مخلفاً وراءه عشرة آلاف كتاب.

وكان عنده ثلاثة كتّاب يستنسخون له الكتب. وتشتمل مكتبة أمين الدولة على عشرين ألف كتاب وكانت مكتبة الفتح بن خاقان تشتمل على مثل ذلك وكذلك ابن القفطي وغيرهم. ومن أجل ان نقدّر تلك العهود والزهرة نشير إلى بعض المكتبات وما تشتمل عليه من الكتب:

بيت الحكمة في بغداد ٤٠٠٠، ٠٠٠

مكتبة القاهرة ١٠٠٠، ٠٠٠

مكتبة طرابلس الشام ٣٠٠٠، ٠٠٠

الحكمة في قرطبة ٤٠٠، ٠٠٠

مراغة ٤٠٠، ٠٠٠

دارالحكمة في القاهرة ١٠٠، ٠٠٠

سابور في بغداد ١٠، ٠٠٠

وأفرد غوستاف لوبون فصلاً هاماً من كتابه تطرق فيه الى ذكر الجهود المضنية

التي بذلها المسلمون (وانطلاقاً من أحاديث النبي ﷺ التي تشجعهم على طلب العلم والمعرفة) في تطوير الحركة العلمية وما حققه المسلمون في تلك العصور من تقدم باهر.

وقد عمل المسلمون بجهد على طريق ازدهار الحركة العلمية في حقول اللغة واللسانيات والفلسفة والأدب، التاريخ، الرجال الرياضيات، الهيئة والهندسة، الجغرافيا، الفيزياء والكيمياء، وصناعة الورق وأنواع الأسلحة وعلم الطب، الصناعة الرسم والفنون ذات الصلة بالفلزات والأحجار الكريمة، والصناعات ذات الصلة بالخشب والعاج وصناعة الاختام والزجاج والأقمشة والعلوم ذات العلاقة بالقرآن الكريم وكانت اوروبا تقتبس بل تنهل من العلوم التي ازدهرت على أيدي المسلمين.

وخلاصة القول وكما قال الامام الصادق عليه السلام ان زكاة الاذن الاستماع الى العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من المواعظ والنصائح وصيانتها عن الاصفاء للأكاذيب والأباطيل وتعلم العلوم التي تعمّر الدنيا.

زكاة الاذن وتعلّم الحكمة:

انّ تعلّم الحكمة جزء من أجزاء زكاة الاذن، والحكمة تعني الحقائق العليا والرائعة لتربية الانسان وترشيد حركته التكاملية وبلوغ الانسان إلى قمة الكمال من خلال حقائق الوحي وتشربها ومن خلال تصفية الباطن والرياضات الروحية وتزكية النفس والقلب حين تتفجّر ينابيع المعرفة.

«مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»!

ووفقاً لنصوص القرآن الكريم ان الحكمة هي الخير الكثير وان من أوتي الحكمة فقد حصل على السعادة في دار الدنيا وفي الآخرة.

ومن الضروري تلقي الحكمة من الحكماء وفي طليعتهم الأنبياء ثم الأنمة والأولياء ثم العرفاء الحقيقيين والحكماء وعلى رأسهم لقمان الحكيم.

ان على الانسان ان يتعلم الحكمة ويتشربها بالاستماع الى الأمثال والحكم والنصائح والمواعظ ومن بخل بالاستماع واعرض عن ذلك فقد ظلم نفسه وخانها وارتكب اثماً عظيماً واغلقت دونه أبواب السعادة في الدارين وحُرم من الفيوضات الالهية الرفيعة.

وأجد من اللازم الاشارة إلى قبس من الحكمة المنبثقة من القرآن الكريم ومن تصفية القلب والروح وقد ينال من يقرأ هذه السطور ويدرك معانيها نصيب من الفيض الالهي وينفتح عليه فيض من وراء الغيب.

الحكمة في القرآن:

أشار القرآن الكريم في سورة لقمان الآيات المباركة (١٢ - ١٩) إلى مسألة اعطاء الحكمة للقمان ومعنى الحكمة على هذا النحو:

إن الله أعطى لقمان الحكمة وأمره أن يشكر وأنه من يشكر فلصالحه يفعل ومن لا يشكر فعليه يعود الضرر.

والحكمة التي وهبها الله للقمان مجموعة من المواعظ والنصائح والأمثال والحكم وقد علم لقمان ابنه ووعظه ونصحه:

يا بني لا تشرك بالله الها آخر أن الشرك أكثر الأمور ظلماً وهو ظلم كبير وان الله سبحانه وصّى الانسان بالديه ومعاملتهما معاملة حسنة خاصة الأم التي

تتحمل معاناة الحمل والوضع والارضاع.

وان الشكر لله أولاً ثم للوالدين وان الوالدين تجب طاعتهما أما إذا طلبا منه أن يشرك بالله فلا تجب الطاعة لهما للكفر وعليه في نفس الوقت أن يعاملهما بالحسنى.

يا بني ان الله يعلم بكل ما في السماوات والأرض حتى الذرة وحتى حبة الخردل المدفونة في الصخور أو في السماوات أو الأرض فان الله سبحانه قادر على أن يأتي بها ان الله بكل شيء عليم.

بني وعليك بالصلاة وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وعليك بالصبر وتحمل جهل الجاهل وأذاهم.

يا بني لا تصغر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور.

يا بني لا ترفع صوتك وتحدث بهدوء إن أنكر الأصوات لصوت الحمير.

الحكمة في الروايات:

الحكمة تجري على لسان الأنبياء والأوصياء والأولياء كما تتدفق بالماء العذب ينباع وهذه طائفة من الحكم التي تحفل بالمعاني والحقائق.

قَالَ عَلِيُّ عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ وَإِنْ نَسِيتُمْ ذَكَرَكُمْ»!

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِنْ شَمَرٍ تَجْرِيداً وَجَدَّ تَشْمِيراً وَأَكْمَشَ فِي مُهَلٍ
وَبَادَرَ عَنِ وَجَلٍ وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِلِ وَعَاقِبَةَ الْمَصْدَرِ وَمَعْبَةَ
الْمَرْجَعِ»^١.

وقال الامام علي عليه السلام أيضاً:

«بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ وَبِالنَّصْفَةِ يَكْتُرُ الْمُوَاصِلُونَ
وَبِالْأَفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَفْدَارُ وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ
يَجِبُ السُّودُّ وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يُقَهَّرُ الْمُنَادَى وَبِالْحِلْمِ عَنِ
السَّفِيهِ تَكْتُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ»^٢.

وجاء في الروايات ان أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بمجلس من قريش فاذا هو يقوم
بيض ثيابهم صافية ألوانهم كثير ضحكهم يشيرون بأصابعهم الى من يمرّ بهم ثم
مرّ بمجلس للأوس والخزرج فاذا أقوام بليت منهم الأبدان ودقت منهم الرقاب
واصفرت منهم الألوان وقد تواضعوا بالكلام فتنعجب علي عليه السلام من ذلك ودخل
على رسول الله ﷺ فقال:

- بأبي أنت وأمي يا رسول الله! إني مررت بمجلس لآل فلان (ثم وصفهم)
ومررت بمجلس للأوس والخزرج (فوصفهم ثم قال:) وجميع مؤمنون فأخبرني
يا رسول الله بصفة المؤمن.

فنكس رسول الله ﷺ ثم رفع رأسه فقال:

١- نهج البلاغة: حكمت ٢١٠؛ بحار الأنوار: ٢٨٤/٦٧، باب ٥٦، حديث ٦.

٢- نهج البلاغة: حكمت ٢٢٤؛ بحار الأنوار: ٤١٠/٦٦، باب ٣٨، حديث ١٢٦.

- عشرون خصلة من المؤمن فان لم يكن فيه لم يكمل ايمانه إن من أخلاق

المؤمنين يا علي:

- ١- الحاضرون الصلاة.
- ٢- والمسارعون إلى الزكاة.
- ٣- المطعمون المساكين.
- ٤- الماسحون رأس اليتيم.
- ٥- المطهرون أطمارهم.
- ٦- المتزرون على أوساطهم.
- ٧- الذين ان حدثوا لم يكذبوا.
- ٨- واذا وعدوا لم يخلفوا.
- ٩- واذا ائتمنوا لم يخونوا.
- ١٠- واذا تكلموا صدقوا.
- ١١- رهبان بالليل.
- ١٢- أسد بالنهار.
- ١٣- صائمون النهار.
- ١٤- قائمون الليل.
- ١٥- لا يؤذون جاراً.
- ١٦- ولا يتأذى بهم جار.
- ١٧- الذين مشيهم على الأرض هون.
- ١٨- وخطاهم الى بيوت الأراامل.
- ١٩- وعلى أثر الجنائز.
- ٢٠- جعلنا الله وإياكم من المتقين^١.

١- بحار الأنوار: ٢٧٦/٦٤، حديث ٤.

عَنِ السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«لِلْعَبْدِ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ: عَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهِمَا أَمْرَ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَعَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهِمَا أَمْرَ آخِرَتِهِ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَّ لَهُ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ فَأَبْصَرَ بِهِمَا الْغَيْبَ وَأَمْرَ آخِرَتِهِ»^١.

من كلمات مولينا السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ فِي كَنَفِ اللَّهِ وَأَظْلَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ وَأَمَّنَهُ مِنْ فِرَاحِ الْيَوْمِ الْأَكْبَرِ: مَنْ أَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ سَائِلُهُمْ لِنَفْسِهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُقَدِّمْ يَدًا وَلَا رَجُلًا حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ قَدَمَهَا أَوْ فِي مَعْصِيَتِهِ وَرَجُلٌ لَمْ يَعْْبُ أَخَاهُ بِغَيْبٍ حَتَّى يَتْرَكَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ»^٢.

والخلاصة ان هذه الحكم ان الله عزوجل خلق الانسان وأودع في فطرته الكرامة وتلقي العلم والصدق والفضيلة والهداية وقابلية تلقي الحقائق الالهية والفيوضات الربانية ولكي يحقق هذه الأمور في وجوده يتوجب عليه المبادرة إلى تصفية الباطن من لوث الذنوب، ذلك ان هذه الحقائق الالهية كأنوار تشرق على مرايا القلوب الصافية فتضيء الباطن بالنور.

يقول الشاعر العارف الخواجه كرماني:

لا تغتر بأيامك المعدودة في هذه الحياة.

العمر يمضي ودولاب الدهر يفنى.

١- الخصال: ١/٢٤٠، حديث ٩٠؛ بحار الأنوار: ٥٣/٦٧، باب ٤٤، حديث ١٦.

٢- تحف العقول: ٢٨٢؛ بحار الأنوار: ١٤٠/٧٥، باب ٢١، حديث ٣.

لغة السوسن الحرّة تنطلق في المدى.
 انها لا تغرد مثل البلبل الذي ليس له فؤاد.
 الذين يجاورون عالم الملكوت.
 سينادونك بالعشي والابكار.
 انك ما لم تتخطى مضيق وجودك الجسماني.
 كيف تتأتى لك أن تكون مع الصفوة من الأبواب.
 لا تنخدع بالدنيا انها كالأفعى.
 لا تقع تحت تأثير سحرها السحّار.
 كن كالسرو في شموخك وتحرك.
 ولا تكن كالترجس يخطف لبك الذهب والدينار.
 لا تحتقر الناس بنظراتك سوف تستضعفهم ومن ثم تصبح من أكلة لحوم البشر.
 من يريد المزيد من التفصيل في حقل الحكم في الروايات يمكنه مراجعة كتاب
 «الشافعي» و «المحبّة البيضاء» والجزء الثاني من كتاب «الكافي» وباب المعاشرة في
 موسوعة «بحار الأنوار» والمجلد الحادي عشر من كتاب «وسائل الشيعة» وكذلك
 كتاب «مكارم الأخلاق» للطبرسي وكتاب «الحكمة الالهية» لـ«القمشائي».
 اللهمّ وبقنا لادراك الحكمة والتحلّي بالحكمة العمليّة.
 اللهمّ افض علينا من بركاتك انك ان حرمتنا من ذلك شقينا في الدنيا والآخرة.
 الحكمة في كلام النبي ﷺ:

جاء في الأحاديث القدسيّة عن النبي ﷺ يقول الله عزّ وجلّ:

«ما مِنْ يَوْمٍ بَمَرٍّ إِلَّا وَالْبَارِي عَزَّوَجَلَّ بُنَادَى: عَبْدِي مَا
 أَنْصَفْتَنِي أَذْكَرُكَ وَتَنْسَى ذِكْرِي وَأَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَتِي وَتَذْهَبُ
 إِلَى غَيْرِي وَارْزُقَكَ مِنْ خَزَائِنِي وَأَمْرُكَ لِتَتَصَدَّقَ لِوَجْهِ فَلَآ
 تُطِيعُنِي وَأَفْتَحُ عَلَيْكَ أَبْوَابَ الرِّزْقِ وَأَسْتَفْرِضُكَ مِنْ
 مَالِي فَتَجِبْهُنِي وَأَذْهَبُ عَلَيْكَ الْبَلَاءَ وَأَنْتَ مُتَكَبِّرٌ عَلَى فِعْلِ
 الْخَطَايَا يَا بَنَ آدَمَ مَا يَكُونُ جُؤَابُكَ لِي غَدًا إِذَا أَجَبْتَنِي»^١.

الحكمة في كلام داود عليه السلام:

جاء في الأثر:

أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام:

- يا داود اني وضعت خمسة في خمسة والناس يطلبونها في خمسة غيرها فلا

يجدونها!

وضعت العلم في الجوع والجهد وهم يطلبونه في الشبع والراحة فلا يجدونه.

ووضعت العز في طاعتي وهم يطلبونه في خدمة السلطان فلا يجدونه.

ووضعت الغنى في القناعة وهم يطلبونه في كثرة المال فلا يجدونه.

ووضعت رضاي في سخط النفس وهم يطلبونه في رضا النفس فلا يجدونه.

وضعت الراحة في الجنة وهم يطلبونها في الدنيا فلا يجدونها^٢.

أجل ان ما هو موجود هو عند الله ولا شيء عند غير الله، فليتجه القلب الى

١- ارشاد القلوب: ٥٣/١، الباب الثالث عشر.

٢- عدة الداعي: ١٧٩، الحادي عشر الاعتراف بالذنب؛ بحار الأنوار: ٤٥٣/٧٥، باب ٣٣، حديث ٢١.

اللَّه تعالى ولتتجه الروح إليه سبحانه لأنه من يتَّجه إلى غيره لن يحصل على شيء.
السعادة في الدنيا والآخرة رهن بطاعته، وطاعته سبحانه ليس الأ معرفته وحبّه
والالتزام بشريعته.

الحكمة في معرفة الانسان الكامل:

لا يخفى بأن الانسان الكامل يدعى بأسماء مختلفة فهو من جهات متعددة
يسمى بأسماء متعدّدة.

فأنه يتلقى الحقائق من عالم الحقائق وبيئها فهو جبرائلي ولأنه يتلقى المعارف
والمكارم وينشرها بين طالبها فهو ميكائيلي ولأنه يخبر مرّديه عن المعاد والحشر
فهو إسرافيلي.

ولأنه قطع تعلق النفس الأمارّة عن الشهوات الجسمانية فهو عزرائيلي.
وهو آدمي لأنه معلم طلاب الهداية وهو نوح لأنه المنقذ من طوفان البلاء
وهو ابراهيم لأنه نجا من نار الوجود وقتل النمرود في نفسه وأصبح خليل الحق.
وهو موسى لأنه اغرق فرعون وجنوده في بحر العدم وناجى الله ربّه في الطور
بقربه.

وهو الخضر أيضاً لأنه شرب من ماء الحياة في العالم اللدني.
وبلغ حياة الخلود؛ وهو الياس الذي دلّ غريق بحر الضلالة إلى ساحل النجاة.
وهو داود زمانه لأنه قتل جالوت نفسه وأصبح خليفة الله في أرضه.
وهو لقمان الذي وهب الحكمة الالهية واطلع على حقيقة الأشياء.
وهو أفلاطون الذي هو طبيب النفوس وفي تشخيص أمراض الباطن جالينوس.
وهو سليمان يعرف منطق الطير.

وهو عيسى الذي أحيا الموتى.
وهو الامام لأنه المقتدى لأهل الطريقة وأهل الطاعة وعبادة الحقيقة.
وهو مرآة الوجود لأن الأسرار تنعكس فيه.
وهو الاكسير الأعظم لأن اكسير وجوده نادر الوجود ونحاس قلب أهل
الحواس من مساسه تبر خالص.
وهو الكبريت الأحمر لأن العثور على وجوده مشاق وطلاب معرفته من
حرمان لقياه في مشاق.
وهو الهادي لأنه يهدي الضالين الباحثين عن بلاد العلم وأرض الهداية.
وهو المهدي لأنه يضرب عنق دجال الجهل والشهوة.
هذا هو الانسان الكامل لدى الحكماء والعرفاء فليتأمل الانسان في مقامه
وليعي حقيقته في وجوده بتمامه وليبذل جهده وليسع سعيه في تحصيل كماله في
السير الى الله جلّ جلاله.
يقول جامع العلوم العقلية والنقلية أمير حسين بن عالم بن الحسن الحسيني
الهروي في بيان مقام الانسان الرفيع:
يا قطرة غفلت عن البحر يجري نهر وجودك على هون.
مرآة العالمين كلاهما أنت عبوديتها مقرونة لعبوديتك.
ويا صورة ينطوي فيها الجمال والقبح معاً الجحيم فيك وفيك الفردوس.
وفي برجك يتلألأ القمر وتشع الشمس ولكن من وراء حجاب السحاب.
لتفنى إن أردت البقاء والخلد واعبر جدار النفس إن أردت صاحب المجد.

إن كان موتك منك انتهى في الحشر تكون في نفس مقامك.
الرجال الرجال من سلكوا طريق الله وماتوا في عالم الحياة.
الرجال جميعاً لهم أصل طاهر لا علة لديهم بالماء والشراب.
كما الماء يجري بين الخلائق دون امتزاج وعلاقة.
وهذا طريقهم ليس بالخرقة وارتداء الصوف.
ان الخطوة الاولى تكمن بالقلب السليم.

الحكمة في مسألة الفناء:

قال أرباب اليقين وسلاّك الطريق والعرفاء في معنى الفناء: هو التسليم المحض
ومحض التسليم ازاء ارادة الحق تبارك وتعالى وحين لا يوجد في القلب شيء الآه
سبحانه ولا في الروح والنفس والجوارح وهذا هو مقام الفناء.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾!

كلّ شيء من أجله وفي سبيله كلّ فعل وكلّ عمل هو من أجله وحده
والحياة والموت من أجله وكلّ شؤون الحياة انه يعني انتهاء الانانيّة واختفاء الانا
هذا هو مقام الفناء وهذا مقام لا يتحقّق إلا بأداء حقوق الحقّ والخلق بل انه
الجزر والأساس والدافع لأداء الحقوق.

ذلك انّ حقوق الخلق بما في ذلك الزوج والأبناء والوالدين وجميع الناس
محسنهم ومسيئهم هو أمر المولى وارادته واجراء وتنفيذ أمر الله دون تردّد هو
مقام الفناء.

الأكل والنوم؛ التحدث والاصغاء، الحركة والسكون، طلب العلم والفضل، تكوين الاسرة المشاركة في ادارة شؤون المجتمع والاهتمام بأمر المسلمين ومواجهة العدو واستنكار المنكرات اذا كان من أجل الله وفي سبيل الله هو مقام الفناء. واذ انحصر هذا المقام بدنيا الذهن والخيال والوهم فاعلم الحقيقة اذن ان هذا على حافة الشرك وعين اللعب.

وما لم تعد تهتم لما كنت له مهموماً.

وما لم تستحيل الى تراب في طريق العابرين.

وما لم تعرض عن نفسك وأنا نيتك.

فاليك الحقيقة اذن انك لن تصبح انساناً.

ان حياة الأنبياء والأئمة الأطهار هي من أجل الله وحده وهم لا يقومون بعمل إلا استجابة لارادة الحق سبحانه وهذا ما يشير الى بلوغهم مقام الفناء؛ وبسبب بلوغهم مقام الفناء حازوا مقام البقاء في عمق الأبدية.

مراحل الفناء الأربعة

السالكون لطريق الحق وعشاق جمال الفناء عدواً للفناء أربعة مراحل:

١- فناء الآثار.

٢- فناء الأفعال.

٣- فناء الصفات.

٤- فناء الذات.

فناء الآثار:

قالوا في فناء الآثار:

ان السالك في هذه المرحلة من المعرفة والوعي والاخلاص والنقاء بحيث يتوجب عليه في هذا المقام أن يرى آثار جميع الكائنات سواء في عالم الغيب أو الشهود مضمحلة في آثار الوجود الحقيقي بحيث لا يرى آثاراً غير آثاره.

في مقام وحدة الشهود بأول نظرة يرى نور الوجود.

الفؤاد ينظر من المعرفة والنور والصفاء الى أي شيء فيرى الله أول ما يرى. من الجهل أن يبحث عن شمعة الوجود الخالدة في الفلاة وهو الشمس الساطعة. العالم كله أشعة نور الحق فاعلم بأن الحق خفى من شدة الظهور.

ان التفكير في ذات الله باطل فاعلم ومحال محض من تحصيل حاصل. العدم مرآة الوجود المطلق وما يبدو هو انعكاس لنور الحق.

وهذه الكثرة ظهرت من تلك الوحدة.

هو واحد ولأنك عدده ظننت الكثرة.

كل ما رأيته كان ممكناً وما عدا الواجب لن يبقى شيء^١.

فناء الأفعال:

وقيل في فناء الأفعال ان تضحل جميع حركاتك ومجاهدتك ورياضتك وسعيك في فعل الحق؛ بعبارة أخرى أن يكون عملك وفعلك من الاخلاص والانسجام مع ارادة الحق تبارك وتعالى بحيث لا يبدو سوى عمل واحد وهو عمل وفعل الله عزوجل.

لأنه اذا بقي فعل وعمل من نفسك فأنت ما تزال في بساط الشرك ولهذا فان

١. گلشن راز، شيخ محمود شبستري.

المعرفة الاسلاميّة تنظر الى الرياء على انه نوع من الشرك والسالك اذا بلغ كمال الاخلاص والخلوص في النيّة والانسجام مع أمر الله وارادته في العمل فانه يكون قد بلغ مقام فناء الأفعال.

يقول نظامي ذلك الحكيم في مقام التطلع إلى هذا المقام مخاطباً ربّ العزة:
يا أيها الملك العظيم هبني طريقاً ينأى بي عن السوء وعن الظنون.
فؤادي كسير وديني وأنا أبحث عاري الرأس حافي القدمين ولساني تلعثم.
لا تؤدبني فعقلي لا تره مختلاً فتربى قطعه عن طبعي قلبان وعشرة السن.
جاء الى حرمك فؤادي فاحفظه من الحسد لكيلا يعيش الملاك مع الشياطين.
اصفح وتجاوز عن ذنبي وامسح على قلبي بحنان منك بحياثي الذي تراه.
بطفيل طاعتك احييني فاذا لم تكن هذه السعادة فلأنتهي ولتنتهي الحياة.
كلّ ممكن الوجود آخذ نحو الهلاك أنت واجب الوجود تبقى الى ابد الأبدين.

فناء الصفات:

وفي فناء الصفات قالوا ان جميع صفات وأخلاقيات أحوال السالك النفسانيّة يجب أن تضحل وتذوب وتفنى في صفات الحق تعالى ذكره حتّى لا تبقى صفة في السالك الأصفة الله وهذا لا يتيسر إلا بمعرفة جميع الفضائل والردائل والتخلّص من جميع الردائل والتزيّن بجميع الفضائل والحسنات الأخلاقيّة وهذا طريق معقد وصعب مليء بالمنعطفات والمرتفعات والمنحدرات الخطيرة؛ حيث يتوجب على السالك الاستعانة بالمعرفة والخلوص وبنور الأنبياء والأئمّة والعلماء الربانيّين للوصول الى هذا المقام الذي هو مظهر الأسماء الحسنی والصفات العلیا.

شمس سماء ظهوري في مدار عجب ذرات كائنات أن بحثت مظهري.
الارواح القدسيّة هي شاخص معناني وأطياف الأنس شاخص صرحي.
البحر المحيط رشحة من فيضي الفائض ونور البسيطة لمعة من نوري الأزهر.
كلّ ذرات هذا الوجود من العرش الى صعيد الأرض يغمرها نور شمس ضميري.
يضيء العالم بأسره من نور ذاتي اذا انزاحت ستائر الصفات عني.
وعين الحياة التي خلّدت الخضر لم تكن سوى قطرة من ماء كوثرني.
ونفخة المسيح التي احيا بها الموتى هي نفخة من أنفاس رهي^١.

فناء الذات:

وقالوا في فناء الذات: الأ يرى السالك لنفسه وجود أو هوية؛ الأ يرى أنه
وانانيته وأفضل توضيح وشرح ما قاله سيّد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في
دعائه في عرفات.

«إلهي أنا الفقيرُ في غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي».

الهي قد ركن إليك العارفون؛ تقديرك وتديرك يجري في الوجود وأبواب
رحمتك مشرعة لعبادك.

الهي!

كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك؟
أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟
متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك!

ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟
 عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.
 الهي أمرت بالرجوع الى الآثار فارجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية
 الاستبصار حتى ارجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر
 إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها أنك على كل شيء قدير.

الهي!

هذا ذلّي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك؛ منك اطلب الوصول
 اليك وبك استدّل عليك فاهدني بنورك اليك واقمني بصدق العبوديّة بين يديك.
 الهي علمني من علمك المخزون وصنّي بسترک المصون.
 الهي حقّقني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسالك أهل الجذب.
 الهي اغتني بتديريك عن تدبيری وباختيارک عن اختياري وواقفني على مراكز اضطراري.
 الهي اخرجني من ذلّ نفسي وطهرني من شكّي وشركي قبل حلول رمسي،
 بك انتصر فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني وإياك أسأل فلا تخيبي وفي
 فضلك ارغب فلا تحرمني.

الهي أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عني.
 الهي أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووجدوك، وأنت
 الذي ازلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا إلى غيرك.
 أنت المونس لهم حيث أوحشتهم العوالم.

الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك كما انّ خوفي لا يزيلني وان
 أطعتك، فقد دفعنتي العوالم إليك وقد أوقعتني علمي بكرمك عليك.

الهي كيف اخيب وأنت أملِي، أم كيف أهان وعليك متكلي.
الهي كيف استعز وفي الذلة اركزني أم كيف لا استعز وإليك نسبتني.
الهي كيف لا افتقر وأنت الذي في الفقراء أقممتني.
أم كيف افتقر وأنت الذي بجودك أغنيتني وأنت الذي لا إله غيرك.
تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء.
وأنت الذي تعرفت إليّ في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء وأنت
الظاهر لكل شيء.

يا من استوى برحمانيته فصار العرش غيباً في ذاته.
محققت الآثار والآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار.
يا من احتجب في سرادقات عرشه عن أن تدركه الأبصار.
يا من تجلّى بكمال بهائه فتحققت عظمته الاستواء.
كيف تخفى وأنت الظاهر.

أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر، انك على كل شيء قدير والحمد لله وحده.^١
جماعة يبحثون عن كتابك وحديثك وأخرى عن ازهارك وورودك فارغ بال
اولئك الذين ارتحلوا يبحثون عنك.

ومن خلال التأمل في نصوص دعاء عرفة للامام الحسين عليه السلام وسبر أغوارها
واستكشاف معانيها، نستطيع أن ندرك ان الامام الحسين عليه السلام قد طوى المراحل
الأربعة جميعاً وبلغ مقام الفناء في ذات الله.
وانه ليتوجب على كل من يسير في طريق الرسل والأنبياء أن يشد الرحال

١- دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

والسفر لنيل ما يستطيع ادراكه من هذه المقامات الأربعة.

الحكمة في السير إلى الله:

كلّ ما وضعه المعشوق من حدود وقيود للانسان هي من أجل حبّه للانسان أولاً وثانياً من أجل كماله وترشيد حركته، ومن خلال عشق الانسان لربّه وطاعته لأوامره ونواهيته يتحرّر الانسان من القيود إلى أن يصل إلى الكمال المنشود.

إنّ الذين يتصوّرّون عدم صواب هذه القيود والحدود وان عالم الملكوت لم يعاملهم بلطف فان هذا يدلّ على جهلهم المطبق بحقائق الأمور.

لو نظر الانسان من خلال قلبه وبصيرته الى الحدود والقيود لأدرك انها عين عشق المعشوق للعاشق، وانه لمن مقتضيات الحب أن يشكر العاشق محبوبه ويتحمّل في ذلك المرارة والألم.

يقول سعد الدين فرغاني في شرحه بعض أشعار ابن الفارض في هذا المضمار:
 اذن انني أشكر الله الشكر كلّهُ إنّ المحبوب وقد كنت غافلاً وراء الحجب
 وهو يغمرني بالنعم ويعطيني؛ وأشكره ان هداني إليه ورسخ حبّه في قلبي.
 أنّي أشكر الله ان المحبوب لم يقطع مدده عني وهذه الأنفاس تتردّد
 ينصحني إليه ويقرّعني على نهاوني ويلومني.

ولأنّ الحال بأن المعشوق كان قبل ذلك قد جعلني في حجاب القيد حتى أجد نفسي في صورة الكثرة والنقائص وان ذلك في نظر الوحدة بحكم غلبته على احكام الكثرة النسبية عين الأبعاد والاضلال ومن هنا يبدو غير ملائم وفي صورة عدو لأنني تحققت بالجمع الوجودي والوحدة الحقيقيّة والكثرة النسبيّة؛ ولما نظرت ظهرت جملة صورة الكثرة في مراتبها بصفة النقص والآن ظهرت بصورة الكمال.

الآن وقد علمت ان اقامة المعشوق لنفسه في حال الحجاب والقيود لم يكن عداءً في حقِّي بل وجدت ان ذلك عين الحب لآنه مدد ومكمل لي.

فأنا أشكره اذن على اقامته شكراً كثيراً لأن هذه الكمالات تعود إلى حضرة المحبوب وان حصول وظهور نظرة الكمال أيضاً سبب الاتحاد المذكور والاتحاد ثمرة صدقي وثباتي في حبه.

والصبر على مقامات شدائده؛ وعلامة صدقي في حبه هذا الشكر الكثير على نعمة اقامته لي في مراتب رؤية تلك النعمة.

لا جرم بأن حضرة المعشوق وبحكم وعده:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾!

قد وعدني بالمزيد من البرّ والانعام وان اذن الرجوع هذا إلى مقام التفرقة الذي هو مستلزم للكمالات الكثيرة من ناحية ارشاد الطالبين وتحقق مقام الالهام للقيام بشروط وآداب الارشاد.

ومن آداب الارشاد اني الآن بذلك أقوم وأوّل درس المسترشد ان اقدم ذكر المجاهدة والتحقّق بالمقامات وثمرات ذلك على وجه كلّي اجمالي حتّى سلوك طريق الفناء والتحقّق به وأيضاً يصبح موجِباً لمزيد من الانبعاث والقوّة له في ذلك لأن السير والسلوك عبارة عن السير في طريق الفناء.

ذلك ان الانسان في مبدأ ظهوره في هذه النشأة العنصريّة يكون بنعت الفعال لما يريد والمباشرة في التصرفات والظهور بصفات ينأى عن عالم الوحدة والعدالة ويقع بعيداً عنه.

اذن: أولاً: ان الشريعة هي التي تعين وتبين حكم الوحدة والعدالة في جميع الحركات قولاً وفعلاً وميزان ذلك ان تحكم عليه بفناء بعض من تلك الأوصاف المتكثرة المنحرفة وتدل إلى وحدتها وعدالتها.

ثانياً: تقيّد الحكم الارادة بقيود الزيادة لكي تتسامح بشأن بعض ما كانت تحلّه الشريعة وتبيحه الطريقة ان تسدّ تلك المسامحة عليه وتحكم عليه أيضاً بترك وفناء الأفعال المباحة والحلال كما قال الصديق الأكبر وولي الله الأعظم أمير المؤمنين عليه السلام.

«إِنِّي لَأَدْعُ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةً أَنْ أَقَعَ فِي الْحَرَامِ»^١.

ويشتمل طريق الفناء هذا على الكثير من المنازل والمقامات تجتمع جميعاً في مقامين كليين.

الأول: التسوية وهي الرجوع من كثرة الأقوال والأفعال والتصرفات المتكثرة والظهور بالصفات المنحرفة إلى الوحدة والعدالة بحكم تعيين الشريعة والطريقة وعزم التحقّق بحقائق الاسلام والايمان.

الثاني: مقام الزهد وهو الترك وعدم التطلّع والالتفات إلى أي شيء له طابع الخليقة والغيرية أولاً من الجواهر والاعراض الدنيوية وكلّ خط يتعلّق بها وثانياً من نعيم الآخرة وحظوظها ولذاتها، جواهرها واعراضها بالتوجّه والالتجاء في كلّ ما هو عند الضرورة بحاجة إليه الى موجد هذه الأشياء وخالقها.

وآخر مقام الزهد مقام الفقر وهو خلوّ القلب والقالب والنظر والهمّة من كلّ شيء الأ الحق.

وندرج سائر المقامات من قبيل التسليم والمحاسبة والمراقبة والتفويض والتوكّل وأمثالها في هذين المقامين المذكورين وما أجمل أن نصرف النظر عن كلّ شيء ونغض البصر عن كلّ شيء ونجتث من قلوبنا حبّ كلّ شيء إلا الله وأن لا نرى شيئاً مع الله أو نريد شيئاً إلا لله فنخطو في طريق المعرفة ونسلك طريق الحب حيث السعادة في الدارين لا تتحقّق إلا بذلك.

علينا أن لا نهدر سنوات العمر بلا طائل وندع الأيام تدور علينا من دون فائدة ان على الانسان أن يمضي عمره في طاعة الله وعبادته واستقامته والأ نسلك طريقاً إلا طريق الله لأن أي طريق غيره لا ينتهي إلا الى الخسران.

يقول الحكيم نظامي كنجوي من باب النصيحة:

أي لغة اللسان والضم نطق أو لم ينطق هو نادم.

كن مع الجميع كما التراب تواضعاً أنت لا تملك شيئاً.

كقبضة من الريح خاضع للدرهم وحياتك متعلّقة بنفس واحد.

لو فكّرت في عاقبة أمرك لعرفت ان من حوله الحشم هو درويش وحيد.

هذه العذراء في خيمتها ومجلس الانس بها حافل.

انطوت فهي وحيدة انتهت العذراء وانطوت لذة الانس.

رفقة الدنيا من يتمناها هل وقت الدنيا لأحد حتّى تفي لنا؟!

الحكمة في التحلية والصفات الروحانية:

جاء في رسالة لقاء الله في باب الحقيقة:

ان السالك وبعد أن تطهر إثر المجاهدة والتوفيق الرباني الذي هو القسم الأوّل

للتنزّه وتطهير الباطن من الصفات الخبيثة والمكروهة واستطاع السيطرة

على نفسه وضبطها والتحكّم بها وتسلّط على القوى الشيطانية وجنودها فإنّه يبدأ بالانصاف بالصفات الروحانية على نحو يتّضح لديه ان الصفات الرذيلة الخبيثة قد أمست مظلمة باقتضاء الحياة المادية المحدودة.

وكلّما تمكّن السالك وانقطع من التعلّق والارتباط بحب الدنيا توقّرت لديه الأرضيّة للحياة الاخرية والروحانية والنورانية.

وهنا يكون السالك قد تخلّص من ضيق ومحدودية العالم المادي وولج الى العالم النوراني الروحاني الفسيح.

هنا منزل مضيء نوراني متحرّر وبعيد من الابتلايات وقيود العالم المادي والمسافر يعيش هناك في كمال الانبساط الروحي وفي منتهى الحربة في العمل في محيط مفعم بالأنوار ومغمور بالأمان والطمأنينة بعيداً عن الاضطراب والغربة والوحشة وابتلايات عالم المادة، مستعدّ لتعلّم وتلقي المعارف الالهية والحقائق الغيبية والجذبات الروحانية.

واذن وبمقتضى الخصوصيات والصفات الموجودة في العالم الروحاني تظهر صفات في قلب الانسان وتتألق في داخله.

وهنا يتبيّن مقام الفتح والظفر بجنود ابليس وتبدأ مرتبة ومرحلة عين اليقين في الايمان.

﴿تَلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^١.

﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^٢.

١- القصص ٢٨: ٨٣

٢- المؤمن ٤٠: ٣٩.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾^١.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾^٢.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^٣.

أجل لا يوجد في عالم الآخرة أثر للعجب بالنفس (الترجيبيّة) والتكبر لا يوجد أثر لسوء النيّة وقصد الفساد والتخريب والدماء هناك الحصول على الاستقرار والسلام.

هناك القلوب تتألف تتعامل بمنتهى العطف والرأفة والمحبة لا يوجد أثر للنفاق والضيفنة.

هناك عالم الغفران للخطايا والذنوب حيث لا أثر للعصيان هناك بيئة يغمرها السلام والصفاء ولا أثر للحزن والغم والهموم.

اذن وباقتضاء هكذا محيط وبيئة روحانية فانه ومن الحتم ان الصفات والحالات الانسانية ستظهر بما يتلاءم مع البيئة والمحيط.

ان مالكية الله المطلقة وحكمه وهيمنة الذات الأحديّة لله تعالى في عالم الآخرة ستشرق ظاهرة ومن المحتم انه لن يكون هناك من يجروء على الاعجاب بنفسه والتظاهر والتباهي والتفاخر والتكبر على غيره حيث تظهر بدل ذلك صفات التواضع والخضوع والخشوع والتعظيم والتمجيد للربّ تبارك وتعالى وقد ظهرت في الانسان حقيقة الخشية في وجوده.

١- الحديد ٥٧: ٢٧.

٢- البقرة ٢: ٢٢١.

٣- يونس ١٠: ٢٥.

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾^١.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ

لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^٢.

هناك تنكشف السرائر وتسفر البواطن قد جرى الحق وحكمه في الظاهر والباطن فلا يبقى ثمة مورد لنية سوء ولا نفاق ولا قصد للفساد، قد تجلّت يومئذ صفات الصفاء والحياء والارادة الراسخة وحسن النية والوفاء والصدق والتقوى والحلم.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾^٣.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^٤.

وفي ذلك اليوم تستعد النفوس المطمئنة التي ثبتت في مقام الحق والروحانية للقاء الله تبارك وتعالى وتواصل حياتها في العالم الروحاني بحب واخلاص؛ وباقتضاء هذه الحالة ستظهر صفات التوكل والتفويض والتسليم والرضا والاخلاص والانبساط والفناء والشهود.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُقْلِحُونَ﴾^٥.

١- الحج ٢٢: ٥٦.

٢- طه ٢٠: ١٠٨.

٣- الطارق ٨٦: ٩ - ١٠.

٤- النساء ٤: ١٤٦.

٥- الأعراف ٧: ٨.

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^١.

يقول الحكيم شفايي اصفهاني في فضائل الانسان الكامل وان كل انسان ينطوي على قابلية الارتفاع الى عالم الملكوت والاعتقال الروحاني.

يا من هو مرآة تتجلى فيها الذات.

يا نسخة جامعة لكل الصفات.

في وجودك الذات مستورة.

الذات التي تختفي فيها الصفات.

لقد خصصت بلطف «كرمنا».

وأنت الذي تعلم «الأسماء».

وعالم الكون والوجود مخلوق على مثالك.

خلع عليك رداء التكريم فكان خلقك في أحسن تقويم.

ليس غيرك مستعد لتحمل الأمانة.

وليس الأمانة سوى الخلافة.

أنت مسرح الصراع من صفاتك الأضداد.

فانت ظلوم إن بقيت جهولاً.

وستبقى الى الأبد ملوماً ان امسيت ظلوماً.

فحذار من الجهل حذار.

انه عدو للنور والضياء والنهار.

أنت قد دعيت للخلافة في الأرض.

مرحباً بك يا خليفة الرحمن.

حبذا يا ودیعة السبحان.

سلوك لقاء الله:

ان الذي يسلك إلى عالم اللقاء والذي يطلب الحياة الروحية الخالدة عليه أن يتصف بالحالات والصفات التي تناسب وتتلاءم مع الحياة الاخرية وهذا الانصاف لازم في هذا المرحلة وواجب ويتعين على السالك تحصيل هذه الحالات والصفات في نفسه لكي يستعد للقاء الله بموته الاختياري في امتداد هذه الحياة الظاهرية قبل الوصول إلى عالم الآخرة الخارجي وما وراء المادة بل والاقتراب جداً من الوصول الى المقام الرفيع الذي هو لقاء الله.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^١!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِالْحَقِّ كَذِّبْتُمْ عَنْهُ فَالْمَلَأْنَا قُلُوبَهُمْ سَكِينًا وَمَنَّا وَجْهًا لِّمَن يَرْجُو﴾^٢!

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾^٣.

طرق السلوك للقاء الله:

- وفي هذه الآيات الثلاث المباركة ثمة مقدمات لطالبي لقاء الله والسالكين إليه.
- ١- العمل الصالح الذي يشمل الآداب والفرائض والسنن العقلية والشرعية.
 - ٢- الاخلاص في العمل: وهو روح العمل وان قيمة كل عمل تكمن في

١- الكهف: ١٨: ١١٠.

٢- الانشقاق: ٨٤: ٦.

٣- البقرة: ٢: ٤٥ - ٤٦.

وجود روح العمل وتحقق هذه الصفة يتضح في التحلية والصفات الروحانية. وحقيقة الأخلاص هي خالصية العمل من كل غرض ونظر ولدت ولا يكون الهدف إلا الطاعة لأمر الله وأداء واجب العبودية وصفاء ونقاء النية من أي غاية سواء الغايات الدنيوية مثل التظاهر وكسب الاعتبار والعنوان والحصول على المنافع المادية أو الغايات الروحانية من قبيل الأخذ بالاعتبار الجنة والنعم الالهية والآثار الطبيعية للعبادة من النورانية والمكاشفة وغيرها.

ولا ينبغي أن يتوقع المرء لقاء الله إلا بعد تكون عبادته لله وحده خالصة لوجهه.

﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^١.

٣- المجاهدة والسعي: السعي والكدح واجب بأي شكل اختياراً أو قهراً في مسير اللقاء وما لم يحطم الانسان سلاسل التعلقات المادية وما لم يتحرر من حدود وقيود عالم الطبيعة فإنه سوف لن يصل إلى منزل لقاء المقصود في ما وراء الطبيعة.

واذن من دون المجاهدة وتحمل الألم والعذاب لن يتمكن أحد أن يخطو باتجاه الرقي.

٤- الصبر: والصبر والتحمل في هذا المسير من أهم الضرورات وعلى السالك أن يتحمل وأن يكون حليماً صبوراً في جميع الأحوال وأن يكون كالجبل الراسخ في مواجهة الحوادث المختلفة وأمام آراء الناس وألوان الزمان المتلون بالألوان فلا يتأثر ولا يتلون ولا يغير شكله ولونه ولا حاله ولا عمله والأ يتوقف عن مواصلة السير في الطريق المستقيم والا يتساهل في ذلك ولا يترك للغفلة أن تتسلل إلى وجوده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^١.

أجل ان الصبر هو كالوجود في الماهيات وان كل موضوع ومفهوم من ابتداء سلوكه إلى انتهائه لا يكون مفيداً ومؤثراً ما لم يكن مقترناً بالصبر.

في صعيد اجتناب المحرمات وتركها يجب أن يبدى قوة وصبراً في منزل الاجتناب والتطهر من الصفات الذميمة ويجب أن تكون لديه استقامة وصبر في باب الاتصاف بالحميد من الصفات؛ عليه أن يتصرف ويتعامل بصبر وتآني وكذلك في جزئيات كل مرحلة من المراحل والمنازل، أو في كلياتها لأن أدنى عجلة أو تزلزل وعدم استقامة وتحمل تكبد السالك فوراً فقدان مجاهدته الطويل وأعماله الكثيرة وعباداته وطاعاته الممتدة.

وعلى نحو الاجمال ان الصبر هو لاكمال الموضوع وكل موضوع ما لم يصل حد الكمال فإنه لن يجدي نفعاً وسوف لن يكون مفيداً ومن هنا ذكر ما للصبر والصابر من الآثار العجيبة.

وقد وردت هذه الآثار بالتفصيل في القرآن الكريم وأيضاً معارف وحالات الصابرين وسوف نتطرق الى ذلك باذن الله في الفصل الحادي والتسعين من «مصباح الشريعة».

٥- الصلاة: وهي أهم العبادات وأكثرها جامعية للعمل بين المخلوق والخالق. وفي تكوين الصلاة جميع اشكال الاظهار للعبودية في رحاب الرب تبارك وتعالى. في الصلاة بعد تطهير البدن والتوجه والاستعداد لعرض العبودية يبدأ التكبير

لله تعالى والحمد والثناء وتوصيف الرب وتوحيده في العبادة وطلب الهداية وتوحيد الذات والصفات والتسبيح والخضوع والسجود الكامل وتكرار هذه المراتب.

اذن السالك اذا أدى هذه العبادة بشروطها فقد قام بكلّ مراحل السلوك عملاً. ويتّضح بهذه المقدمات انّ السالك كلّما تقدّم بنسبة معيّنة في التقليل من علاقته وحبّه للدنيا من خلال المجاهدة في الطاعات والمواظبة في تهذيب النفس والتوسّل والاستعانة فانّ علاقته وحبّه وتوجّهه إلى الآخرة يكون بنفس تلك النسبة وسوف تتنامى في نفسه حتماً الحالات الروحيّة والصفات المتناسبة والمتلائمة مع الحياة المعنويّة.

ويمكن للسالك هنا أن يبذل أقصى جهده وسعيه عملياً وأن يطمئن بأنّه قد وفق ونجح في مرحلة التزكية وأنه حاز على ما كان ينشده من طهارة القلب وصفاته. وعليه أن يدرك ان طهارة النفس مقام رفيع جداً وان السالك اذا تشرف بهذا المقام تفتحت له أبواب الخير والرحمة والمعرفة والنور وسوف يرتبط بالعالم العلوي.

الحكمة في الاهتمام بالمسائل الالهية العالية:

يقول العارف السيّد أحمد الموسوي الحائري:

الطالب للحق جلّ وعلا يجدر به إن أراد النوم محاسبة نفسه في أعماله وأفعاله وحركاته وسكناته الصادرة عنه منذ يقظته في الليلة الفائتة وإلى لحظته تلك في كلّ ما فعل وعمل وقال وأن يشعر بالندم العميق ممّا بدر منه من المعاصي والأعمال السيئة وأن يتوب إلى الله توبة صادقة وأن يعزم على ان لا يعود الى المعصية بحول الله وقوّته بل وتدارك ذلك وأن يتذكّر بأن:

«النَّوْمُ أَخُ الْمَوْتِ».

وَأَنَّ:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^١.

وأن يجدد بالايان عهداً وان يتشهد الشهادتين وأن يتطهر ويتمدد في فراشه باتجاه القبلة «كما يجعل الميت في قبره» وأن يذكر اسم الله عزوجل وأن يسلم نفسه في مقام تسليم الروح إلى بارئها الله عزوجل وأن يكون لسان حاله قول الشاعر حافظ:

هذه الروح عارية أودعت عند حافظ.

ذات يوم سأرى دفق النور واسلم له^٢.

منشغلاً بجناب الحق جلّ وعلا مسلماً نفسي إليه حتى يخلفها النوم وأن يعي أنه في حال استغراقه في النوم أنه سيكون بدنه وروحه في قبضة القدرة المطلقة لله جلّ وعلا بحيث يغفل عن نفسه ولا يشعر بها واذا شاء الله الأ تعود الروح إلى البدن فان الموت الحقيقي سوف يتحقق؛ كما تشير إلى هذه الحقيقة الآية المباركة من قول الله جلّ وعلا:

﴿فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ

أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^٣.

وما أكثر الذين ناموا ولم يستيقظوا إلى يوم القيامة، اذن على السالك إلى الله الأ يأمل الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى الأ بفضل من الله تبارك وتعالى ولسان حاله يقول:

١- الزمر ٣٩: ٤٢.

٢- حافظ.

٣- الزمر ٣٩: ٤٢.

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾^١.

لهذا إن نهض من النوم تذكر نعمة إعادة الروح التي هي بمنزلة الحياة الجديدة من الله جلّ وعلا وحمد الله وشكره على هذه النعمة.

ويسجد لله شاكر كما يفعل رسول الله ﷺ إذا نهض من النوم واعياً انه لو سأل الله آلاف المرات أن يعود لن يسمع جواباً.

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾^٢.

وكمال الرحمة من الله جلّ وعلا فيه انه استجاب رجاءه وعاد إلى الدنيا مرة أخرى فعليه أن يستثمرها ويغتني حياته الجديدة ويشمّر عن ساعد الهمة لتكون تجارته رابحة إن شاء الله وتكون له مدداً في سفره وتكون مدداً لحياته الأبدية.

ولا يخفى على طالب الحق جلّ وعلا ان سائر الأشياء والكائنات سوى الحق جلّ وعلا في معرض الفناء ولهذا لا تستحق أن تطلب الممكن بما هو ممكن كائن لا ينفع ولا يفيد إلا الحق جلّ وعلا لأن كل شيء في قبضة قدرته جلّ وعلا ولهذا فلا كائن غيره في الأرض ولا في السماء لا في الدنيا ولا في الآخرة يستحق المطوبية لدى الشخص العاقل الفطن.

ولو فرض ان الشخص العاقل طلب غيره فاذن بالضرورة واليقين سوف لن يكون هو المطلوب بالذات، بل سيكون المطلوب بالغير من قبيل مطلوبية دينه والايمان به وآخرفته وحبّه ومعرفته جلّ وعلا واحبائه مثل النبي ﷺ وآله ائمة الهدى عليهم السلام وفائدة مطلوبة الأخلاق الحميدة باعتبار اضافتها للحق جلّ وعلا وليس لذاتها.

١- المؤمنون ٢٣: ٩٩ - ١٠٠.

٢- المؤمنون ٢٣: ١٠٠.

لهذا يجدر بالعاقل ويلىق أن يصرف نظره عن كل شيء إلا الله ولا يكون له همّ الأهو.

﴿قُلِ اللَّهُ تُمَّ ذَرَهُمْ﴾^١.

وتكون همّة الطلب منحصرة فيه بذاته:

ليست لنا امنية سواك فامنح السكر للذي لم يذق الحب^٢.

فاحبنا ان نعيم الفردوس هو أنت.

واذن فاجعل غنيمتك في هذه الحياة طلبه جلّ وعلا ولتكن كل حركاتك وسكناتك ولحظاتك له واليه واجعله حاضراً ناظراً مراقباً في جميع أوقاتك حتى أن تأوي إلى فراش النوم في الليلة القادمة.

ومن هذا يتضح ان اقبح القبائح لهكذا انسان أن يصرف همّته إلى الشهوات واللذائذ وأمور المعاش من قبيل البطن والفرج وغير ذلك.

ولذا من اللائق الاعراض تماماً عن هذه الأمور والأى يلتفت المرء إليها ولو حصل التفات إلى تلك الامور المزبورة فهو حتماً من باب ضعف النفس لأنه لا منه ولا من غيره الأ من حضرة الحق جلّ وعلا يصدر العمل واذن سلّم أمورك إلى حضرة الحق جلّ وعلا.

ليس بالجد والجهد تسبر الأعمال سلّم الامر للذي يدبّر الفلك الدوار^٣.

على العبد العبودية؛ والرزق وسائر المصالح بعهدة الرب واقبح القبائح الكف

١- الانعام ٦: ٩١.

٢- سعدى.

٣- حافظ.

عن العبودية والاهتمام في شؤون النفس (بالاستقلال ومن دون التوكّل والمطلوب الانسجام مع الشريعة الالهية والأحكام في كلّ الأمور) اذن من اللازم والواجب على طالب الحق الاهتمام الكامل والتام في الطاعة والعبودية والحضور في رحاب ربّ الأرباب جلّ وعلا بكلّ شوق وتضرّع وتذلل والابتهاج الى الرب ولأن التوجّه إليه يكون بالقلب وحضوره وظهوره وتجليه هو في القلب؛ بل انه لا يوجد في جميع الكائنات مظهر وتجلّي تام له جلّ وعلا أتمّ وأكمل من قلب المؤمن.

«لا يَسْعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَلَكِنْ يَسْعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ»^١.

ولم تحمل السماوات عب الأمانة خرج سهم القرعة باسمي أنا المجنون^٢.
 ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾^٣.

إن كمال اهتمام الطالب بعد توجهه إلى حضرة الحق جلّ وعلا الذي يُعبّر عنه بالذكر هو معرفة النفس والذي عبّر عنه بالتفكّر بالنفس.

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ».

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^٤.

١- عوالي اللآلي: ٧/٤، حديث ٧.

٢- حافظ.

٣- الاحزاب ٣٣: ٧٢.

٤- الذاريات ٥١: ٢١.

﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ بَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^١.

لهذا فان طالب الحق لا شغل له بغير الفؤاد والمعشوق إلا ما كان من باب المقدمة والتمهيد له بل يجب عليه من هذا الباب ان يطهر قلبه من الأرجاس والأنجاس التي هي الأخلاق الرذيلة.

عليه أن يخلي قلبه مما سوى الله جلّ وعلا ويعبر عن هذا بالتخلية وترزين القلب وصقله بالطاعات والعبادات والصفات الحسنة والأخلاق الكريمة لكي يسع قابلية ظهور الحق جلّ وعلا والذي يعبر عنه بالتجليه والتجليه.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^٢.

وفذاك! إن عملت بذلك فهذا القدر كاف وإن لم تكن عاملاً فلا ألم وغصّة تكون في القلب وأفضل من ذلك من العبث الاظهار فلا أحد يصغي إلى همته.

الحكمة في حقيقة الدنيا والآخرة:

يعظ صاحب النفس الزكية والأنفاس القدسيّة ملا حسين علي بهاري أسرى ظلمة الطبيعة، أسرى الأهواء والرغبات قائلاً:

أيها اللاعب مع الأطفال ويا حماله الاثقال.

ويا حبيس طامورة الجاه ويا ايها المسموم بسم الأفاعي.

١- فصلت ٤١: ٥٣.

٢- الاحزاب ٣٣: ٣٣.

ويا غريق بحر الدنيا الطاغي ويا أسير هموم الآمال!

ألم تسمع ألم تقرأ:

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾^١.

ألم تسمع ذلك الحكيم الذي علّم بعض علم الغيب والمنزه من كل عيب

يخاطب ابنه:

«بُنَى إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ قَدْ غَرَّقَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ»^٢.

وأنا أقول واأسفاه أن نكون من الغارقين! والهفاه يا رباها! وإن شئت أن تدرك

عمق بحر حكمته فتأمل في حقيقة عبارة «بحر عميق» فكم من جواهر الحكمة

في هذا الصندوق الصغير موجودة.

يكفي أن تعلم بأن في البحر حيتان وسمك وكائنات عجيبة ومهالك غريبة

كثار وجزر مخوفة ترعب الأبطال وجبال مفزعة ضاع فيها كثير من الناس.

وان أصل وميدان هذا البحر ينشأ من ظلمات الجهل وله في أودية أراضي

قلوب أهل الغفلة مكان.

قد اغرقت أمواج آماله سفن العمر وجبال همومه وغمومه تقصم الظهر،

وأفاعي معاصبه المهلكة لدغت الكثيرين ونفتت فيهم السم الزعاف.

وحيتان أوصافه الذميمة كم ابتلعت من الناس ومياهه المالحة كم من العيون

انطفأت فيها، فكل من غرق في هذا البحر لا يخرج منه إلا من وادي الجحيم، وسوف

يبقى أبداً في العذاب الأليم.

١- محمد ٤٧: ٣٦.

٢- الكافي: ١٠/١، كتاب العقل والجهل.

البشر في هذه الديار نسناس وسياحتهم في هذه الديار ساحة للوسواس قطاع الطرق فيها جنود ابليس وأسلحتهم الخداع والتليس.

إن سألت عن عمق هذا البحر أخبرك انه ما له من قرار فان لم تصدق فاسأل الغواصين فيه وأعني بهم أهل الدنيا من الأولين والآخرين انظر إليهم فقد غرقوا جميعاً؛ هل وصل أحدهم إلى قعره وإن أردت أن تفهم وتدرک أكثر فانظر إلى نفسك بنفسك كم عندك، فهل قنعت يوماً واكتفيت أليست نفسك تضج وتصيح هل من مزيد؟... ألم تسمع صراخها وهي تقول: اريد واريد واطلب المزيد.

يا سيدي! هذه الدنيا كيف خدعت الناس بالأباطيل وجعلت من قلوبهم التي خلقت للحب والمعرفة والنور، حظائر للخليل والحمير قد لطخت جوارحهم بالقاذورات وافرغت أفئدتهم من الخضوع لرب السماوات لم ينهلوا من حلاوة الحب الالهي قطرة ولا في وجودهم للتوبة والعودة أثر ولا في أوهامهم وأفكارهم لله من خبر!!

سيوفهم وأسنتهم وأسنتهم تقطع أعراض واموال وكرامات المسلمين ارباً ارباً قد خلت قلوبهم من الفكر والذكر وامتلات بالحيلة والمكر؟ أوثقوا عقولهم بحبال الهوى وجعلوا منه تابعاً لما يشاء؛ فطعنوا الدين بالسيوف وعرضوه للمنايا والحتوف.

خلعوا زي التقوى ورداء الورع وارتدوا ازياء الغرباء ونبذوا شراب العسل والشهد، وتهافتوا على السم الزعاف تركوا الشريعة وآدابها وقلدوا الأجانب في رسومها عطلوا أسواق الاسلام، وعمروا أسواق الكفر والنفاق.

لم يفكروا بعواقب الامور ولم يعتبروا بما جرى على الامم في غابر العصور؛ ظنوا طيور الأبايل أساطير، وما جرى على فرعون وهامان وقابيل، خرافات وأباطيل

وكذا ما جرى على قارون وقد خسفت به الأرض والثرى.

أو ما درى الانسان ان الرياح العاصفة التي عصفت بقوم ثمود هي لربها مطيعة وحجارة السجيل ان شاء ربّها انقضت على من يشاء كالصاعقة والرعود القاصفة. هل انخدعوا بصبره وحلمه وغفلوا عن عظيم سطوته وجبروته فخلعوا رداء الخجل والحياء وتجروا على من خلق الأرض والسماء.

يعصون الله ولا يخافون ويرتكبون الآثام لا يخشون من ربّ الأنام. وهو الله مالك السماوات السبع ومالك الأرضين السبع وله الأمر والحكم يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

بلى سيأتي يوم لا مفرّ منه يوم تتخلع له القلوب من الصدور، يوم تزلزل الأرض وتتفجّر البحور لقد أزفت الساعة وجاء يوم النشور.

السماء تائرت فيها النجوم والأرض تشققت وترى الموتى يخرجون من شقوق الأرض والقبور.

فاذا هم كالجراد المنتشر.

وترى الأخيار مندهشين والأبرار ينظرون الى رَبِّهِمْ الجبار.

الشمس تتفجّر باللهب والعرق من الأجساد العارية يتصّبب في حرّ يحرق العظام قد أحاطت بالأشرار الجحيم، فالعيون زائغة والقلوب واجفة، والملائكة الغلاظ ينتظرون أمر الواحد القهار، هذا يوم الحساب وهذا يوم التناد اذ ينادي الأبرار:

«يا أهلَ الْجَنَّةِ ارْكَبُوا».

ويصرخ بالأشرار:

«يا أهلَ النَّارِ اخْسُئُوا».

بعض يخلع عليه من حلال النعيم وآخرون يجرون بالأغلال إلى الجحيم، فريق

قد انتهل منتشياً من شراب طهور وفريق بتجرعون الحميم في غصةً فيا بنس المصير.
وأنا الآن حائر، لا أعرف ماذا أقول عن قهره وجبروته وانتقامه أم حبه ورأفته
ورحمته الذين نالهم غضب الجبار يعذبون، والذين شملهم عفوه في اللذائذ
يتقبلون إلهي أنت أرحم الراحمين، قد قضيت على معانديك بسوء العذاب وعلى
مطيعيك بحسن المآب.

يا من فدتك قلوب أضأتها بنورك فهم يسبحون بحمدك ويقدمون مجدك
في الليل وفي النهار؛ قد أضأت معرفتك طريقهم وخفقت بحبك قلوبهم،
توكلهم عليك وحدك لا يعرفون غيرك ولا يرون سواك قد غرقوا في بحار
أنوارك، فمن أين استطع وصفهم وأتى لي اللحاق بهم.

قد خدعتنا الدنيا ببريقها فأضاعت نفوسنا طريقها ولكن إلى من يتوجه
الضائعون وإلى من يقصدون؟ هل يقصد العليل سوى الطيب؟ وهل يذهب
المريض إلا إلى الطيب، وأنت يا إلهي الشافي من كل داء وأنت يا إلهي الكافي
في كل ضراء.

هذه يا إلهي سنوات العمر تذهب هباءً مثوراً، فافض علينا من رحمتك وغفرانك
يا رحمن يا رحيم يا غفور.

الحكمة على لسان الامام علي عليه السلام:

بداية الى القارئ الكريم ما قاله الكاتب المسيحي والمفكر الانساني جورج
جرداق عن «نهج البلاغة» الذي يضم قسماً من خطب الامام علي عليه السلام وكلماته
ورسائله:

نهج للبلاغة آخذ من الفكر والخيال والعاطفة آيات تتصل بالذوق الفني

الرفيع، ما بقي الانسان وما بقي له خيال وعاطفة وفكر؟

مترابط بآياته متساوق متفجر بالحس المشبوب والادراك البعيد متدقق بلوغة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق الى معرفة ما وراء هذا الواقع متآلف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الاخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول أو الشكل بالمعنى اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواء بالهواء...

بيان هو بلاغة من البلاغة وتنزيل من التنزيل بيان اتصل بأسباب البيان العربي ما كان منه وما يكون حتى قال أحدهم في صاحبه: ان كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق^١.

قال الامام علي عليه السلام في بيان صفات المتقين:

«عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشَعَرَ الْحُزْنَ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ^٢ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى^٣ فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ الْقِرَى^٤ لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَارْتَوَى مِنْ عَذَبِ قُرَاتٍ سَهَّلَتْ لَهُ مَوَارِدَهُ، فَشَرِبَ نَهْلًا^٥ وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا^٦.

١- امام علي صوت العدالة الانسانية الجزء الثالث.

٢- استشعر: لبس الشعار وهو ما يلي من اللباس. وتجلبت: لبس الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب، وقد سبق تفسيرها.

٣- زهر مصباح الهدى: تلالاً وأضاء.

٤- القرى - بالكسر - ما يهتأ للصيف، وهو هنا العمل الصالح بهيته لقاء الموت وحلول الأجل.

٥- النهل: أول الشرب، والمراد: أخذ حظاً لا يحتاج معه إلى العمل، وهو الشرب الثاني.

٦- الجدد - بالتحريك - الأرض الغليظة، أي: الصلبة المستوية، ومثلها يسهل السير فيه.

قَدْ خَلَعَ سَرَائِلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى عَنِ الُّهُمُومِ، إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى.

قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ^١ وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثِقِهَا، وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتِنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ. مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَافُ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَاعُ مَعْضِلَاتٍ، دَلِيلُ فُلُوتٍ^٢، يَقُولُ فِيْفِهِمْ، وَيَسْكُتُ فِيْسَلْمُ. قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ.

قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا^٣ وَلَا مَظْنَةَ^٤ إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ^٥، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ نَقْلُهُ^٦ وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

ويلاحظ اللبيب العاقل هذه الخطبة ثلاثة وثلاثين صفة للمتقين وعباد الله الصالحين.

١- الغمار: جمع غمر - بالفتح - وهو معظم البحر، والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة.

٢- الفلوات: جمع فلاة، وهي الصحراء، مجاز عن مجالات العقول في الوصول إلى الحقائق.

٣- أمها: قصدها.

٤- مظنة: أي موضع ظن لوجود الفائدة.

٥- أمكنه من زمامه: تمثيل لانتقياده إلى أحكامه، كانه مطية والكتاب يقوده إلى حيث شاء.

٦- نقل المسافر - محرّكة - متاعه وحشمه؛ ونقل الكتاب: ما يحمل من أوامر ونواه.

الحكمة في اصطلاحات وكنيات العرفاء:

وكان الأنبياء والرسل والكتب السماوية والأئمة المعصومون يعبرون عن الأسرار الربانية التي لا يطيقها الكثيرون من الناس على نحو رمزي وكذا العرفاء وعشاق الجمال الربوبي يستخدمون بعض الرموز على شكل اصطلاحات للتعبير وخاصة في الأشعار فقد يستخدمون مفردات معينة يرمزون من خلالها إلى مفاهيم عرفانية رفيعة.

وقد وجدنا من الضروري الإشارة إلى المعاني الرفيعة التي تكمن وراء بعض المفردات التي تزخر بها قصائد الشعر العرفاني.

معاني الاصطلاحات العرفانية:

العشق: نار معنوية تضطرم في القلب تحرق كل ما سوى المحبوب فلا شيء يبقى في القلب سوى سلطة الحب الالهي.

كل من ارتدى حلة العشق سوف يظهر من الحرص ومن كل عيب.

مرحى أيها العشق ومرحى للوعته هو طبيب شاف لكل علالتنا.

يا دواء نخوقنا وناموسنا ايها أنت أفلاطون وجالينوسنا.

وسما الجسم الترابي بالعشق إلى مدارات النجوم واهتز الجبل راقصاً جذلاً.

وحل العشق في روح جبل الطور فاضحى عاشقا، فاذا الطور سكران

وخرّ موسى صعقاً.

هو معشوق والعاشق ستار حي هو المعشوق والعاشق ميت^١.

١. مشوى معنوى، مولوى.

المحبة: الولاية التي تصل المعشوق التي تصل إلى العاشق الاختيارية والغير اختيارية وتكون المحبة مع الحق تعالى بلا سبب وعلاقة وحركة.
المحجوب: الوجود القدسي للرب تبارك وتعالى كما جاء في ختام الدعاء في زيارة الامام الرضا عليه السلام:

«يا مَحْبُوبَ مَنْ أَحَبَّهُ»^١.

الخرائب والاطلال: مركز تجمع الأولياء وتطلق أيضاً على الصفات البشرية. ساكن الخرائب والاطلال الذي انطلق من اسر النفس. النفس كفر اذا عبدت.

وعنوان الخرائب هو التوحيد واسقاط الاضافات.

الخرائب عش النفوس المتسامية.

الخرائب هي رحاب اللامكان^٢.

الشاهد: ما يحصل في القلب أثر المشاهدة أو العلم باللدني أو بالوجود أو الحال أو التجلي أو الشهود.

الشراب: ويقال لغليات العشق.

الشراب والشمعة والشاهد عين المعنى حيث تتجلى في كل سورة.

الشراب والشمعة مشرب وعرقان وعشق.

انظر الشاهد! انه لا يخفى على أحد.

الشراب والشمعة والكأس نور الأسراء.

١- بحار الأنوار: ٥٥/٩٩، باب ٥، حديث ١١.

٢- گلشن راز: شيخ محمود شبستري.

- لكن الشاهد هو الآيات الكبرى.
- تناول شراباً كأسه وجه الحبيب، قدح العين السكرى.
- لن تنال الشراب حتى تنجو من أسر نفسك.
- اطلب شراباً من دون كأس.
- تناول شراباً من كأس الباقي «سقاهم ربهم» حقاً هو الساقى!
- المجلس: آتات وأوقات الحضور مع الحق تعالى.
- العشرة: لذات الانس مع الحق تعالى والشعور والوعي اثر ذلك.
- الطرب: الانس مع الحق تعالى وسرور القلب في ذلك.
- العيش: دوام الحضور مع فراغ البال.
- (خم خانه): محيط التجليات لعالم القلوب ومهبط غلبات العشق.
- الحانه (ميكده): مقام المناجاة.
- الحانه (ميخانه): عالم اللاهوت.
- الخمرة (باده): العشق الابتدائي (البدائي).
- الساقى: تجلي الحب الذي يسبب السكر.
- القدح: الوقت.
- الكأس (جام): الأحوال.
- صراحي: مقام.
- الخمير: موقف.

جرعة: الاسرار والمقامات.

السكر (مستي): الاستغراق في العشق، بجميع الصفات في الأعماق والآفاق.

السكر الشديد (مست خراب): الاستغراق التام دون وعي لأي شيء.

نصف سكر (نيم مست): وعي الاستغراق والشعور بالاستغراق الخمار:

العودة من مقام الوصول قهراً.

الوحي (هوشيارى): الاقامة من غلبة عشق الصفات الباطن والظاهر.

مزيل الغم (غمسگار): الصفة الرحمانية ولها شمولية وعموم.

المغموم (غمخوار): الصفة الرحيمية الخاصة والربوبية.

المؤاسي (دلدار): صفة الباسط.

سرور: الحب في القلب.

المعشوق الفاتن (دلبر): صفة القابضية أسي الحب في القلب.

فاتح الفؤاد: الصفة الفتاحية في مقام الانس في القلب.

جانان: الصفة القيومية حيث قيام جميع الكائنات به وحيث لا بقاء للخلائق إلا به.

جان افزاي: صفة الباقي الأبدى الذي لا يتطرق إليه الفناء.

دوست (الحبيب): سبق الحب الالهي على حب السالك.

قد (القوام): الاستواء الالهي.

قامت (القامة): استحقاق العبادة حيث لا يستحق العبادة إلا الحق.

زلف (السالفة): غياب الهدية حيث لا يعرفها أحد.

موي (الشعر): ظاهر الهوية.

- غيسو (الصفيرة): طريق الطلب إلى عالم الهوية.
- تاب زلف (الشعر الممتوج): كتمان الأسرار الإلهية.
- رخ (الطلعة): مظهر الحسن الإلهي والتجليات المحضة.
- الحظ: حضرة الكبرياء.
- خط سبز (الخط الأخضر): عالم البرزخ.
- الخال: المركز البعيد.
- الخال الأسود: عالم الغيب.
- چشم (العين): صفة البصيرة الإلهية على جميع الأحوال من الخير والشر.
- اللب: الكلام.
- لب لعل: بطون الكلام.
- السر: صفة المشيئة الإلهية.
- الفرق: صفات الحياة الإلهية.
- روي (الوجه): مرآة التجليات.
- چهره (الوجه): التجليات التي يطلع عليها السالك.
- السلسلة: اعتصام الخلائق بالحضرة الإلهية بطريق العموم.
- سينه (الصدر): صفة العلم الإلهية.
- دست (اليد): صفة القدرة.
- الساعد: صفة القوة.
- انگشت (الاصبع): صفة الاحاطة.

- سخن شيرين (الكلام الحلو): الاشارة الالهية، للأنبياء بالوحي وللأولياء بالالهام.
- لا ابالي: انعدام الخوف من الحوادث والمصائب وعاديات الزمن.
- الشمع: نور الله المتوهج في قنديل القلب.
- الصبح: طلوع الأحوال والأوقات.
- بامداد (الفجر): مطلع الاحوال والأوقات.
- شبانگاه (حلول الليل): غاية الأحوال.
- شب (الليل): عالم العمى ومقام غيب الغيب وعالم الجبروت أيضاً.
- التوبة: العودة من النقص والتوجه نحو الكمال.
- الايمان: مستوى العلم بالحق تعالى.
- الاسلام: الأعمال والمتابعة.
- الدين: الايمان بالحقائق.
- الزهد: الاعراض عن حطام الدنيا.
- العبادة: اجتهاد السالك.
- الصوم: قطع الالتفات الى الغير.
- الزكاة: الايثار والتصفية.
- الحج: السلوك الى الله.
- الكعبة: مقام الوصل.
- الخرقة: الصلاح وسلامة الظاهر.
- السجادة: سند الباطن.

- الرواح: العروج من عالم الناسوت الى عالم الأرواح.
 درون (الباطن): عالم الملكوت.
 برون (الظاهر): عالم الملك.
 السرو: علو المرتبة.
 الريحان: النور الذي يحصل من تصفية الرياضة في القلب.
 النشوء: الترقى.
 نما (منظر): تحصيل العزة من التربية الربوبية.
 السيل: غلبة الأحوال الناجمة من الفرح.
 المطر: نزول الرحمة.
 آب روان (الماء الجاري): فرح القلب.
 زردي (الصفرة): ضعف السلوك.
 سرخي (الحمرة): قوة السلوك.
 سبزي (الخضرة): الكمال المطلق.
 سبيدي (البياض): التوجه لطلب المعين والانقطاع عمّا سواه.
 النسيم: تذكير الرعاية.
 المطرب: الدليل في الطريق.
 ترانه (ترنمة): سرّ الحب.
 ناله زار (النائح): آهة الحب.
 الهدية: النبوة والولاية.

الوصول: مقام الوحدة مع الله في السراء والضراء.
 كنار (الجوار): تلقي الاسرار ودوام الانتباه.
 الفراق: الغياب عن مقام الحق.
 الغم: الاهتمام بطلب المعشوق.
 المهجران: الالتفات إلى غير الحق.
 الوجد والفقدان والخوف: الحالات التي تظهر في القلب بعد الفراق والباعثة على الاهتمام التام والأسف من الفراق.
 كلبه احزان (كوخ الأحران): وقت الحزن.
 الحزن: الحالة التي تظهر في القلب بعد الفراق.
 غمكده (محل الغم): مقام مستور.
 الميدان: مقام الشهود.
 چوگان (الصولجان): تقدير الأمور بطريق الجبر.
 گوي: سالك مقهور.
 التظلم: الاستعانة والاستعاذة بالحضرة الالهية من الشيطان والنفس أو من التقصير.
 ناله (الأنين): المناجاة.
 فرياد (الصرخة): الذكر الجمهوري.
 الآه: علامة جمال العشق حيث اللسان قاصر عن البيان وعلامة كمال العاشق الذي يعجز عن البيان والكلام.
 فغان (بكاء): اظهار احوال الباطن.

- رنج (عذاب): وجود أمر على خلاف القلب.
- مردن (الموت): الطرد من حضرة الحق.
- الراحة: وجود الأمر الموافق للقلب.
- افتادگي (التواضع): ظهور الحالات الالهية والربوبية وعدم القدرة.
- بيهو شي (الاعغاء): مقام الطمس حيث محو الصفات.
- ديوانگي (الجنون): الظفر استيلاء أحكام العشق على صفات العاشق في الأعمال.
- مدهوشي (الاندهاش): استهلاك الظاهر والباطن من العشق.
- بندگي (العبودية): مقام التكليف.
- آزادي (الحرية): مقام الحرية.
- بينوايي (البؤس): العجز.
- المحنة: المعاناة.
- الفقر: الخلو الكلي.
- السعادة: الدعوة الأزلية.
- الشقاوة: الطرد الأزلي.
- نزدیکی (القرب): الشعور بمعرفة الأسماء والصفات والأفعال الالهية.
- پاکبازي (التطهر): التوجه الخالص حيث لا رجاءً للثواب ولا في علو المرتبة، بل خالص لله.
- الحضور: مقام الوحدة.
- الغيبية: مقام الاثنية.

- گرمي (الحرارة): حرارة الحب.
- خواب (النوم): الفناء الاختياري.
- بيداري (الصحو): عالم الصحو للعبودية.
- محمل: الأوامر التكليفية.
- العلف: شهوات ومشتهيات النفس.
- ساربان (الدليل): الحادي.
- القدح: الوقت.
- الكأس (جام): الأحوال.
- صراحي: مقام.
- الخمير: موقف.
- جرعة: الاسرار والمقامات.
- السكر (مستي): الاستغراق في العشق، بجميع الصفات في الأعماق والآفاق.
- السكر الشديد (مست خراب): الاستغراق التام دون وعي لأي شيء.
- نصف سكر (نيم مست): وعي الاستغراق والشعور بالاستغراق.
- الخمير: العدو من مقام الوصول قهراً.
- الوعي (هوشياري): الإقامة من غلبة عشق الصفات الباطن والظاهر.
- مزيل الغم (غمگسار): الصفة الرحمانية ولها شمولية وعموم.
- الغموم (غمخوار): الصفة الرحيمية الخاصة والربوبية.
- المؤاسي (دلدار): صفة الباسط.

سرور: الحب في القلب.

المعشوق الفاتن (دلبر): صفة القابضية أسمى الحب في القلب.

فاتح الفؤاد: الصفة الفتاحية في مقام الانس في القلب.

جانان: الصفقة القيومية حيث قيام جميع الكائنات به وحيث لابقاء للخلائق إلا به.

زر (التبر): المجاهدة والرياضة.

سيم (السلك): التصفية الظاهرية والباطنية.

شست (الغسل): ازالة الميول الناجمة عن التقصير وصفاء حضور العاشق والمعشوق.

گوهر (جوهرة): معاني وصفات الله.

التجلّي: وهو غلبة سلطان الحق على رأس العبد حتى لا يكون في رأس العبد

شيء الا الحق وكانما يرى الجق والوجود أمام قلب العبد.

قال عليٌّ عليه السلام: «لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا»!

وقد قال الامام عليه السلام أيضاً انه يدع سبعين من الحلال مخافة الوقوع في الحرام!

يعني انه لا يوجد في القلب الا الله وكل ما هو موجود من شؤون أسمائه وصفاته.

يا أسير النفس انها هي الحجاب.

ينبغي تطهير دربك من الغبار.

لتكن روحك فراشة تطوف حول شمعة.

حينئذٍ تنضم لحفل الوحدة.

فؤاد واحد وعشرات الأمانى يا لها من معضلة!

الواحد مرادك فليكن قلبك واحداً.

كلّ من يقتل قلبه بالاضطراب.

سرعان ما ينهار انقاض خراب.

الروح العاشقة تذوب في عين اللقاء.

الطير حرّ وهو يعرف الحبيب.

وحجاب الطريق هو أوصافك.

فارفع الحجب أولاً.

ولما تحرّر القلب من سطوة النفس.

تربع فوق كرسي التجلّي.

ولأنك افنيت الفناء في الفناء.

بلغت البقاء ببقاء الحق.

الطالب: الباحث عن طريق العبوديّة من أجل بلوغ الكمال.

الشوق: حركة الفؤاد في طلب المعشوق.

الحسن: جمع الكمالات.

الجلال: ظهور عظمة المعشوق من جهة الاستغناء عن العاشق ونفي غرور العاشق.

اللقاء: ظهور المعشوق كما لو ان العاشق على يقين انه هو.

اللطيف: تربية المعشوق للعاشق.

الملاحظة: غاية الكمالات.

الظرافة: ظهور الأنوار عن طريق المشاهدة.

كرشمه (الدلال): الالتفات.

الوفاء: الرعاية الأزليّة بلا واسطة لعمل الخير واجتناب الشر.

خشم (الغضب): ظهور الصفات القهريّة.

كين (ضغن): تسلّط الصفات القهريّة على العاشق.

جنگ (الحرب): الامتحان بأنواع البلايا الظاهريّة والباطنيّة.

الصلح (السلام): قبول الأعمال.

پرده (الستائر أو الحجاب): الموانع بين العاشق والمعشوق وهي من لوازم

الطريق ليس من جهة العاشق والمعشوق.

الحجاب: الموانع التي تردع العاشق على نحو ما عن التوجّه لعشق المعشوق.

النقاب: المانع الذي يردع العاشق على نحو ضعيف.

بام (السقف): كشف الحجاب.

مستوري: تقدس كنه الماهيّة الذي يستعصي على ادراك العالمين.

تندي: صمديّة الحق.

التكبّر: صمديّة الحق عن الأعمال.

الشهود: الوجود المطلق.

گنج (الكنز): مقام العبوديّة.

سوانح: العلم الذي ينزل من عالم الأرواح على قلب الانسان.

البصيرة: قوّة في القلب منوّرة بنور القدس تُرى بها حقائق وبواطن الأشياء

المستورة ولأنّها منوّرة بنور القدس فان الخيال والوهم يرتفع عنها.

الجذبة: تقرّب العبد إلى حضرة الحق بمقتضى العناية الالهية وتهيؤ جميع ما يحتاج العبد في طي المنازل وقطع المراحل دون عناء.

الجمعية: اجتماع الهمة في الانتباه إلى جهة الحق.

التفرقة: تقنّع خاطر والانشغال بالخلق.

الهمة العالية: الهمم العالية لا تتعلّق بالأبالحق ولا تلتفت إلا إليه ولا تفتن بالأحوال والمقامات والتوقّف عند الأسماء والصفات ولا تنظر إلا إلى عين الذات.

الهوى: الميول النفسية بمقتضيات الطبع.

الهواجس: الخواطر النفسية.

الواقعة: كلّ ما يهبط إلى القلب من عالم الغيب على أي طريقة ما كان.

الوصل: فناء العبد من أوصافه في أوصاف الحق.

الحجاب: انطباع الصور في القلب التي تمنع تجلّي الحقائق فيه.

الحرية: وهي على مراتب: الحرية العامة من رقّ الشهوات والحرية الخاصة من رقّ المرادات بفناء ارادة العبد في ارادة الحق والحرية خاصّة الخاصة من رقّ الرسوم والآثار بفناء وجود العبد في تجليات نور الأنوار.

الطوالع: أوّل ما يبدو من تجليات الأسماء الالهية على باطن العبد وتزيينه بالأخلاق والأوصاف.

ليلة القدر: الليلة التي يتشرّف فيها السالك بالتجلّي الخاص كي يعرف بذلك التجلّي قدره ومنزلته بالنسبة للمحسوب.

المجذوب: العزيز الذي اختاره الحق تعالى وبلوغه جميع المقامات والمراتب.

المحاضرة: حضور القلب مع الحق.

المحادثة: خطاب الحق للعبد.

الموت: قمع الأهواء النفسية.

الموت الأبيض: الجوع.

الموت الأخضر: ترك التجمّل والتكبر وارتداء العتيق والقناعة.

الموت الأحمر: مخالفة النفس.

السفر: توجّه الفؤاد إلى حضرة الحق.

الخلوة: محادثة السر مع الحق بحيث لا يوجد مجال للغير.

الذوق: أوّل درجات شهود الحق^١.

وعلى أية حال هذه اشارات وكنايات ومصطلحات في لسان ولغة العارفين لها مفاهيم ومعاني سماوية رفيعة ولا يوجد عارف وسالك يقصد من وراء استخدامها في نشره وشعره المعاني الظاهرة لها.

إن السالك وبعد معرفته القرآن ومعرفته الحلال والحرام الالهي والتوسّل بالأنبياء والأئمّة عليهم السلام واتباع أحد العلماء الربانيين ممّن تجتمع فيهم الشروط من أمثال الآخوند ملاً محمّد بهاري، الآخوند حسين قلبي همداني، المرحوم قاضي، المرحوم الحاج ميرزا جواد آقا ملكي تبريزي، يواصل سيره نحو المحبوب واثقاً كلّ الثقة انه في مسيره هذا اذا ما نسجمت كلّ حركاته وشؤونه مع الشريعة على نحو تام وكان له من زاد التقوى ما يعينه فانه سيحظى بقاء المحبوب واذا سلك غير هذا الطريق يعني من دون المعرفة والعمل والتزام الشريعة الالهية من حلالها وحرامها ثمّ توقّع النجاة واللقاء فانه مخطئ في ذلك

١. لمزيد من التفصيل انظر: رسالة الاصطلاحات لـ«درويش محمّد طبسي».

وضال ولن يكون مصيره إلا إلى الهلاك.

إن على السالك أي يعي بكل وجوده الأيقع في أسر الألقاب من قطب وشيخ
وخانقاه والآ يردّد الأذكار مما لم يرد منها شيء في الآثار، فإن هذه الألقاب لن
توصله إلى شيء بل سوف تقطع عليه الطريق إلى الكمال والرشد.

الحكمة في الفتح:

عند ما يتّجه الانسان بقلبه نحو المحبوب، وعند ما يعالج الانسان نفسه من
شوائب الأمراض النفسانية وعند ما يطلب الانسان بكل وجوده الحق، فلماذا لا
تنفتح أمامه أبواب خير الدنيا والآخرة.

يقول محمّد بن الحسين الخطيبي البلخي في شرحه هذه الآية الكريمة:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾!

اطرفوا أبواب الغيب لا فتح لكم.

إنا نحن صدعنا الصخور الجلاميد وفجرنا ينابيع المياه من داخلها.

وإنا نحن قدحناها واستخرجنا النار شرراً.

فإن أنت طلبتنا فنحن القادرون على أن نصدع قلبك القاسي..

ونقدح فيه نار الحب وتجري منه ينابيع الطمأنينة.

أفلا تنظر إلى الأرض كيف صدعناها وأخرجنا منها العشب طرياً..

كذلك نحن القادرون على أن نستخرج من أرض مجاهدتك روضة اخروية غناء.

أفلا تنظر إلى مائدتنا هل ينقصها شيء حتى ينفذ اليأس فيك.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^١

يعني لأن الله واحد فتقديره الذي يجري فحسب فلا تشتغل الأبه، واخرج من أمانيك وانبذ مخاوفك واكسر زجاج وجودك لأنه لا وجود لغيره.
سأل سائل انّ الكريم يعطي فيشكر ويحمد، يهب الخير فيحمد ويهب الروح فيحمد أيضاً.

قلت: لو ان الأب صب الذهب والفضة أمام الولد والبنت وقال لهما: هذا لكما ثم أخذ الذهب والفضة وأودعه في مكان، فبكيا وقالا: لماذا أخذت الذهب والفضة منا؟

فيقول الأب: أخذته لكما ليوم جهازكما وعرسكما، اني اذا اعطيتكما إياه الآن فسوف تنفقانه ويجيء يوم عرسكما فتضطربان.

الكرم ان آخذه منكما لا اهمالاً لكما بل ليوم تحلان وتنقلان إلى هذه الحجرة ضيفين، لأنني سأنقلكما إلى قصر خاص واسكنكما فيه فان اتلفتما الاعطية واختطفها للصوص وأغار عليها المغيرون واحترقت تحت الشمس وفتها البرد، نودع الكرايس فيها ونوصمها ونضع الابريسم في صندوق الشرنقة حتى اذا سرقها للصوص لم يجدوا المفتاح ولا يهتدون لفتح القفل.

هذا جزء ضئيل من الحكم التي هي كالبحر الزخار تتلاطم أمواجه أمام الناظرين.
وكما قال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«وَزَكَاةُ الْأُذُنِ اسْتِمَاعُ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْقُرْآنِ وَقَوَائِدِ الدِّينِ
مِنَ الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَمَا فِيهِ نَجَاتُكَ بِالْأَعْرَاضِ عَمَّا هُوَ

ضِدُّهُ مِنَ الْكِذْبِ وَالْغِيْبَةِ وَأَشْبَاهُهَا».

وسياتي الحديث حول استماع القرآن والموعظة والنصيحة باذن الله في الباب الثاني والسبعين والثالث والسبعين وكذا الحديث عن الكذب في الباب السادس والأربعين والغيبة في الباب التاسع والأربعين. ولاتمام الفائدة هنا انقل اليكم كلمات في باب النصيحة من كتاب «الانسان الكامل» وهي كافية لمن ألقى السمع وطلب الحق.

كمال الانسان:

اعلم انّ البشر لم يأتوا بارادتهم إلى هذا العالم ومن بين كلّ مئة ألف جاءوا وذهبوا ثمة واحد منهم عرف الحقيقة وعرف هذا العالم وعرف من أين جاء وإلى أين يذهب؛ يعني عرف المبدأ والمعاد وبلغ في ذلك علم اليقين وعين اليقين. وسائر البشر جاءوا عمياناً وذهبوا عمياناً.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ

سَبِيلًا﴾!

كلّ قد استغرق في واحدة من مراتب الحيوان ولم يبلغوا مرتبة الانسانية لأنهم انشغلوا في هذا العالم بشهوة البطن والفرج وحبّ الذرية وامضوا العمر من أوله إلى آخره في السعي لذلك في حربهم وصلحهم ليس بهمهم شيء غير هذه الأمور الثلاثة لا عرفوا غيرها ولا رأوا.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١﴾

وبعض نجوا من هذه الأوثان الثلاثة وابتلوا بثلاثة أوثان وأصنام أخرى أعظم وأشد، قد اجتازوا هذه الحجب الثلاثة ووقعوا في حجب ثلاثة أشد وأنكر:

١- حَبَّ الْجَمَالِ الظاهري.

٢- حَبَّ الْمَالِ.

٣- حَبَّ الْجَاهِ.

وهذه ثلاثة أوثان أعظم وهذه ثلاثة حجب أقوى وأضخم.
فيا أيها السالك في الطريق ان الدنيا هي هذه ولا أكثر؛ وهذه هي أغصان الدنيا الستة
وهذه الأغصان الثلاثة الأخيرة أقوى وأشد والأغصان الثلاثة الأولى تضعف وتغلب.
وأهل الدنيا كلّ يجلس تحت غصن من هذه الأغصان أو تحتها جميعاً ولا
ذوا بظلالها، وذلك من أجل لذّة نفوسهم وراحتها وتحصيل مرادها.
وهم في غفلة عن وجود عشرٍ منغصات وراء كلّ لذّة بل مئات المنغصات بل
الآلاف ووراء كلّ مسرة آلاف الهموم.
إنّ الفطن يحتمل ذلك أبداً، فهو يترك لذّة واحدة وأما الجاهل فانه لا يترك
هذه اللذّة بسبب الغفلة؛ يعني إنّ الجاهل يطلب تلك اللذّة الواحدة في غفلة عن
الكثير من المنغصات التي تكمن فيها.

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ٢.

١- الاعراف ٧: ١٧٩.

٢- الاعراف ٧: ١٧٩.

فيا أيها السالك ان هذه الأغصان المذكورة هي الظلال وليس ان لهذه الأغصان ظلال ذلك ان الدنيا نفسها ظل والوجود له ظل ظاهر لكن لا حقيقة له ولا ينال أحد من هذا الظل راحة بل عذاب وعناء لأنه ليس بظل بارد ولا يدفع حرّاً بل يرشّ الحرارة والنار.

فيا أيها السالك القادم الى حقيقة الحجاب السابع، أولاً حب النفس وحب هذه الأشياء الستة من أجل النفس وهذه سبعة أشياء جهنمية، جهنميات لا نهاية لها وكل واحد منها حوت حيطان جائعة، تبتلع في كل مدة ألف شخص وتبقى على جوعها.

وتظهر جملة الأوصاف الذميمة والاخلاق الرذيلة في الانسان بواسطة هذه الأشياء السبعة وكل ما يطال الانسان من آلاف البلايا والفتن والعذاب في الدنيا والآخرة فمن خلال هذه الأشياء السبعة والانسان غافل عما يجري عليه.

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^١.

فاذا نهض من نوم الغفلة وصحا من سكره وبلغ مرتبة الانسانية بكمال العقل ويرى هذا العالم كما هو؛ عرفه كما هو فمن الطبيعي انه يسير منه وينفر منه وعلامة ذلك ان حاله كحال الطائر في القفص أو الشخص في السجن.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ»^٢.

وعلامة ذلك أيضاً انه اذا حانت لحظة خروجه من هذا العالم هتف قائلاً:

«قُرْتُ رَبَّ الْكَعْبَةِ»^٣

١- الاعراف ٧: ١٧٩.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٣٦٢/٤، باب النوادر، حديث ٥٧٦٢؛ بحار الأنوار: ٢٣٨/٦٤، باب ١٢، حديث ٥٦.

٣- المناقب: ١١٩/٢؛ بحار الأنوار: ٢/٤١، باب ٩٩، حديث ٤.

«وَزَكَاةُ اللِّسَانِ النُّصْحُ لِلْمُسْلِمِينَ وَالتَّقِيُّظُ لِلْغَافِلِينَ وَكَثْرَةُ التَّسْبِيحِ وَغَيْرُهُ»

يقول الامام الصادق عليه السلام: ان زكاة اللسان:

- ١- تقديم النصح للمسلمين وتوعية الغافلين.
- ٢- كثرة التسبيح والذكر والحمد لله وتوحيد رب العالمين.

زكاة اللسان:

وسوف نتطرق الى مسألة تقديم النصح للمسلمين وتوعية الغافلين في الباب الرابع والستين في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما سنتطرق إلى التسبيح والتهليل في الباب الخامس من « مصباح الشريعة ».

«وَزَكَاةَ الْيَدِ الْبِذْلُ وَالْعَطَاءُ وَالسَّخَاءُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ، وَتَحْرِيكُهَا
بِكِتَابَةِ الْعِلْمِ وَمَنَافِعَ يَنْتَفِعُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْقَبْضُ عَنِ
الشُّرُورِ»

زكاة اليد:

يقول الامام الصادق عليه السلام ان زكاة اليد تكون بالبدل والعطاء والسخاء والكرم
بما أنعم الله على الانسان وأيضاً بتأليف الكتب النافعة المفيدة بما ينفع الناس
ويحثهم على طاعة الله عز وجل بكف الانسان يده وقبضها عن الشرور.

حياة الدين بتأليف الكتب:

ان من جملة الأسباب الهامة في حفظ الدين وصيانته الى الآن والمحافظة
عليه وصونه من عاديات الزمن وحوادث القرون وهجوم الشياطين هو كتابة
الآثار الالهية والاسلامية بواسطة العلماء الربانيين.

ولكي نكوّن فكرة عن الجهود المضيئة والمضنية التي بذلها علماؤنا الكرام اليكم
غيض من فيض مما سطرته أيدي العلماء فظهرت الى النور أسفار جلييلة من قبيل:

«أعيان الشيعة» «الذريعة الى تصانيف الشيعة» «الغدير» ونظرة إلى فهرست
المكتبة الرضوية في مشهد الامام الرضا عليه السلام ومكتبة مجلس الشورى ومكتبة

«ملك» ومكتبة «وزيري» في يزد.

ولو لا ما سطرته الأيادي البيضاء من قبيل الاصول الأربعة لأصحاب الأئمة الكرام ومؤلفات شيخ المتقدمين الشيخ الصدوق من قبيل «من لا يحضره الفقيه» «الخصال» «التوحيد» «عيون أخبار الرضا عليه السلام» «الاعتقادات» «علل الشرايع» «معاني الأخبار» ومؤلفات ثقة المحدثين محمد بن يعقوب الكليني مثل: «الكافي» وما سطرته يد مرجع الشيعة في أصعب العصور المرحوم الشيخ نصير الدين الطوسي من قبيل «التهذيب» «الاستبصار» «الرجال» «التبيان» و«الخلاف».

وما صنّفه العلامة الحلّي في خمسمئة وثلاثين مجلّد وما كتبه الفيض الكاشاني في ثلاثمئة مجلد ومؤلفات الشيخ الحر العاملي ومن بينها «وسائل الشيعة» وما سطرته يد العلامة المجلسي في سبعين مجلّد وفي طليعتها «مرآة العقول» «بحار الأنوار» ومؤلفات أخرى من قبيل «مستدرك الوسائل» «جواهر الكلام» «الرياض» «المسالك» «الشرايع» ومؤلفات الشيخ الأنصاري وسائر الفقهاء والمفسرين والأدباء والشعراء والحكماء والعرفاء لو لا كل ذلك وغيره ما الذي سنعرفه من ديننا؟

لقد حفظ هؤلاء دين الله بزكاة أيديهم وصانوا الأمة من أنواع الشرور والفتن والمحن ولو لا هذه الجهود لانقض الأعداء من كل حذب وصوب وأغاروا على تراه الرسل والأنبياء والأئمة والأوصياء.

ولولا هذه المساجد والمدارس والحوزات وصناديق القروض الحسنة والمؤسسات الخيرية التي نهضت على زكاة الأموال وزكاة الأيدي لكانت أمة الاسلام في خيبر كان:

«وَزَكَاةُ الرَّجُلِ السَّمِيُّ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ زِيَارَةِ الصَّالِحِينَ
وَمَجَالِسِ الذِّكْرِ وَإِصْلَاحِ النَّاسِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ وَالْجِهَادِ وَمَا فِيهِ صَلَاحُ
قَلْبِكَ وَصَلَاحُ دِينِكَ»

زكاة الرجل:

يقول الامام الصادق عليه السلام ان زكاة الرجل التي هي من حقوق الله عزوجل:

- ١- زيارة الصالحين.
- ٢- ارتياد مجالس العلم.
- ٣- اصلاح ذات البين.
- ٤- صلة الرحم.
- ٥- الجهاد.
- ٦- وكل ما فيه صلاح القلب وصلاح الدين.

زيارة عباد الله الصالحين:

يمنح الاسلام زيارة الحق وعباد الله الصالحين والعلماء الربانيين والمؤمنين
أهميّة كبرى وذلك لما تنطوي عليه الزيارات من فوائد في الدنيا والآخرة وقد
تصل هذه المنافع الاخروية حدوداً لا يمكن تصوّرها.

يقول الامام علي عليه السلام في تفسير «قد قامت الصلاة»:

«حَانَ وَقْتُ الزِّيَارَةِ وَالْمُنَاجَاةِ وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ وَدَرَكِ الْمُنَى
وَالْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»^١.

وجاء في الروايات:

بينما الحسين بن علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله اذ رفع رأسه فقال:
- ما جزاء من زارك؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا بني من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو
زار أخاك أو زارك كان حقاً علي أن أزوره يوم القيامة حتى اخلصه من ذنوبه^٢.
وقال صلى الله عليه وآله: من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرته يوم القيامة فانقذته من أهوالها^٣.
وقال صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي كان في جوارِي يوم القيامة^٤.
وقال الامام الصادق عليه السلام:

من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر
مئة ألف شهيد وغفر الله من ذنبه وما تأخر وبعث من الآمين وهون عليه الحساب
واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعته الى منزله فان مرض عادوه وان مات
تبعوه بالاستغفار الى قبره^٥.

وجاء في الأخبار والآثار:

- ١- التوحيد: ٢٤٠، باب ٣٤، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٣٣/٨١، باب ١٣، حديث ٢٤.
- ٢- كامل الزيارات: ١٠، باب ١، حديث ١ و١٠.
- ٣- كامل الزيارات: ١١، باب ١، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٣٣١/١٤، باب ٢، حديث ١٩٣٣٢؛ بحار
الأنوار: ١٢٣/٩٧، باب ٢، حديث ٣١.
- ٤- كامل الزيارات: ١٣، باب ٢، حديث ١١.
- ٥- كشف الغمة: ٣٩٥/١؛ بحار الأنوار: ١٧٦/٥٦، باب ٢٣، حديث ٩.

من زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وألف عمرة مقبولة وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر^١.

وقال الامام الصادق عليه السلام: اذا بعدت بأحدكم الشقة ونأت به الدار فليعل أعلى منزل له فيصلّي ركعتين وليومئ بالسلام إلى قبورنا فان ذلك يصير إلينا^٢.
وجاء في الأثر أيضاً ان الراوي سأل الامام الصادق عليه السلام:

- كيف أزورك اذا لم أقدر على ذلك؟

قال عليه السلام: يا عيسى اذا لم تقدر على المجيء فاذا كان يوم الجمعة فاغتسل أو توضأ واصعد إلى سطحك وصل ركعتين وتوجه نحوي فانه من زارني في حياتي فقد زارني في مكماتي ومن زارني في مماتي فقد زارني في حياتي^٣.

وفي زيارة جميع الأئمة عليهم السلام سواء في حياتهم أو زار أضرحتهم روايات تشتمل على مضامين كالتالي وردت اعلاه ما يدل على أهمية زيارة عباد الله الصالحين سواء في حياتهم أو بعد وفاتهم في مراقدهم.

قال الامام الصادق عليه السلام: من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي موالينا يكتب له ثواب زيارتنا^٤.

١- بحار الأنوار: ٢٥٧/٩٧، باب ٣، حديث ١.

٢- الكافي: ٥٨٧/٤، باب النوادر، حديث ١؛ كامل الزيارات: ٢٨٦، باب ٩٦، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٦٥/٩٨، باب ٣٢، حديث ١.

٣- كامل الزيارات: ٢٨٧، باب ٩٦، حديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٥٧٨/١٤، باب ٩٥، حديث ١٩٨٥٦؛ بحار الأنوار: ٣٦٦/٩٨، باب ٣٢، حديث ٦.

٤- من لا يحضره الفقيه: ٧٣/٢، باب ثواب صلة الإمام عليه السلام، حديث ١٧٦٥؛ وسائل الشيعة: ٤٧٦/٩، باب ٥٠، حديث ١٢٥٣١؛ بحار الأنوار: ٣٥٤/٧١، باب ٢١، حديث ٢٩.

وقال الامام الصادق عليه السلام أيضاً للراوي:

- يا داود ابلغ موالي مَنِي السلام واني أقول رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر (فتذاكرا) أمرنا فان ثالثهما ملك يستغفر لهما واما اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر فان في اجتماعكم ومذاكرتكم احياءً لأمرنا وخير الناس من بعدنا من ذاكر بأمرنا وعاد الى ذكرنا^١.

وقال عليه السلام أيضاً:

... من زار أخاه المؤمن إلى منزله لا لحاجة منه إليه كتب من زوار الله وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره^٢.

وقال عليه السلام أيضاً:

لزيرة مؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات ومن أعتق رقبة مؤمنة وقرأ الله عزوجل بكلّ عضو عضواً من النار^٣.

وقال عليه السلام: من زار أخاه لله لا لغيره التماس موعد الله وتنجز ما عند الله وكلّ الله به سبعين ألف ملك ينادونه ألا طبت وطابت لك الجنة^٤.

مجالس العلم:

ان ارتياد مجالس العلم ومحافل المعرفة من أجل تنمية العقل وترشيد حركة

١- بشارة المصطفى: ١١٠؛ بحار الأنوار: ٣٥٤/٧١، باب ٢١، حديث ٣١؛ مستدرک الوسائل: ٣٨٠/١٠، باب ٧٨، حديث ١٢٢٢٦.

٢- وسائل الشيعة: ٢٠٩/١٧، باب ٤٩، حديث ٢٢٣٥٤؛ بحار الأنوار: ٢٧٥/٧٥، باب ٢٣، حديث ١١٢.

٣- الكافي: ١٧٨/٢، باب زيارة الإخوان، حديث ١٣؛ وسائل الشيعة: ٥٩٠/١٤، باب ١٠٠، حديث ١٩٨٨٠؛ بحار الأنوار: ٣٤٩/٧١، باب ٢١، حديث ١٣.

٤- الكافي: ١٧٥/٢، باب زيارة الإخوان.

الروح نحو التكامل الانساني واستكشاف الحقائق وتحصل المعرفة هو حقاً زكاة للرجل والقدم وان أداء هذه الزكاة سوف يعود على الانسان بعظيم الفوائد المادية والمعنوية.

وانه لا يوجد مجلس على وجه الأرض اسمى منزلة وأعظم فائدة من مجالس العلم ان مجلس العلم هو مجلس الحق ومجلس النور وهو حقاً روضة من رياض الجنة كما ورد في الروايات.

قال رسول الله ﷺ:

من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وانه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وان العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر^١.

وروى أبو بصير عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

من علم خيراً فله مثل أجر من عمل به.

قلت: فان علمه غيره يجري ذلك له؟

قال عليه السلام: ان علمه الناس كلهم جرى له.

قلت: فان مات؟

قال عليه السلام: وإن مات^٢.

١- الكافي: ٣٤/١، باب ثواب العالم والمتعلم، حديث ١؛ ثواب الأعمال: ١٣١؛ بحار الأنوار: ١/١٦٤،

باب ١، حديث ٢.

٢- الكافي: ٣٥/١، باب ثواب العالم والمتعلم، حديث ٣؛ بصائر الدرجات: ٥، باب ٢، حديث ١١؛

وسائل الشيعة: ١٦٦/١٧٢، باب ١٦، حديث ٢١٢٧٠.

وقال الامام علي السجاد عليه السلام:

- لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو في سفك المهج وخوض اللجج؛
 إنّ الله تبارك وتعالى أوصى إلى دانيال؛ إنّ امتت عبيدي الجاهل المستخف
 بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم؛ وان أحبّ عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب
 الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء^١.

اجتماعات الصلح بين المسلمين:

بسبب ضغط الحوادث وظروف الحياة يقع النزاع بين المسلمين احياناً لأسباب
 مالية وقضايا عائلية، فاذا بنا نرى صديقين يتنازعان وزوجين يتشاجران وحتى بين
 الأب وابنه وبين المعلم والطالب وبين الاخوين في الاسرة والشقيقين وبين زميلين
 في العمل وحياناً بين شعبيين متجاورين أو بين طائفتين داخل المجتمع الواحد.
 وهنا يأتي دور الاصلاح ولمّ الشمل واحلال العلاقات الاخوية والانسانية
 وانهاء حالة العداة والتباغض، ان السعي والمثابرة والمبادرة واجراء المحادثات
 بين الاطراف المتنازعة من أجل اصلاح ذات البين هو زكاة الرجل والقدم
 وترتب على هذه المساعي والجهود مهما كانت النتائج ثواباً عظيماً.
 ولقد دعا القرآن الكريم في آيات عديدة إلى هذه الجهود من أجل الاصلاح
 واحلال السلام واجراء المصالحة وانهاء حالات النزاع والصراع.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^٢.

١- الكافي: ٣٥/١، باب ثواب العلم والمتعلم، حديث ٥٥؛ بحار الأنوار: ١٨٥/١، باب ١، حديث ١٠٩.

٢- الانفال: ١.

وجاء في كتاب الله العزيز أيضاً:

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^١.

وقال رسول الله ﷺ:

... من مشى في صلح بين اثنين صلى الله عليه وملائكته حتى يرجع وأعطي أجر ليلة القدر.

ومن مشى في قطيعة بين اثنين كان لهما من الوزر بقدر ما لمن اصلح بين اثنين من الأجر، مكتوب عليه لعنة الله حتى يدخل جهنم فيضاعف له العذاب^٢.

وقال ﷺ:

«مَنْ مَشَى فِي إِصْلَاحِ بَيْنِ امْرَأَةٍ وَزَوْجِهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقًّا وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا وَكَلِمَةٍ فِي ذَلِكَ عِبَادَةٍ سَنَةٍ قِيَامٌ لَيْلِهَا وَصِيَامٌ نَهَارُهَا»^٣.

١- الحجرات ٤٩: ٩ - ١٠.

٢- ثواب الأعمال: ٢٨٨؛ وسائل الشيعة: ٤٤١/١٨، باب ١، حديث ٢٤٠٠٦؛ بحار الأنوار: ٣٦٦/٧٣، باب ٦٧، حديث ٣٠.

٣- ثواب الأعمال: ٢٨٨؛ وسائل الشيعة: ٣٤٣/١٦، باب ٢٢، حديث ٢١٧١٧؛ بحار الأنوار: ٣٦٩/٧٣، باب ٦٧، حديث ٣٠.

وجاء:

فِي وَصِيَّةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْوَفَاةِ قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «صَلَّاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ إِقَامَةِ
الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَإِنَّ الْمُبِيرَةَ وَهِيَ الْحَالِقَةُ لِلذَّيْنِ فَسَادُ ذَاتِ
الْبَيْنِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^١.

وقال الامام موسى الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«طُوبَى لِلْمُصْلِحِينَ بَيْنَ النَّاسِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٢.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«وَمَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَالْوَالِدِ وَوَلَدِهِ وَالْقَرِيبِ وَقَرِيبِهِ
وَالْجَارِ وَجَارِهِ وَالْأَجْنَبِيِّ وَالْأَجْنَبِيَّةِ فَقَدْ تَعَلَّقَ مِنْهُ بِفُضْنٍ»^٣.

صلة الرحم:

تعد صلة الرحم من العبادات الهامة القيمة وبيئني للانسان المؤمن ان يخصص جزءاً من وقته لزيارة الأقارب وذوي رحمه بدءاً بالوالدين والاخوة والاخوات وتوسع هذه الدائرة شيئاً فشيئاً الى أن تصل الى العلاقات النسبية التي تحدث من خلال المصاهرة.

ويدخل في مسألة الزيارات التفقديّة والسؤال عن الأحوال ما يعني ان مجرد

١- الكافي: ٥١/٧، باب صدقات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث ٧؛ تحف العقول: ١٩٧؛ بحار الأنوار: ٩٩/٧٥،

باب ١٨، حديث ٢.

٢- تحف العقول: ٣٩٢؛ بحار الأنوار: ٣٠٩/٧٥، باب ٢٥، حديث ١.

٣- تفسير الامام العسكري: ٦٤٥؛ بحار الأنوار: ١٦٦/٨، باب ٢٣، حديث ١١١.

السلام ليس هو الغاية من صلة الأرحام بل ما هو أبعد من ذلك أي الى تقديم يد المعونة للمحتاجين وحل مشكلاتهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^٢.

روى داود الرقي قال:

كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال لي مبتدئاً من قبل نفسه:

- يا داود لقد عرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس فرأيت فيما عرض عليّ من عملك صلتك لابن عمك فلان فسرتي ذلك، اني علمت ان صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع أجله.

قال داود: وكان لي ابن عم معانداً خبيثاً بلغني عنه وعن عياله سوء حال فصككت له نفقةً قبل خروجي إلى مكة فلما صرت بالمدينة أخبرني أبو عبد الله عليه السلام بذلك^٣.

وجاء في الأخبار ان الخليفة أبا جعفر المنصور بعث وراء أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وأمر بفرش فطرح له إلى جانبه ولما جاء الامام الصادق عليه السلام واستقرّ في مجلسه أمر المنصور باستدعاء ابنه محمد (الذي أصبح الخليفة بعده والملقب بالمهدي) فلما حضر قال المنصور للامام الصادق عليه السلام:

- يا أبا عبد الله حديث حدثته في صلة الرحم اذكره يسمعه المهدي.

١- الخصال: ٦١٢/٢، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٩١/٧١، باب ٣، حديث ١٤.

٢- النساء: ٤: ١.

٣- الأمالي، طوسی: ٤١٣، المجلس الرابع، حديث ٩٢٩؛ وسائل الشيعة: ١١١/١٦، باب ١٠١، حديث

٢١١١٦؛ بحار الأنوار: ٩٣/٧١، باب ٣، حديث ٢٠.

قال عليه السلام: - نعم، حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله عزوجل ثلاثين سنة ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيرها ثلاث سنين. ثم تلا عليه السلام قوله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^١.

قال المنصور: هذا حسن يا أبا عبد الله وليس آياه أردت.

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

- نعم حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار وان كان أهلها غير أختيار. قال المنصور: هذا حسن يا أبا عبد الله وليس هذا أردت.

فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: نعم حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: صلة الرحم تهون الحساب وتقي ميته السوء.

قال المنصور: نعم هذا أردت^١.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ قَالَ:

«الرَّحِمُ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: مَنْ قَطَعَنِي

قَطَعَهُ اللَّهُ وَمَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ»^٢.

١- الرعد ١٣: ٣٩.

٢- الأمالي، طوسي: ٤٨٠، المجلس السابع عشر، حديث ١٠٤٩؛ بحار الأنوار: ٩٣/٧١ باب ٣، حديث ٢١.

٣- عوالي اللآلي: ٣٦٢/١، حديث ٤٥؛ بحار الأنوار: ١٨٧/٤٧، باب ٦، حديث ٣٥؛ مستدرک الوسائل:

١٥/٢٤٢، باب ١١، حديث ١٨١٢٤.

وجاء في الحديث النبوي الشريف: قال رسول الله ﷺ:

«من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله عز وجل أجر مئة شهيد وله بكل خطوة أربعون ألف حسنة ويمحى عنه أربعون ألف سيئة ويرفع له من الدرجات مثل ذلك وكأنما عبد الله مئة سنة صابراً محتسباً»^١.

والروايات في باب صلة الأرحام وثواب ذلك وقطع الأرحام وما فيها من الآثام كثيرة جداً ويمكن مراجعة الأجزاء ٧٦، ٧٧، ٧٨ من الموسوعة الحديثية الكبرى «بحار الأنوار» وأيضاً مستدرك سفينة البحار المجلد الرابع وغيرها من كتب الحديث.

الجهاد:

وسوف نتطرق بالتفصيل إلى موضوع الجهاد في سبيل الله في الباب (٨٠) من مصباح الشريعة بأذن الله.

صلاح القلب والدين:

قال الامام الصادق عليه السلام: ان من زكاة الرجل بعد زيارة الصالحين وارتداد مجالس الذكر والاصلاح بين الناس وزيارة ذوي الأرحام والجهاد وما فيه صلاح قلبك ودينك.

ومن المؤكد ان ارتياد المحافل الدينية والمساجد ومجالسة الأخيار سوف يسهم في صقل القلب وترشيد الفكر والعقيدة لتترسخ في القلب فينبض بحب الله سبحانه وينعكس هذا الحب على أخلاقه وسلوكه ومعاشرته وعلاقاته الاجتماعية.

١- الأملی، صدوق: ٤٣١، المجلس السادس والستون، حديث ٩١ بحار الأنوار: ٨٩/٧١، باب ٣، حديث ٦؛ مستدرك الوسائل: ٢٤٩/١٥، باب ١١، حديث ١٨١٤٠.

«هذا مما يحتملُ القلوبُ فهمهُ والنُّفوسُ استِعْمالُهُ وما لا يُشْرِفُ عَلَيْهِ إِلَّا
عِبَادُهُ الْمُقَرَّبُونَ الْمُخْلِصُونَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحْصَى وَهُمْ أَرْبَابُهُ وَهُوَ شِعَارُهُمْ
دُونَ غَيْرِهِمْ»

ويختتم الامام الصادق حديثه في هذا المضممار بأن القلوب لا تحتمل أكثر من
هذا والنفوس لا تستوعب أكثر من ذلك مما مرّ ذكره؛ الأعباد الله المقربين
المخلصين فانهم يجتازون حدود ما ذكر الى ما هو أبعد من ذلك لسعة نفوسهم
واشراق النور الالهي على قلوبهم.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ أَنْ وَقَفْتَنِي لِاتِمَامِ هَذَا الْجِزَاءِ مِنَ الشَّرْحِ فِي السَّاعَةِ الْآخِرَةِ
مِنْ عَصْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِلَطْفِكَ وَمَحَبَّتِكَ.

الهي لا أمل لي الأبك ولا رجاء.

عليك توكلني لا على أحد سواك.

وقفني لسلوك هذا الطريق إلى منتهاه.

فلعلني أكون قد خدمت عبادك.

يا أرحم الراحمين

والحمد لله رب العالمين

المحتويات

الباب (١٥) في آداب الركوع

- ٨..... حقيقة الركوع:.....
- ١٣..... الركوع في القرآن المجيد:.....
- ١٤..... الركوع، توحيد للأسماء والصفات:.....
- ١٧..... حالات التوحيد الثلاث:.....
- ٢٠..... ركوع مريم عليها السلام:.....
- ٢١..... ركوع داود عليه السلام:.....
- ٢٥..... الركوع في الروايات:.....
- ٢٧..... أصفياء الله في القرآن المجيد:.....
- ٢٨..... عباد الله:.....
- ٢٩..... المصطفون من لدن الله سبحانه:.....
- ٣٢..... الركوع، الحقيقة الأولى:.....
- ٣٣..... أعمال الانسان في الدنيا والآخرة:.....
- ٤٢..... من هو الربيع:.....

الباب (١٦) في آداب السجود

- ٤٨..... حقيقة السجود:
- ٤٩..... معنى سجود المعنوي:
- ٥١..... السجدة في القرآن الكريم:
- ٥١..... ١- سجود الكائنات:
- ٥٣..... ٢- سجود أهل الطاعة والعبادة:
- ٥٥..... خصائص السجود علماً وعملاً:
- ٦٠..... ٣- تكبر إبليس على السجود:
- ٦١..... سورة الاسراء:
- ٦٢..... سورة الاعراف:
- ٦٤..... سورة ص:
- ٦٥..... عاقبة إبليس المشؤومة:
- ٦٧..... تحذير القرآن الكريم من الشيطان الرجيم:
- ٦٨..... أدوات الشيطان في خداع الانسان:
- ٧٠..... ٤- تكبر الجهال:
- ٧١..... ٥- النهي على السجود لغير الله:
- ٧٤..... قوم سبأ:
- ٧٥..... سجود العارفين:
- ٧٧..... السجود ومقام التوحيد:
- ٨٠..... السجود والانسلاخ من الانا:
- ٨٢..... سجود العاشقين:

٨٥.....	السجود في الروايات:
٨٨.....	البشارة الالهية للمؤمنين:
٨٩.....	البشارات الالهية في القرآن:
٩٠.....	البشارات الالهية في الروايات:
٩٢.....	حضور المعصوم احتضار المؤمن:
٩٦.....	السجود في كلام الامام الصادق <small>عليه السلام</small> :

الباب (١٧) في آداب التشهد

١٠٦.....	حقيقت التشهد:
١٠٩.....	التشهد، مع معرفة الحق:
١١٢.....	معرفة الحق في كلام ملا صدرا:
١١٦.....	الخلوص في الشهادتين:
١١٧.....	مقاليد الامور بيد الحق:
١٢٠.....	وجوب الصلاة على النبي في التشهد:
١٢٢.....	الصلاة على النبي لدى علماء أهل السنة:
١٢٤.....	الشهادة بالتوحيد والرسالة في التشهد:
١٢٦.....	استغفار النبي <small>صلى الله عليه وآله</small> للأمة:
١٢٩.....	الشفاعة:

الباب (١٩) في آداب الاسلام

- ١٣٨ معنى السلام في الصلاة:
- ١٤١ السلام في الاسلام:
- ١٤٣ السلام الحقيقي وآدابه:
- ١٤٦ الامتحان الالهي:
- ١٤٧ ثمار الامتحان الالهي:
- ١٤٨ اسلوب التعامل مع الامتحان:
- ١٤٩ أجر الصبر على الامتحان الإلهي:
- ١٥٢ تحقيق الرضا الإلهي:

الباب (١٩) في آداب الدعاء

- ١٥٧ حقيقة الدعاء:
- ١٥٧ الدعاء التكويني والتشريعي:
- ١٦٠ دعاء الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام:
- ١٦٢ الدعاء في كلمات المفكرين والمتقين:
- ١٦٢ كارليل والدعاء:
- ١٦٢ كبلر والدعاء:
- ١٦٣ غولن كلارك والدعاء:
- ١٦٤ القرآن والدعاء:
- ١٦٤ ١ - الأمر بالدعاء:

- ٢ - الدعاء مفتاح الفرج: ١٦٥
- ٣ - الدعاء علامة المؤمن: ١٦٦
- ٤ - استجابة الدعاء: ١٦٦
- ٥ - ضرورة الدعاء: ١٦٦
- ٦ - الدعاء أمر فطري: ١٦٦
- الروايات والدعاء: ١٦٧
- فضيلة الدعاء ١٦٨
- الدعاء سلاح المؤمن: ١٧٠
- الدعاء يوجب دفع القضاء والبلاء: ١٧١
- الدعاء علاج للأمراض: ١٧٢
- استجابة الدعاء: ١٧٥
- أسباب عدم استجابة الأدعية: ١٧٥
- آداب الدعاء: ١٧٧
- ذكر الحاجة في الدعاء: ١٧٧
- الدعاء في السرّ وقيّمته: ١٧٨
- اوقات استجابة الدعاء: ١٧٨
- التضرع في رجاّب اللّٰه: ١٨٠
- الثناء والتمجيد قبل الدعاء: ١٨٢
- الدعاء الجماعي: ١٨٤
- الدعاء للجميع: ١٨٥
- عدم الخوف من التأخير في الاجابة: ١٨٥
- بدء الدعاء بالصلوات: ١٨٨

- ١٨٨ من هو مستجاب الدعوه؟
- ١٨٩ من الذي لا يستجاب دعاؤه؟
- ١٩٠ علاقة أهل المعرفة مع الله:
- ١٩٠ كلام أمير المؤمنين عليه السلام:
- ١٩٥ حقيقة الدعاء:
- ١٩٩ زمان استجابة الدعاء:
- ٢٠٠ مكان استجابة الدعاء:
- ٢٠٠ كربلاء و استجابة الدعاء:

الباب (٢٠) في آداب الصوم

- ٢١٣ حقيقة الصوم:
- ٢١٤ حقيقة شهر رمضان:
- ٢١٥ آثار الصوم:
- ٢١٧ الصوم في مرآة الروايات:
- ٢٢١ خطبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في معرفة شهر رمضان المبارك:
- ٢٢٣ دعاء الامام زين العابدين عليه السلام في شهر رمضان المبارك:
- ٢٢٧ ثواب الصوم:
- ٢٢٩ نية الصيام:
- ٢٣١ حكاية حول جهاد النفس:
- ٢٣٥ أقسام الصيام:
- ٢٣٥ صيام العام:

٢٣٦	صيام الخاص:
٢٣٦	صيام خاص الخاص:
٢٣٦	خصائص صيام خاص الخاص:
٢٣٧	مراحل صوم خصوص الخصوص:
٢٤٣	نفس الصائم:
٢٤٤	المريض الحقيقي:
٢٤٦	طهارة الباطن في الصوم:

الباب (٢١) في آداب الزكاة

٢٥٢	حقيقة الزكاة:
٢٥٣	البخل أخطر الأمراض:
٢٥٣	القرآن ومسألة البخل:
٢٥٥	البخل في الروايات:
٢٥٧	موقف النبي ﷺ من البخل والبخيل:
٢٥٨	الزكاة والانفاق في القرآن الكريم:
٢٥٩	الثروة والبخل في القرآن الكريم:
٢٦٢	فلسفة الزكاة في القرآن الكريم:
٢٦٨	الروايات ومسألة الزكاة:
٢٦٩	الزكاة بالشعر:
٢٧٢	زكاة العين:
٢٧٣	زكاة الاذن:

- ٢٧٣ زكاة الاذن والعلم:
- ٢٧٤ الاسلام والتغيير:
- ٢٧٥ مكتبات العالم الاسلامي:
- ٢٧٨ زكاة الاذن وتعلم الحكمة:
- ٢٧٩ الحكمة في القرآن:
- ٢٨٠ الحكمة في الروايات:
- ٢٨٤ الحكمة في كلام النبي ﷺ:
- ٢٨٥ الحكمة في كلام داود ﷺ:
- ٢٨٦ الحكمة في معرفة الانسان الكامل:
- ٢٨٨ الحكمة في مسألة الفناء:
- ٢٨٩ مراحل الفناء الأربعة
- ٢٨٩ فناء الآثار:
- ٢٩٠ فناء الأفعال:
- ٢٩١ فناء الصفات:
- ٢٩٢ فناء الذات:
- ٢٩٥ الحكمة في السير إلى الله:
- ٢٩٨ الحكمة في التحلية والصفات الروحانية:
- ٣٠٣ سلوك لقاء الله:
- ٣٠٣ طرق السلوك للقاء الله:
- ٣٠٦ الحكمة في الاهتمام بالمسائل الالهية العالية:
- ٣١١ الحكمة في حقيقة الدنيا والآخرة:
- ٣١٥ الحكمة على لسان الامام علي عليه السلام:

٣١٨	الحكمة في اصطلاحات وكنيات العرفاء:
٣١٨	معاني الاصطلاحات العرفانية:
٣٣٣	الحكمة في الفتح:
٣٣٥	كمال الانسان:
٣٣٨	زكاة اللسان:
٣٣٩	زكاة اليد:
٣٣٩	حياة الدين بتأليف الكتب:
٣٤١	زكاة الرجل:
٣٤١	زيارة عباد الله الصالحين:
٣٤٤	مجالس العلم:
٣٤٦	اجتماعات الصلح بين المسلمين:
٣٤٨	صلة الرحم:
٣٥١	الجهاد:
٣٥١	صلاح القلب والدين:
٣٥٣	المحتويات: